وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية
قسم التاريخ

العلاقات الثقافية والاجتماعية بين بلاد المغرب ومصر(362-567هـ)

رسالة تقدمت بها
بيان ياسين عباس العميري
الى مجلس كلية التربية الجامعة المستنصرية وهي جزء من متطلبات نيل
درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي

بإشراف الأستاذ الدكتور
كريم عاتي الخزاعي

1434هـ   2013م



قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي *
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي*

ω

سورة طه : الآية 25–28

الإهداء

إلى والدي العزيز ... وفاء وعرفاناً عسى ان يتقبله الله في فسيح جناته
والى والدتي العزيزة .... أمد الله في عمرها
والى من تحمل معي الصبر والمشقة نور عيني ... زوجي
والى أخواتي وإخواني .... اعتزازاً واحتراماً

اهدي بحثي هذا

شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وأخيراً والشكر له ، الذي منّ عليّ ووفقني بانجاز هذا العمل .

أتقدم بخالص شكري وتقديري لأستاذي الفاضل الدكتور كريم عاتي الخزاعي الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل وأبدى من النصح ومتابعته لي وإشرافه على طول مدة الدراسة ، وكان خير معين فأدعو من الله أن يمده بالصحة والسلامة ويعطيه خير الدنيا والآخرة .

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور الفاضل رئيس قسم التاريخ لما قدمه لي من مساعدة علمية ، كما أسجل شكري وتقديري إلى الدكتورة الفاضلة هيفاء عاصم التي طالما جعلت مكتبتها الخاصة في خدمة طلاب العلم فأدعو من الله ان يوفقها ويمد في عمرها .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل أساتذة قسم التاريخ الإسلامي – كلية التربية – الجامعة المستنصرية الذين تتلمذت على أيديهم في السنة التحضيرية ، وهم كل من الاستاذ الدكتوررضا هادي والأستاذ الدكتور حسين احمد، والأستاذ الدكتورة نضال حميد والأستاذ سامي حمود الحاج حاسم .

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني من الموظفين في مكتبة كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، وموظفات مكتبة قسم التاريخ ، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى رفيق دربي زوجي أحمد جابر عباس لما قدم لي من مساعدة ولتوفيره لي جميع المصادر من المكاتب العامة والخاصة . والشكر الجزيل الى جميع زملائي في العمل الذين كان لهم الدور الكبير في تشجيعي على مواصلة دراستي .

المحتويات

ثبت الملاحق



المقدمـــــة

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على المبعوث بالحق رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آل بيته وصحبه اجمعين ، فقد وضعتني العناية الالهية الكريمة في طريق التخصص بالتاريخ الاسلامي ، وأنار لي بصيرتي في أن اخوض مسيرة الكتابة بهذا الاختصاص الرائع ووفقني الله الى اختيار موضوع هذا البحث الذي كان ينبع من الاحساس بأهمية البحث في تاريخ العلاقات ، فمنحني الله القوة والعزيمة لإنجاز هذا البحث الموسوم (العلاقات الثقافية والاجتماعية بين دول المغرب ومصر (362-567هـ)) و ان الجانب الثقافي والاجتماعي هما أكثر جوانب النشاط الانساني اشراقاً وتألقاً .

سلطت هذه الدراسة الضوء على جانب العلاقات بين دول المغرب وبلاد مصر خلال الحكم الفاطمي لها . وتبعية دول المغرب للخلافة الفاطمية آنذاك . فبعدما ثبت الفاطميون أقدامهم في بلاد المغرب وأسسوا دولتهم في بلاد المغرب (296-362هـ/909-973م) . عمل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله على توطين الخلافة الفاطمية في مصر محققاً حلم آبائه وأجداده في بسط نفوذهم على أرض مصر ، فارتبط البلدين بمصالح سياسية وتأثر كل منهما بالآخر في هذه الفترة التاريخية التي تعد من أهم مراحل التاريخ الاسلامي بوجه عام ، وتاريخ دولة المغرب ومصر بوجه خاص ، فقد تنوعت هذه العلاقات بين السياسية والثقافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، إلاّ أن هذه العلاقات تباينت بين دولة وأخرى .

ففي اطار العلاقات السياسية التي كانت تربط دول المغرب التي تمثلت آنذاك بدولة بني زيري . ودولة بني حماد ودولة المرابطين والموحدين فمنها ما كانت تبدأ بعلاقات ودية وقوية متينة حتى تنتهي بعلاقات غير ودية واعلان القطيعة والعصيان مثلما حصل مع دولة بني زيري ، ومنها ما كانت تبدأ بالقطيعة ثم تنتهي بعلاقة ودية تحتمها عليها مصالح بلادها السياسية مثلما حصل مع دولة بني حماد ، ومنها ما كانت علاقة هشة بدأت بنهاية الخلافة الفاطمية التي انهارت على يد الدولة الايوبية ، فقد

كانت هذه العلاقات تتحكم بها عوامل سـياسـية ودينية اثرت على قوتها وتذبذبها . هذا فضلاً عن التطورات السياسية والمذهبية التي شهدتها بلاد المغرب واثرت على مصيرها وتطورها الداخلي .

أما في العلاقات الثقافية فقد حاولنا ان نسـلط الضـوء على مدى تأثر دول بلاد المغرب بمصـر ثقافياً وعلمياً وبالعكس فوجدنا علماء بلاد المغرب وطلابها رحلوا الى مصر طلباً للعلم ودرسوا في مجالس الخلفاء والوزراء ، الا ان ندرة المعلومات لم تساعدنا على التصدي للعلاقات والصلات المتبادلة بين هذه الدول ، وعلى الرغم من ذلك تمكنا من الوصـول الى ان بعض العلماء الذين قدموا من بلاد المغرب واستقروا في مصـر ، ونهلوا من مناهلها حتى وافاهم الأجل في ارض مصر ، إلاّ انه قد تعسر علينا الحصول على معلومات تخص علماء مصـر ، من الذين تركوا بلادهم واتجهوا الى بلاد المغرب، ونعلل ذلك بأن مصـر عامة والقاهرة خاصـة أصـبحت تنافس بغداد العباسـيين وقرطبة الامويين ، فوجدت أن آلافاً من ارباب العلم والفكر قد توجه الى القاهرة كي يسـاهموا في ارساء قواعد حضارة عالمية .

وفي العلاقات الاجتماعية فقد سـلطنا الضـوء على مدى تأثير هجرة القبائل المغربية التي رافقت الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الى بلاد مصـر وما نقله لهم من عادات اجتماعية لا زالت موجودة في مصـر الى هذا اليوم . فضـلاً عن هجرة القبائل الهلالية التي كانت قد نقلت لهم بعض العادات الاجتماعية التي كانت طاغية عليها حيث عدت هذه الهجرات فاتحة لعهد جديد في دول بلاد المغرب اذ امتزج العنصـر البربري بالعنصر العربي وتكون في ذلك نسيج اجتماعي متين طغت عليه الصفة العربية التي كانت محط إعجاب ، وفتحوا سكان تلك البلاد على الرغم من كونها الحقت الدمار والخراب ببعض بلاد المغرب الا انها تركت جانباً ايجابياً لقبائل بلاد المغرب ، فقد ساهمت بشكل كبير في نشر العروبة والاسلام في هذه المنطقة ، فضلاً عن مشاركتها في عمليات الجهاد في الاندلس .

واجهت الدراســة الكثير من الصــعوبات لتبعثر المادة التاريخية في طيات الكتب التي لم تفرد في دراســة العلاقات بين دول العالم الاســلامي ، وكذلك يجب ان نذكر ان من اهم المشــاكل التي تصــادف الباحث ولاســيما في التاريخ الاســلامي عموماً وتاريخ المغرب وتاريخ مصــر الفاطمية خصــوصــاً هو فقدان المصــنفات التاريخية لتلك الحقبة الزمنية ، فقد تعرضــت الثروة العلمية من كتب المؤرخين الذين عاصــروا الدولة الفاطمية الى التلف والضـياع فما ان سـقطت الدولة الفاطمية على يد صـلاح الدين الايوبي حتى حرقت كتبهم ورميت في الصحراء واتلفها غبار الزمن ، ما جعل المهمة صعبة على كل باحث يخوض في ذلك المضــمار ، فإن ندرة المصــادر وقلّتها ســبب عدم التوازن في بعض فصـول البحث هذا فضـلاً عن الجانب الثقافي والاجتماعي لبلاد المغرب الذي لم ينل أهمية من قبل المؤرخين فقد نجد جميع المصــادر قد ســلطت الضــوء على الجانب السياسي والاقتصادي والعسكري وان وجدت فهي في فترة زمنية متقدمة .

وامل ان اكون قد اســـهمت في ابراز جانـب بســـيط من العلاقات الثقافية والاجتماعية بين دول المغرب ومصر خلال فترة البحث وكشف ما كان مبهماً وغامضـاً عن هذه الفترة .

اقتضـت طبيعة البحث أن يقسم على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . خصـصـت المقدمة للتعريف بالموضوع ودراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع التي استخدمت في البحث .

تناول الفصل الاول العلاقات السياسية بين دول بلاد المغرب ومصر خلال الفترة (362-567هـ) فعرضت العلاقة السياسية بين دولة بين زيري في افريقية ومصر خلال الحكم الفاطمي لها ، التي كانت تتأرجح ما بين الصـــعود والهبوط منذ انتقال الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الى مصــر ، وبينت طموح ورغبة بني زيري في الانفصــال عن الخلافة الفاطمية ، ثم بينا القطيعة الســـياســـية والمذهبية في عهد المعز بن باديس الصــنهاجي ، و ســياســة الخلفاء الفاطميين تجاه هذه القطيعة وكيف سـير لبلاد المغرب قبائل بني هلال التي تمكنت من القضــاء عليهم ، ثم تحدثنا عن العلاقة السـياسـية التي

كانت بين دولة بني حماد في المغرب الاوســـط فعرضـــنا كيفية قيام تلك الدولة وكيف دخل امراء بني حماد في طاعة الفاطميين بعد هزيمة بني عمومتهم من (بني زيري) ، حيث كانت هذه الطاعة اسمية فرضتها الظروف ، ثم تطرقنا الى العلاقة السياسية التي ربطت دولة المرابطين بمصــر فلم تكن علاقة ودية حيث انضــوت دولة المرابطين تحت لواء الخلافة العباسية ، ثم عرجنا في النهاية الى دولة الموحدين التي ظهرت في المغرب فتحدثنا عن طموح خلفاء الموحدين في الاســتيلاء على مصــر وزعمهم بأحقية خلافتهم بحكم العالم الاسلامي ، وفي هذه الفترة كانت قد انتهت الدولة الفاطمية .

اما الفصـل الثاني فقد خصـص للعلاقات الثقافية بين دول المغرب ومصـر خلال الحكم الفاطمي ، فقد تناول هذا الفصــل المؤســســات العلمية والثقافية التي انتشــرت في بلاد المغرب من مساجد ومكتبات ورباطات ، ثم تناولنا اهم المؤسسات العلمية والثقافية في مصر في العهد الفاطمي فكان ابرزها هو جامع الازهر فضلاً عن دار العلم وقصور الخلفاء والوزراء والمدارس التي انشأت في عهد الوزراء . ثم تحدثنا عن الصلات الثقافية بين دول المغرب ومصــر ، فقد عرضـنا لبعض الشـخصـيات التي كان لها الاثر البارز في رفد الحركة الثقافية في دول المغرب ومصر ، فتتبعنا بعض الطلاب الذين رحلوا من بلاد المغرب واسـتقروا في المدن المصـرية ودورهم في نقل العلوم الى المغرب ، فضــلا عما عرضناه في هذا الفصل من العلوم الانسانية والدينية والعقلية .

وفي الفصــل الثالث الذي خصــص للعلاقات الاجتماعية والتأثير المتبادل ، فقد تطرقت الى الهجرات المغربية الى مصــر ، وتحدثنا عن القبائل المغربية التي اســتقرت في بعض القرى والمدن المصرية ثم اوضحنا مدى الاثر الذي تركه المغاربة في المجتمع المصـري ، ثم واصـلت الحديث عن الهجرات المصـرية المتمثلة بقبائل الهلالية الى بلاد المغرب وبيّنا تأثيراتها المتعددة على المجتمع المغربي و دور هذه القبائل في الدفاع عن المغرب والاندلس ، وما كان لها من اثر في اكمال تعريب بلاد المغرب ، كما عنيت الدراســـة بعرض بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فتحدثنا عن الاعياد والاحتفالات والمواكب والمآتم وبينا كيف انتقلت بعضها من بلاد المغرب الى مصر وبالعكس .

اما الخاتمة فقد تضـمنت اهم النتائج التي توصـلت اليها في هذا البحث ، وكذلك تضــمن البحث بعض الملاحق من الجداول خاصـــة بخلفاء الفاطميين وامراء دولة بني زيري وامراء دولة بني حماد ودولة المرابطين والموحدين .

هذا وقد اعتمدت الدراسـة على جملة من المصـادر والمراجع الحديثة التي تنوعت بين كتب تاريخية وكتب رحلات وكتب طبقات وتراجم وكان من اهم هذه المصــادر التي تأتي في المقدمة :

اولاً – كتب التاريخ :

كان من اهمها كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير ابي الحســن علي بن محمد المتوفى (635هـــــ/1234م) ، فقد تجلت مواهب ابن الاثير النادرة من خلال عرضــه للحقائق . فقد ذكر في هذا الكتاب اهم الاحداث التي شهدتها بلاد المغرب ومصر فكان بمثابة قاموس يرجع له الباحث لكي يتأكد من كل معلومة تذكر في باقي المصــــادر ، و من اهم الكتب التي رفدت الفصــــل الاول هو كتاب نهاية الارب في فنون الادب لمؤلفه شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى (733هـ/1333م) والذي شمل على تاريخ دولتي بني زيري ودولة بني حماد . ومن المصـــــادر التي افدنا منه كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصـــر والقاهرة لمؤلفه جمال الدين أبي المحاســـن بن تغري البردي المتوفى (874هـ/1469م) .

ومن كتب التاريخ للمؤلفين المغاربة كان من اهم المصـادر التي استعنت بها هو كتاب البيان المغرب لمؤلفه ابن عذاري المراكشي الذي كان حياً سنة (712هــ/1312م) ، وكتـاب العبر وديوان المبتـدأ والخبر لمؤلفـه ابن خلـدون عبـد الرحمن الحضــــرمي المتوفى(808هـ/1405م) فعلى الرغم من تأخر مؤلفه الزمني فهو من المصادر الأساسية لتاريخ المغرب ومصـــــدر رئيس لتاريخ الهلالية في بلاد المغرب وكذلك كان من أهم المصادر الذي أمدنا بمعلومات عن القبائل البربرية وعاداتهم .

ومن المؤرخين المشــــهورين في كتاباتهم هوالمؤرخ المقريزي : ابو العباس تقي الدين احمد المتوفى (845هــــ/1442م) ، فقد قدم هذا المؤرخ العديد من المؤلفات التي

تخص الفترة التي حكمت بها الخلافة الفاطمية مصـــــر ، فقد كانت تزخر مؤلفاته بمادة غزيرة اتى بها من انفس المصـــادر التاريخية التي عاصـــرها، فنذكر كتابه: اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا الذي ارخ فيه للاسـرة الفاطمية ونشـأة الدولة في المغرب كما يتحدث عن الفتح الفاطمي لمصـر وتأسـيس مدينة القاهرة، وكذلك كتابه اغاثة الامة بكشف الغمة الذي يحتوي على معلومات مختلفة عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية الخاصــــة بالفاطميين، وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار الذي تناول فيه تاريخ القاهرة ، و كتاب البيان والاعراب الذي يتحدث عن القبائل التي سكنت مصـر وكتاب المقفى الكبير الذي كان يترجم لبعض الشـخصـيات التي عاصـرت خلفاء العصـر الفاطمي . فقد افدت كثيراً من مؤلفاته ، حيث يعد المقريزي شيخ مؤرخي مصـر الاسلامي وندين لهُ بالكثير من معارفنا عن تاريخ الدول الفاطمية.

ثانياً– كتب الطبقات والتراجم :

كذلك امدتنا كتب الطبقات والتراجم بمعلومات قيمة فيما يخص الفصــــل الثاني الذي سلط الضوء على العلاقات الثقافية بين دول المغرب ومصـر ، وكان من اهم هذه الكتـب كتـاب ابنـاء الرواة على انبـاء النحـاة للقفطي جمـال الـدين ابي الحســـن المتوفى(654هـــــــ/1256م) ، و فيما يخص التراجم فقد امدنا ابن الابار ابو عبد الله محمد المتوفى (658هـ/1260م) في كتاب الحلية السيراء ، وكتاب وفيات الاعيان وانباء الزمان لابن خلكان المتوفى (681هـــ/1482م) ، وكتاب معالم الايمان في معرفة اهل القيروان للدباغ عبد الرحمن بن محمد الانصاري المتوفى (696هـــ/1496م) ، وكتاب حســـن المحاضــــرة في اخبار مصــــر والقاهرة للســـيوطي جلال الدين عبد الرحمن المتوفى(911هـ/1505م) ، وكتاب خريدة القصر وجريدة العصر لابن عماد الاصبهاني المتوفى (1201هـ/1786م) .

ثالثاً – كتب الرحلات وكتب الجغرافية :

فكانت في مقدمتها كتاب المسالك والممالك المسمى المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب لمؤلفه ابي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري المتوفى (487هـ/1094م)،

ومن الكتب التي اســـتفدنا منها في تراجم البلدان هو كتاب معجم البلدان لمؤلفه ياقوت الحموي المتوفى (626هــ/1228م) ، وكتاب الروض المعطار في خبر الاقطار لمؤلفه محمد عبد المنعم الحميري المتوفى سـنة (726هـــ/1326م) وكتاب الاسـتبصــار في عجائب الامصــار لمؤلفٍ مجهول ، ويعد كتاب وصـف افريقيا للرحالة المغربي الحسـن بن محمد الوزان وهو نفسه ليون الافريقي المتوفى (960هــ/1552م) ، من أهم مصادر الرحالة المغاربة في الحياة الاجتماعية والاقتصـــادية ، فقد امدنا هذا الكتاب بمعلومات وفيرةِ عن التوزيع الاقليمي لبني هلال في بلاد المغرب وعن عاداتهم وتقاليدهم .

رابعاً- الكتب الموسوعية :

و نذكر من عيون المؤلفات التي عاصــرت الخلافة الفاطمية ، منهم النعمان بن حيون المتوفى (367هــ/974م) ، و من اهم كتبه هو كتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة ، وكتاب المجالس والمســـايرات ، وهو عبارة عن مجموعة اقوال صـــادرة عن الائمة الفاطميين المعاصـــرين للنعمان حيث امدنا بمعلومات عن الحياة الثقافية والعلمية في عصر الخلفاء الفاطميين .

وممن تميز بـالموســـوعيـة القلقشـــندي ابو العبـاس احمـد بن علي المتوفى (821هـــ/1418م) فيعد كتاب صـبح الاعشـى في صـنـاعة الانشـا من الكتب الزاخرة بالمعلومات المتنوعة .

ولم نهمل بطبيعة الحال الدراسـات الحديثة والكتب الاجنبية المترجمة التي قام بها المؤرخون والباحثون العرب المحدثون فقد أفادت البحث وزودته بالمعلومات التي صـعب فهمها في المصادر الاصلية نورد منها كتاب علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـــ/937-1171م) لمؤلفه حسـن خضـيري احمد، وكتاب ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر للمؤلف عبد المنعم ماجد ، وكتاب عصر القيروان لمؤلفه ابي القاسـم محمد كرو ،وكتاب تاريخ الفاطميين في شـمال أفريقية ومصـر وبلاد الشـام لمؤلفه محمد سهيل طقوش ،وكتاب دولة بني حماد صفحة رائعة من الجزائر لمؤلفه عبد الحليم عويس ، ومن الكتب المترجمة كتاب بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشـرق الاسـلامي

للمســتشــرق جورج مارســيه الذي ترجمه الى العربية محمود عبد الصــمد هيكل وكتاب الدولة الصــــنهاجية في عهد بني زيري للمؤلف الهادي روجي ادريس الذي نقله الى العربية حمادي الساحل ، وغيرهم كلها كانت ذات أهمية للبحث .

واخيراً اقول انني لا ادعي الكمال فإن الكمال لله تعالى وحده ، إلا انني قد بذلت الجهد الممكن وارجو ان اكون قد اصـــبت فيما جئت به من معلومات تتعلق بالبحث ، وآمل ان اكون قد وفقني الله وله الحمد والشكر .



الفصل الأول

العلاقات السياسية بين بلاد المغرب و مصر

العلاقات السياسية بين بلادالمغرب ومصر

أولاً : العلاقات السياسية بين دولة بني زيري [1] ومصر:

ان التطلعات الفاطمية في القضـاء على الخلافة العباسـية دفعت المعز لدين الله[2] الفاطمي إلى تحويل مقر الإمامة إلى الديار المصـرية ومغادرة افريقية[3] نهائيا

---

[1] بني زيري : هم ابناء زيري بن مناد بن منقوش بن صـنهاج الأصـغر وهم قبيلة بلكانه احد بطون صـنهاجة كان موطنهم الأول مابين المغرب الأوسـط وأفريقية كانوا مقيمين للدعوة العباسـية وتابعين إلى أمر الاغالبة ، أول من ملك منهم هو أبو الفتوح بلكين الذي أقام الدعوة للفاطميين في بلاد المغرب الأوسـط وافريقية ،بنى زيري مدينة اشـير واليه تنسـب ، وبنى ابنه بلكين بن زيري مدينة مليانه والجزائر للمزيد ينظر : النويري ، شـهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ) ، نهاية الارب في فنون الأدب ، ط3 ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، 2007م ، مج 24 ، ص156–161 ؛ ابن الخطيب لسـان الدين محمد بن عبد الله، (ت776 هـ) ، أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، تح : سيد كسروي حسن ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2، ص319–320 ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضـرمي (ت808هـ) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشـرهم من ذوي السـلطان الأكبر، تح : عادل بن سعيد ، مراجعة سهيل زكار، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2010م ، ج6 ، ص166 .

[2] المعز لدين الله : أبو تميم معد بن المنصـور رابع الخلفاء الفاطميين ولد بالمهدية سـنة (319هـ) ، توفي سنة (365هـ) وللمزيد ينظر : ابن حماد ، أبو عبد الله محمد بن علي الصـنهاجي ، (ت626هـ) ، أخبار ملوك بني عبيد وسـيرتهم ، تح : حلول محمد البدوي، د. ط ، الجزائر، د. ت ، ص48–55 ؛ ابن الابار ، ابو عبد الله محمد القضاعي (ت658ه)، الحلة السـيراء ، تح : حسـين مؤنس ، د. ط ، بيروت ، د. ت ج2 ، ص391–392 ، ينظر: ملحق جدول الخلفاء الفاطميين رقم (1) .

[3] افريقية : محل كبير عظيم في غرب ديار مصر ، سميت بافريقيس بن ابرهة ملك اليمن لانه غزاها وافتتحها ، ومعنى افريقية صاحبة السماء ، وقيل سميت بأفريقة بن إبراهيم(ʋ) من زوجة قطورا ، وطول افريقية من برقة شرقاً الى طنجة غرباً وعرضـها من البحر إلى الشرق . للمزيد ينظر : الحميري،ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم ، (ت723هـ)، الروض المعطارفي خبر الاقطار ،تح : احسان عباس ، د.ط ، بيروت ، 1980م ، ص47–48 .

اتخـذ هـذا القرار منـذ سـير قـائـده أبو الحسـن جوهر[1] في جيش كثيف إلى مصر عندما سمع بموت كافور الاخشيدي[2] صاحب مصر[3] ففتحت بذلك مصر ووصلت الأخبار وزفت البشارة بفتحها في شهر رمضان سنة

---

(1) أبو الحسن جوهر: هو جوهر بن عبد الله أبو الحسن الرومي الصقلي الكاتب مولى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله اشهر قادة الجيش الفاطمي أصله مملوك رومي من جزيرة صقلية اشتراه الخليفة المعز ، ولد سنة (312هـ) فتح مصر سنة (358هـ) مات يوم الخميس سنة (381هـ) ، في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله فبعث إليه بالحنوط والكفن، فقيل تكفن جوهر في سبعين ثوبا مابين مثقل ووشي مذهب، كان له من الولد حسين وحسن وجعفر ومن أهم أعماله بناء القاهرة للمزيد ينظر: الحبال ، أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد (ت 482هـ)، وفيات المصريين ، (375–456هـ)، تح : احمد أبو عبد الله محمود بن الحداد، د. ط ، دار العاصمة ، الرباط ، 1408هـ ، ص33 ؛ ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (ت681هـ) ، وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، تح : إحسان عباس، د. ط ، دار صادر ، بيروت ، 1977 م، ج1، ص375–380 ؛ المقريزي ، تقي الدين احمد ، (ت845هـ) ، كتاب المقفى الكبير، تح : محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1987، ص327 .

(2) كافور الاخشيدي : هو عبد حبشي اسود اللون ، مثقوب الشفة كان محباً للعلم والموسيقى اشتراه الاخشيدي بثمن بخس يقدر بـ (18ديناراً) ، حكم مصر خلال سنوات (334–357هـ) وحكم كوصي خلال (22) سنة وحكم مصر بصفة رسمية لمدة تبلغ سنتين ونصف توفي سنة 357هـ للمزيد ينظر : الكندي ، أبي عمرو محمد بن يوسف المصري ، (ت350هـ)، كتاب الولاة والقضاة ، تحق؛ زمن كت ، د. ط ، بيروت ، 1908م ، ص296 ؛ الانطاكي ؛ يحيى بن سعيد (458هـ) ، صلة تاريخ سعيد بن البطريق(صلة تاريخ اوتيخا)، مطبعة الاباء اليسوعين ، بيروت ، د. ط ، 1909م ، ج1 ، ص129 .

(3) ابن الأثير ، عز الدين ابي الحسن علي ، (ت630هـ)، الكامل في التاريخ ، تح : محمد يوسف الدقاق ، ط5، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2010م ، ج6 ، ص309 .

(358هـ/968م) فسر المعز كثيرا وانشده ابن هاني الأندلسي [1] قصيدة كان مطلعها

تقول بني العباس: هل فتحت مصر فقل لبني العباس : قد قضي الأمر[2]

عهد المعز الفاطمي إلى خادمة جؤذر[3] بمهمة التوجه إلى المهدية[4] لأحكام ما بالخزائن التي بها ، وشد الأمتعة للرحيل إلى مصر ، إلاّ أن المعز لدين الله قبل ان يرحل ويترك بلاد المغرب ، أجال فكره فيمن يخلفه على هذه البلاد فوقع اختياره

---

[1] ابن هاني الأندلسي : هو محمد بن هاني بن سعدون الازدي الأندلسي يكنى أبو القاسم، ولد باشبيلبة سنة (320هـ) رحل الى افريقية والجزائر ثم اتصل بالمعز الفاطمي وأقام عنده في المنصورية ، عرف بشاعر الدولة الفاطمية قتل في مدينة برقة عندما أراد ان يذهب إلى مصر ليلتقي بالمعز الفاطمي سنة (362هـ) . للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج4 ، ص49-52 .

[2] المقريزي ، تقي الدين احمد ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحق؛ محمد عبد القادر احمد عطا ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م ، ج1 ، ص173 ، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ، (ت911هـ) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1967م ، ج1، ص 599 .

[3] جؤذر: من العبيد الصقالبة دخل في ولاء المهدي ، ثم وهبه المهدي لولي عهده القائم ، اعتلى منصب نائب الامام في تصريف شؤون الدولة المهدية في عهد الخليفة المنصور ، دخل الخدمة ككاتب للمعز الفاطمي سنة (350هـ) ، توفي سنة (363هـ) . للمزيد ينظر: ابي علي منصور العزيز الجؤذري،(ت361ه)، سيرة الأستاذ جؤذر وبه توقيعات الائمة الفاطميين ، تح: محمد كامل حسين ، د. ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،1374ه، ص1 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص 250 .

[4] المهدية : مدينة محدثة بساحل افريقية منسوبة الى عبد الله المهدي الخليفة الفاطمي اختطها لتكون عاصمة له تألق في عملها وهي تعد جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصل بزند. للمزيد ينظر : البكري ، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت478هـ)، المسالك والممالك المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تح : جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج2 ، ص202 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص561-562 .

على جعفر بن علي الملقب بابن الأندلس[1] الأمير على المسلية[2] فاستدعاه الخليفة المعز يبلغه انه يريد استخلافه بالمغرب لكن جعفر اشترط على المعز ان يترك احد أولاده أو احد إخوته معه وان لا يسأله عن الأموال التي يجمعها في المغرب وانه يحكم برأيه دون الرجوع إلى رأي المعز متذرعاً ببعد المسافة بين مصر والمغرب ، وان يكون تقليد الخراج والقضاء بيده ، فغضب المعز ، وقال ((يا جعفر : عزلتني عن ملكي ، وأردت ان تجعل لي شريكا في امري واستبددت بالأموال والأعمال دوني ، قم فقد أخطأت حظك وما أصبت رشدك فخرج)) [3] .

كان المعز يرى في قول جعفر بوادر انفصال ولاية افريقية والمغرب عن السيادة الفاطمية محاول الاستقلال بالبلاد [4] ، ثم وقع اختياره على ممن به الوثوق من صدق التشيع ورسوخ القدم في دراية الدولة ، فاستدعى بلكين بن زيري بن مناد

---

[1] ابن الأندلس : جعفر بن علي بن حمدون الزناتي المعروف بابن الأندلس ابرز زعماء زناته كان صاحب المسيلة وإقليم الزاب وكان بينه وبين زيري بن مناد منازعات كانت السبب في قتل الأخير . للمزيد ينظر : ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص 36 ؛ ابن الآبار ، الحلية السيراء ، ج1 ، ص305 ؛ النوري ، نهاية الإرب ، مج24 ص146 .

[2] المسلية : مدينة بالمغرب تسمى المحمدية أختطها القاسم بن محمد بن المهدي سنة (315هـ) وكان المشرف على بنائها علي بن حمدون السماك المعروف بابن الأندلس وبقي ابنه جعفر اميرا عليها وهي مدينة كثيرة النخل والبساتين وبها نهر كبير يسمى سهر ، وحولها قبائل كثيرة من البربر من عجيه وهوارة وهي اقرب بقلعة حماد من بلاد الزاب. للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج 5 ، ص130 ، مؤلف مجهول،(توفي في القرن 6هـ/12م) الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 ، ص171–172 ؛ ابن حوقل ، أبي القاسم محمد البغدادي ، (توفي بعد 367هـ)، صورة الأرض ، د.ط، دار صادر ، بيروت، د. ت ، ج1، ص87 .

[3] المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1 ، ص 175 .

[4] طقوش ،محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية ومصر وبلاد الشام ،دار النفائس للنشر والطباعة ،بيروت ،2008م، ص214 .

الصنهاجي[1] كان من زعماء قبيلة صنهاجة[2] الموالين للفاطميين وقال له: ((تأهب لخلافة المغرب)) فأكبر ذلك وقال :((يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد الرسول (ρ) ما صفا لكم المغرب ، فكيف يصفو لي وانا صنهاجي بربري ؟ قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح)) . ولم يزل به حق فأجاب قائلاً :((يا مولانا شريطة ان تولي القضاء والخراج لمن تراه وتختاره ، والخير لمن تثق به ، وتجعلني انا قائما بين أيديهم فمن استعصى عليهم أمروني به حتى اعمل فيه ما يجب ، ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين ذلك)) [3] .

استحسن المعز جواب بلكين بن زيري ورأى انه يخدم مصالح الفاطميين في المغرب فعهد إليه بامارة افريقية والمغرب وخلع على بلكين خلعته التي كانت عليه ، فنزع سيفه فقلده إياه بيده ، وكناه كنية عسكرية هي أبو الفتوح ، وأسماهُ اسماً عربياً هو يوسف ، ومنحه لقبا ملكياً هو سيف الدولة ، وقلده بسلاسل ذهبية دليلاً على

---

[1] بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي : أبو الفتوح سيف الدولة يرجع نسبه إلى حمير مؤسس الدولة الصنهاجية بتونس خلف أباه في الحكم كان من قادة المعز الفاطمي حكم بلاد المغرب للفترة (362–373هـ) ، عندما عزم المعز الفاطمي الذهاب إلى مصر سلم إليه أفريقية واعمالها وسائر أعمال المغرب توفي في موضع يعرف بـ (اوركلان) بمرض القولنج يوم الأحد 23 من ذي الحجة سنة (373هـ) للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص286 ؛ النويري ، نهاية الارب ، مج 24 ، ص 167–177 ؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج2 ، ص320 ؛ ابن خلدون ، العبر ، مج 6 ، ص155 .

[2] قبيلة صنهاجة : هي إحدى قبائل البرنس من البربر لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلوا من بطونهم حتى قيل أنهم ثلث البربر ، وتتكون صنهاجة من قبائل كثيرة حتى قيل انها تصل الى 70 قبيلة وتنقسم إلى دولتين عظيمتين احداهما دولة بني زيري بافريقية والثانية دولة الملثمين بالمغرب الأقصى والأوسط والأندلس للمزيد ينظر : ابن خلدون ، العبر ، مج6، ص666 ؛ السلاوي ، احمد بن خالد الناصري (ت1279هـ) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، د.ط ، دار البيضاء ، 1954 م، ج2 ، المقدمة.

[3] المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص1 .

التقدير السامي وعلامة لتبعيته ، ثم ألبسه زي قائد الجند وأهداه المعز أجمل خيوله ، وأمر سائر الناس بالسمع والطاعة له [1] .

ومهما يكن من أمر فإن ما قدمه بلكين ووالده زيري بن مناد [2] الصنهاجي وقبيلة صنهاجة من خدمات جليلة إلى الدولة الفاطمية أثناء ثورة الخوارج التي تزعمها أبو يزيد مخلد [3] .التي كانت تشكل خطراً حقيقياً على الخلافة الفاطمية[4] حتى

---

[1] النويري ، نهاية الارب ، مج 24 ، ص 167–168 ؛ ابن أبي الدينار ، محمد بن أبي القاسم القيرواني، (ت 1110هـ)،المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، تح : محمد شمام ، ط1 ، مطبعة 20 مارس ، تونس،1967م ، ص74 .

[2] زيري بن منادي الصنهاجي : وهو زعيم قبيلة صنهاجة في المغرب الأوسط الذي بنى مدينة أشير ، وكانت بينه وبين الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله اتصال ومودة وذلك بسبب محنة الفاطميين عندما هاجمهم أبو يزيد وحاصر المهدية ومنع المسيرة عنها ، فبعث اليهم زيري بألف جَمَل ضبطه واخرج معها مائتي فارس من صنهاجة وخمسمائة من عبيده ، قتل في شهر رمضان سنة (360هـ/970م) في أيام المعز لدين الله الفاطمي علي يد جعفر بن علي صاحب المسيلة من قبيلة زناته للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1، ص197، النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص 159–169 .

[3] أبي يزيد مخلد : مخلد بن كيدان بن سعد الله بن معني الزناتي النكاري ، ولد في واحة توزن ، كان أبوه تاجراً فتزوج جارية صفراء هوارية ، عاش في تاهرت عاصمة الدول الرستمية وظهر أمره في سنة (316 هـ) ، في أيام الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي لاقت ثورته تأييداً شعبيا واسعا من أتباع المذهب الاباضي حيث عاونه شيخ من الاباضيين في توزر يعرف أبي عمار الأعمى استمرت ثورته حتى خلافة إسماعيل المنصور بن القائم الذي استطاع ان يقضي عليه في شهر محرم سنة (336هـ) . للمزيد ينظر : ابن الأثير، الكامل ، ج7 ، ص 188–199 ؛ الداعي إدريس ، عماد الدين (ت 872هـ) ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من عيون الأخبار ، تح : محمد اليعلاوي ، د. ط، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، د. ت ، ص249 ؛ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص54–58؛ ابن عذاري ، أبو العباس احمد بن محمد (ت712هـ) ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، تح : ليفي بروفنسال ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت ، ج1 ، ص216 .

[4] إدريس ، عيون الأخبار ، ص717 .

وصـــل الأمر إلى محاصــرة عاصــمة الخلافة الفاطمية ، لذلك اراد المعز الاعتراف بفضـله وفضـل والده ، ولا ننسـى ان المعز كان يدرك ان لبلكين اتباعاً كثراً تسـاعده في الدفاع عن البلاد[1] فضـلاً عن الى ذلك كان بلكين يتمتع بسـلطات واسـعة منها سلطة حربية فهو قائدا للجيش ، وسلطة مالية لانه كان يشرف على جميع الضرائب ، فضلا عن السلطة الإدارية لانه كان يحكم جميع الولاة حيث كانوا تحت قيادته[2].

اســـتبعد احد المؤرخين المحدثين رواية ان المعز يعرض الولاية على زعيم زناتي هو عدو للصـــنهاجين[3] ، لكن نســـتطيع ان نقول بل العكس ان هذه الرواية واردة وذلك رداً على جعفر بن علي الزناتي وكناية به . لذلك اختار المعز بلكين العدو الأكثر حقداً وكرهاً على جعفر . حيث ذكر النويري[4] ((لما وصـــلت الأخبار بما فعله يوســـف بالزناته أعجبه ذلك وســـر بقتلهم فزادهُ المعز على ما كان لأبيه المســـلية وأعمالها التي كانت لجعفر بن علي)) ، وهناك رأي أن جعفر خرج على طاعة المعز بعد ان وقع اختياره على بلكين فضـــلاً عن العداء الذي اســـتحكم بينه وبين زيري بن مناد وابنه بلكين فقد ذكر لنا الأســـتاذ جؤذر[5] ما كان بينهما وقال: ((وكان بينه وبين يوســـف بين زيري خلافا كبيراً ، مما حمل الخليفة المعز للتوســـط بينهما)) ، وهذا ان دل على شـــيء فإنما يدل على صـــدق الرواية على أن المعز في بادئ الأمر اختار جعفر بن علي حاكم المسيلة .

خرج الخليفة المعز الفاطمي من ســـردانية [6] ، ومعه أبو الفتوح فســـلم إليه افريقية وأعمالها وســـائر أعمال المغرب ، وفوض إليه جميع الاعمال، إلاّ جزيرة

---

[1] ابن الاثير ، الكامل ، ج6 ، ص624 .

[2] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل ، د.ط ،الاسكندرية ،1999م، ص182 .

[3] مؤنس ، حسين ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ط2، القاهرة،2004م ، ص155 .

[4] نهاية الإرب ، ج24 ، ص167–168 .

[5] سيرة الأستاذ جؤذر ، ص100 .

[6] سردانية : جزيرة على طرف بحر الشامي وهي كثيرة الجبال قليلة المياه وقد سميت بذلك نسبة إلى ساردون بن هرقل إذ قصدها بجمع عظيم وحاصرها وفتحها للمزيد ينظر : ياقوت الحموي

صـقلية[1] فإنها كانت بيد أبي القاسـم علي الكلبي[2] ، وسـلم طرابلس[3] الى عبد الله بن يخلف الكتامي[4] ، وعهد الخليفة الفاطمي بالجباية في افريقية الى زيادة الله بن

، معجم البلدان ، ج2 ، ص 209 ؛ البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص205؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص214–315 .

[1] صـــقلية : هي جزيرة مقابلة لافريقية كبيرة البلدان والقرى والأمطار قبل الإســـلام كانت قليلة العمارة خاملة . فلما فتح المســـلمون بلاد افريقية هرب اهل افريقية الى صـــقلية فاقاموا بها وعمروها ، فتحت في أيام بني الاغلب على يد القاضـي اسد بن الفرات وهي على شكل مثلث متســـاوي الســـاقين تحاذيها من بلاد المغرب افريقية وباجه وطبرقة . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص417–418 .

[2] أبي القاسـم الكلبي : هو أبو الحسـن علي بن ابي الحسـين الكلبي ، أول الأمراء الكلبيين في صقلية تولى حكم صقلية سنة (336هـــ) وقمع الثورة التي حدثت فيها واستطاع ان يهزم ملك الروم ، تولي سـنة (345هـــ) . للمزيد ينظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص156 ؛ عبد الحميد ، ســـعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي وبني زيري الصـــنهاجيين الى قيام المرابطين، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، د ، ط ، د. ت ، ج3 ، ص263–264 .

[3] طرابلس : من مدن افريقية وهي مدينة كبيرة ازلية على ســـاحل البحر من أول مدن افريقية على الساحل وقيل مدينة الناس دخلها عمر بن العاص سنة 23هـــ ولها سور بناه هرثمة بن اعين في حين ولايتــه . للمزيـد ينظر : يــاقوت الحموي، معجم البلـدان ، ج4 ، ص24–26 ، ؛ مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص110–112 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص389–390 .

[4] عبد الله بن يخلف الكتامي : هو الوالي على طرابلس في عهد المعز حيث كان اســيراً عنده. للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ، ص331 ؛ ســـعد زغلول ، تاريخ المغرب الكبير ، ج3 ، ص281 .

القديم[1] الذي اوصـــى به الخليفة خيرا ، وبإدارة الخراج الى عبد الجبار الخرســاني وامرهم بالانقياد ليوسف بن زيري[2] .

أشـــار المقريزي [3]إلى أن الخليفة المعز لدين الله في اثناء التوديع اوصـــى بلكين وصايا كثيرة كان أهمها عدم رفع الجباية عن أهل البادية وعدم رفع السيف عن البربر فضــلاً عن عدم تولية أحد من اخوته أو أبناء عمه لأنهم يطمحون في الحكم وأن يعامل أهل الحاضرة بالخير.

---

[1] زيادة الله بن القديم : ابو نصـر زيادة الله بن القديم من اسرة بني القديم الذين خدموا في ديوان الخراج الاغلبي ثم الفاطمي على ايام المهدي وتنقل في وظائف الدولة فكان نظيراً للدواوين ثم مدير الادارة المالية ، توفي معتقلاً في جيش بلكين في 11 جمادى الأول سنة (366هـــ) بعد حربه مع عامل بلكين عبد الله الكاتب . للمزيد ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، مج7 ، ص281 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص125 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24، ص172 ، ســـعد زغلول ، تاريخ المغرب الكبير ، ج3 ، ص304 .

[2] ابن الاثير ، الكامل ، مج 7 ، ص281 .

[3] اتعاظ الحنفا، ج1 ، ص177 .

توجه المعز لدين الله الفاطمي من المنصــورية[1] الى ديار مصــر في ســنة 361هـ[2] فخرج في موكب ضخم تتقدمه توابيت آبائه (المهدي[3] والقائم بأمر الله[4] والمنصــور بالله [5] ليدفنوا في مصــر [6] ، مما يدل على انه قد ولى ظهره للمغرب

---

[1] المنصورية : هي مدينة اسسها ابو الظاهر إسماعيل الخليفة الفاطمي الملقب بالمنصور سنة (337هـــ) تخليدا لذكرى انتصــاره على ابي يزيد مخلد وهي على مقربة من القيروان اتخذها حاضــرة لدولته للمزيد ينظر : مؤلف مجهول ، الاســتبصــار ، ص128–129 ؛ ابن عذاري، البيان ، ج1 ، 219 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص80–81 .

[2] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص169 .

[3] المهدي :هو عبد الله بن محمد الحبيب بن جعفر بن اسـماعيل بن جعفر الصــادق، وقيل هو ابو محمد وقيل ابو عبد الرحمن وباقي نسبه قد اختلف فيه ، مؤسس دولة الفاطميين أصحاب مصر مولده بسلمية بسورية بويع في القيروان وقيل في رقادة سنة (297هـــ) وبعث الولاة الى طرابلس وصـقلية وبرقة حاول امتلاك مصـر فلم يسـتطع مات بعد ان حكم 24 سـنة . للمزيد ينظر : ابن الأثير ، ج28 ، ص90 ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج1 ، ص272 ؛ ابن حماد ، أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم ، ص116 .

[4] القائم بأمر الله : ابو القاسم محمد بن المهدي عبيد الله ، مولده بسلمية في سنة (278ه) دخل المغرب مع ابيه فبويع عند موت ابيه في سنة 322ه خرج عليه ابن طالوت في ناحية طرابلس وابي يزيد مخلد في ناحية جبل اوراس وتوفي في اخر يوم من شوال في سنة 341هـــ . للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص19 ؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج2 ، ص232

[5] المنصـور بالله : المنصـور ابو الطاهر إسماعيل بن القائم ولي بعد ابيه وحارب ابا يزيد مخلد وانتصــر عليه واســره وبنا مدينة المنصــور مكان الواقعة حيث كان بطلا شـجاعا رابط الجأش فصيحاً ، خرج في رمضان سنة (341هـ) الى مكان يشتره فأصابه برد وريح فأثر فيه ومرض ومات في شــوال في الســنة نفســها قيل ولد بالمهديه في اول ليلة في جمادى الاخرى ســنة (303ه) وقيل ولد بالقيروان في سنة (302ه) . للمزيد ينظر : الذهبي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن عثمان (ت748هــ) ، سير اعلام النبلاء ، تح: شعيب الارناؤط ا، ابراهيم الزيبق ، مؤســســة الرســالة ، بيروت ، ج15 ، ص156 ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص234 .

[6] ابن كثير ، ابو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـــ) ، البداية والنهاية ، تح: عبد المحســن التركي ، ط1 ، دار هجر ، مصــر ، 1998 ، ج15 ، ص291 ؛ الجبرتي ، عبد

ورغبته في الاســتقرار في مصــر نهائياً ، وذلك بسـبب المتاعب التي لقيها الأئمة الفاطميين في حكم المغرب وهذا يظهر من قول المعز الفاطمي :((وقد ابتلانا برعاة الحمير الجمال فإنا لم نزل نتلطف في هدايتهم ومســايرة أحوالهم الى ان يختم الله لنا بالحسن والخروج من بين أظهرهم على احمد حال كفانا الله بفضله واعاننا برحمته))[1] .

ودع يوســف الخليفة الفاطمي ورجع فدخل الى المنصــورية في ســنة (362هــ/972م) ونزل بقصر السلطان وخرج إليه أهل القيروان[2] وتلقوه واظهروا الفرح بقدومه والبشرى والسرور[3] ، وفي الوقت نفسه وصل الخليفة الفاطمي المعز

الرحمن بن حسن (ت1237هــ) ، تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، دار الجيل ، بيروت ، ج1 ، ص25–26 ؛ بن اياس ، محمد بن احمد الحنفي المصري ، (ت930هــ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ج1 ، ص57 .

[1] القاضي ، ابو حنيفة بن ابي عبد الله محمد بن احمد بن صيون التميمي المغربي (ت363هـ) ، المجالس والمســايرات ، تح : الحبيب الفقي وآخرون ، ط1 ، دار المنتظر ، بيروت ، ص396–397 .

[2] القيروان : هي قاعدة بلاد افريقية وام مدائنها كانت اعظم مدن المغرب وأكثرها بشراً وأيسرها أموالاً وأوسعها أحوالاً وتجارة ،وكانت مدينة صبرة متصلة بها، بنيت سنة 50هـ من قبل القائد عقبة بن نافع القرشي . للمزيد ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج4 ، ص420 ؛ مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص113 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص 486–487 .

[3] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص170 .

لـدين الله إلى الاســـكندريـة[1]ومنهـا ســـــار إلى القـاهرة[2] التي دخلهـا ســـنـة (362هـ/972م)،ومنذ ذلك الوقت أصبحت القاهرة عاصمة للدولة الفاطمية[3] .

ما كاد نائب الخليفة الفاطمي في بلاد المغرب أبو الفتوح ان يباشـــر شـــؤون امارته الجديدة حتى اضـــطربت الأوضـــاع في البلاد ، فثارت عليه قبيلة زناته[4]

---

[1] الاسـكندرية : مدينة من ديار مصـر بناها الاسـكندر بن فيلش المقدوني فنسـبت اليه عندما اسـتقام له ملكه في بلاد روما وقيل بنى الاسكندر ثلاث عشـرة مدينة وسـماها كلها باسـمه ثم تغيرت اســمائهن فيما بعد الا الاســكندرية بمصـــر . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص182–184 ؛ المؤلف مجهول ، كتاب الاسـتبصـار ، ص91 ؛ الحميري، الروض المعطار ، ص54–56 .

[2] القاهرة : مدينة بجنب الفسـطاط وهي من المدن العظمى وأول من أحدثها جوهر غلام المعز لدين الله الفاطمي فيها دار الملك ومســـاكن الجند ، بدأ جوهر الصـــقلي تخطيطها في ليلة وصـوله الى مصر سنة (358هـــ /968م) . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج4 ، ص301 ؛ بن تغري البردي ، جمال الدين أبي المحاسن (ت874هـــ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تح : محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ت1992 ، ج4 ، ص35 ؛ ناصر خسرو علوي ، سفرنام ، ترجمة : يحيى الخشاب ، الهيئة المصـرية العامة للكتاب ، د. ط ، ت1913 ، ص102–103 ؛ النجار ، شـاكر مصـطفى ، المدن في الاسـلام حتى العصـر العثماني ، ط1 ، الكويت ، 1988 ، ج1 ، ص24 ؛ هيفاء عاصم ، مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية (358–567هــ/968–1171م) ،دراسة في النظم السياسية والمعالم الحضارية ، اطروحة دكتوراه ،غير منشورة، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ص274 .

[3] سرور ، محمد جمال الدين،الدولة الفاطمية قيامهاببلاد المغرب وانتقالها الى مصـر الى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصـة بالجيش،د.ط ،دار الفكر العربي. القاهرة.د .ت ص74 .

[4] قبيلة زناته : وهي إحدى قبائل البربر ســـكنوا الخيام واتخذوا الابل وركوب الخيل كثروا في المغرب الأوسط وانتشروا في المغرب الاقصى وهم ينتسبون الى شانا بن يحيى بن صولات بن ورنتاج بن ضــــري بن ماذانمس بن هرك بن هرنق بن كراد بن مازيخ بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام . للمزيد ينظر : ابن حزم ، محمد بن سعيد الاندلسي، جمهرة انساب العرب تح: محمد عبد الســلام هارون ، د. ط ، دار المعارف ، مصــر ، د.ت ، ص461–486 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص3–31 .

يساعده الأمويون في الأندلس[1] وفي المغرب الأوسط[2] وصل بلكين إلى باغايه[3]، فولي عليها عامله وأوصـــاه بالرفق بأهلها ولكن ما ان اســـتأنف بلكين طريقه نحو المغرب حتى ثار أهلها على عاملهم الجديد . فوجه يوسـف جنوده نحوهم فهزموهم[4] ، ثم وصـــلت إليه أخبار أهل تاهرت[5] الذين خالفوه ، فســار إليهم وقاتلهم ثم أراد

---

[1] الأنـدلس : هي جزيرة في آخر الإقليم الرابع الى المغرب وهي طيبـة التربـة كثيرة الفواكـه والخيرات بها مدن كبيرة مثل اشـبيلية ومالقا وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسـية وغيرها واسـم الأندلس باللغة اليونانية اشبانيا وهي على شكل مثلث فتحها المسلمون أيام حكم الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة (92هـــ) كان فتحها من اعظم الفتوحات الإسلامية الذائعة الصيت . للمزيد ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص32-35 .

[2] المغرب الاوســط : قاعدتها تلمســان وجزائر بني مرغنة واهلها جميعهم مســلمون ، فان حد المغرب الاوسط من وادي مجمع وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول وفي العرض من البحر الذي على الســـاحل من البلاد مثل مدينة وهران ومليلة الى مدينة تنزل وهي مدينة في أول الصـحراء وعلى الطريق الى سلجماسة . للمزيـد ينظر : يـاقوت الحموي ، معجم البلـدان ، ج1 ، ص324 ؛ المؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص176.

[3] باغية : وهي مدينة عظيمة فيها اثار الاوائل وهي تحت جبل اوراس الذي يشـق بلاد المغرب وافريقية وهي في اقصـى افريقية بين مجانة وقسنطينة . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص325 ؛ مؤلف مجهول ، الاســتبصـــار ، ص163 ؛ ابن حوقل ، صـــورة الارض ، ص84-85 .

[4] ادريس ، الهادي روجيه ، الدولة الصـنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من (القرن 10 إلى القرن 12 ميلادي) ، ترجمة: حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1912م ، ج1 ، ص82 .

[5] تاهرت : او تهريت اســم لمدينتين متقابلتين باقصـــى المغرب يقال لاحدهما تاهرت القديمة والأخرى المحدثة وبينهما وبين المسـلية سـت مراحل وهي بين تلمســان وقلعة بني حماد وهي كثيرة الضـباب والامطار وكانت تسـمى قديما عراق المغرب ولم تكن سـابقا في طاعة صـاحب افريقية ، وقيل انها مدينة مســورة لها اربعة ابواب باب الصـــفاء وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن اســسـها عبد الرحمن بن رسـتم بن بهرام وكان مولى لعثمان بن عفان. للمزيد ينظر : يـاقوت الحموي ، معجم البلـدان ، ج2 ، ص8-9 ؛ ابن عـذاري ، البيـان، ج1 ، ص196 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص126 .

الرجوع الى باغية فأتاه الخبر أن زناته قد نزلوا على تلمســان[1] ، فرحل اليهم فهربوا وحاصر تلمسان مدة فنزلوا على حكمه[2] ، بيد أن بلكين ما لبث أن عاد ادراجه الى القيروان ، حيث صـدرت له الاوامر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بإلاّ يتعدى هذه الحدود كما نهاه عن التوغل في بلاد المغرب . عاد بلكين (يوسف) الى المغرب بعدما ترك عاملا على القيروان وصبرة[3] يقال له جعفر بن تمرت وابقى معهما عددا كبيرا من الخيالة[4] .

أدرك الأمير بلكين أن تنظيمات المعز الفاطمي الإدارية والمالية تشكل عائقا يحول دون ممارسته السلطة ، فعين عبد الله بن محمد الكاتب[5] بدلا عن جعفر بن تمرت على أثر ما كتبه ابن القديم إلى الأمير بلكين بموت جعفر وسأله أن يرسل اليه عاملا بدلا عنه يعاونه على شؤون البلاد[6] .

---

[1] تلمسان : وقيل هي تنمسان وهما مدينتان متجاورتان احداهما قديمة والأخرى حديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان ، اما اسم المدينة القديمة فيعرف بأقادير يسكنها الرعية فيها كالفسطاط والقاهرة في مصر للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2، ص44 ؛ البكري ،المسالك والممالك ، ص76–79 .

[2] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص170 .

[3] صبرة : وهي مدينة قريبة من مدينة القيروان وتسمى المنصورية من بناء مناد بن بلكين سميت بالمنصورية نسبة إلى المنصورين يوسف بن زيري بن مناد ، اما صبره فبناها اسماعيل ابن ابي القاسم بن عبيد الله سنة 337 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص391 ؛ البكري ، المسالك والممالك ، ص10–25 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص354 .

[4] ادريس ،الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص83 .

[5] عبد الله بن محمد الكاتب : هو من بني الأغلب كان أبوه أميراً أغلبياً هرب الى نفزاوة فولد عبد الله في تلك المدينة وتربى في بيت خاله كان فصيحاً بلغة العرب ولسان البربر فاستكتبه زيري وهو صبي شاب ، ثم استكتبه ابو الفتوح بلكين ثم عينه بلكين نائبا له في القيروان وصبره الا انه رفض رفضاً باتاً المنصب الجديد الا ان بلكين هدده بالقتل فقبل المنصب مرغما . للمزيد ينظر : النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص171–172 ؛ جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى ، ص182 .

[6] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص171 .

وصل عبد الله الكاتب الى القيروان ، فكان باستقباله عامل الخراج ابن القديم، تعانقا واتفقا وصارت كلمتهما واحدة ، إلا أن هذا الوفاق لم يدم طويلا بسبب تضارب الســــلطة بينهما على أثر فتنة عظيمة حدثت في القيروان ، فانحاز بلكين الى جانب نائبه ضد عامل الخلافة مما ساعد عبد الله الكاتب أن يتغلب على ابن القديم، وأرسله الى الامير بلكين فحبسه حتى مات ، وبذلك استبد الكاتب بجباية الأموال وحده[1] .

على اثر اعتقال ابن القديم وبالتحديد في سنة (364هـــ/974م) اعتصم أحد مســاعديه الذي يدعى خلف بن خير[2] في قلعة منيعة واجتمع حوله خلق عظيم من ســـائر قبائل البربر . فكتب عبد الله الكاتب إلى الأمير بلكين يبلغه أن افريقية قد استوت كلها له. وأنه لا خوف عليها إلاّ من الذين اجتمعوا مع ابن الخير في القلعة، فرحل إليهم بلكين ونازلهم وظفر بهم ، فهرب خلف الى بلدة كتامة[3] ، قتل في القلعة أعداداً لا تحصى وبعث منها سبعة آلاف رأس طاف بها عبد الله الكاتب في القيروان ثم بعثت إلى مصر[4] ، توطد مركز بلكين بما احرزه من نصر على مناوئيه[5] ، واذا كان الخليفة المعز لدين الله لم يثر مسالة عزل عامله فمن المرجح أن مرد ذلك يرجع

---

[1] ابن الأثير ، الكامل ، ج8 ، ص622 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص172 .

[2] خلف بن خير : هو احد ثوار المغرب ، اجتمع إليه خلق كثير من قبائل البربر ومن ضـمنهم قوم بني هراش وهم من اهل جبال الاوراس فزحف اليه ابو الفتوح يوســف بن زيري وقد قبض عليه جنود أبي الفتوح في بلاد كتامة مع ابنه توفي سنة 364هــ للمزيد ينظر : ابن الأثير ، ج8 ، ص653 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص313 ؛ المقريزي ، المقفى الكبير ، ص246 ؛ سعد زغلول ، تاريخ المغرب الكبير ، ج3 ، ص305 .

[3] كتامة : وهي قبيلة كبيرة من البربر البرانس ينســبون الى كتم بن برنس ويقيمون فيما يعرف ببلدة كتامة وتعد من اشــد قبائل البربر بأســا وتمتد حدودها من جبل اوراس في الجنوب الى سـيف البحر مابين بجاية وبونة . للمزيد ينظر : ابن حزم ، جهرة انســاب العرب، ص495 ؛ الادريس ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس (ت560هــ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، د. ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د. ت ، ص70 .

[4] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص173 .

[5] حسـن خضـيري ، علاقات الفاطميين في مصـر بدول المغرب(362-567هــــ/972م-1171م) ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص38 .

إلى سـياسـته المرنة التي انتهجها والتي ضـمنت له مظاهر تبعية بني زيري دون التعارض مع ما كان يطمحون إليه من الاستقلال[1] .

بلغ نبأ وفاة الخليفة المعز الذي أدركته المنية في سنة (365هـ/975م) ، إلى الأمير بلكين وولاية ابنه العزيز بالله[2] ، فبعث بلكين بهدية ثمينة إلى الخليفة العزيز بالله كدليل على الطاعة والإخلاص فأرسل الخليفة الجديد سجلاً بتجديد ولاية بلكين للمرة الثانية على المغرب[3] ، وأرسل دراهم ودنانير مضروبة باسمه إلى المغرب[4] ، مما يضفي على بلكين الشرعية في حكمه ويؤكد تبعية بلاد المغرب للخلافة الفاطمية بالقاهرة واستمرت العلاقة طيبة بين الطرفين[5] .

---

[1] طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص256 .

[2] العزيز بالله : هو ابن المعز لدين الله ابي تميم معد بن منصـور بنصـر الله ابي الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله ابي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله ، امه أم ولد اسمها درزان ولد بالمهدية يوم الخميس 14 من محرم لسنة 344هـ ولي العهد بمصر وبويع سنة 365هـ . كان كريما وشجاعا حسن الاخلاق قريباً من الرعية. للمزيد ينظر : ابن حماد ، اخبار الملوك بني عبيد وسـيرتهم ، ص101 ؛ ابن سـعيد المغربي ، ابو الحسـن نور الدين الغرناطي (ت685هـ) ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تح : حسين نصار ، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1970م ، ص48 ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج5 ، ص371 .

[3] ابن ابي الدينار ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، ص74 .

[4] ابن الأثير ، الكامل ، ج8 ، ص267 ؛ المقريزي ، الخطط المقريزية المسـماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج6 ، ص60 .

[5] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص38 .

في اطار العلاقة الودية كتب الأمير الضـــــهاجي بلكين إلى الخليفة الجديد العزيز في سنة (367هــ/977م) ، يسأله ان يضم طرابلس وسرت[1] واجدابية[2] إلى عمله ، فاســـتجاب له العزيز بالله وعقد له عليها[3] ثم تطلع الى المغرب الأوســـط والأقصى للقضاء على الزناتيين والأمويين في الأندلس[4]

---

[1] سرت : هي مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر في برقة بينها وبين طرابلس 230ميلاً وبينها وبين البحر ميلان وعليها أسوار تراب ويجد فيها نخل ويعرف أهلها بعبيد قرلة ويغضبون لذلك وهم احسن الناس خلقا وأسوأهم معاملة لا يبيعون ولا يبتاعون إلا بسعر قد اتفقوا عليه. للمزيد ينظر : مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص109 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص312 .

[2] اجدابية : مدينة في حيز برقة وهي اخر ديار لواته ، البحر منها على بعد 4 اميال وفيها يهود ومسلمون ويطوف بها خلق من البربر وليس فيها ماء جاري وهي طيبة الهواء، وبها عين ماء ثائرة وعذبة ، ولها بساتين ونخيل كثيرة وبها جامع حسن البناء له صومعه مثمنة بديعة العمل للمزيد ينظر : مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص144؛ الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص172 .

[3] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص173 .

[4] ابن خلدون ، العبر ، مج6 ، ص166 .

ففي سنة (369هـــ/979م) ، رحل الأمير بلكين الى فاس[1] وسجلماسة[2] فملك ذلك كله وطرد عمال بني امية ، ثم اتجه نحو ســـبتة[3] ، يطلب ممن لجأ اليها من الزناتيين ، فتقدموا بصعوبة عبر الادغال فحرق اشجارها ومن اعلى الجبال اشرف على المدينة فابصر على معسكر الزناتيين المنتصب في اسفل اسوار القلعة فتعجب من كثرة الرجال ، فعلم انه لا يســـتطيع التغلب عليهم الا بالمراكب فقال : ((هذه افعى فغرت الينا فاها))[4] فرجع عنها ومضـــى يريد البصـــرة[5] فلما علم أهلها وهم من الزناتيين هربوا جميعهم ، فدخل بلكين البصـــرة وأمر بنهبها وهدمها ثم حرقها

---

[1] فاس : مدينة عظيمة هي قاعدة المغرب وهي قطب بلاد المغرب الاقصـــى بناها ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب ،ويسكن حولها قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون العربية وهي مدينة محدثة عبارة عن مدينتين مقترنتين يشـــقهما نهر كبير يســـمى وادي فاس وفيها جامع عدوة الاندلس وجامع عدوة القرويين للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص230 ؛ مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص180، الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ،ص76 .

[2] سجلماسة : هي مدينة عظيمة من اعظم مدن المغرب تقع في جنوب المغرب في طرف بلاد الواد بينها وبين فاس 10 ايام تلقاء الجنوب وهي في منطقة جبل درن يمر بها نهر كبير يسكنها قوم من مسوفة رحل لا يستقر بهم مكان أسســها مدرار بن عبد الله وكانت قبل ذلك سوقا للبربر . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص192 .

[3] سبتة : بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس مرساها اجود مرسى على البحر وهي مدينة محصنة تشبه المهدية وهي عبارة عن سبعة اجبل صغار متصلة ببعضها ببعض يتصل بها من جهة المغرب جبل موسى وهو منسوب الى موسى بن نصير ومن جهة الشرق جبل عال اعلاه بسيط في اعلاه سور بناه محمد بن أبي عامر حين جاز اليها من الأندلس واراد ان ينقل المدينة الى اعالي هذا الجبل لكن عجز أهالي ســـبتة عن الانتقال .للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص182–183 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص303 .

[4] ابن خلدون ، العبر ،ج6 ، ص167 ؛ الهادي روجر ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ،ص91 .

[5] البصـــرة : وهما بصـــرتان العظمى في العراق والأخرى في المغرب اما بصـــرة المغرب فهي مدينة تقع بين طنجة وفاس وهي أوســـع تلك البلاد مرعى وأكثرها ضـــرعا ولكثرة البانها عرفت ببصـــرة الذبان ، وتعرف بالحمراء لانها حمراء التربة ولها عشـرة أبواب . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج1 ، ص440 ؛ البكري ، المسالك والممالك ، ص10 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص108 .

، ثم واصـل المسـيرة حتى وصـل بعسـاكره الى بلدة برغواطة[1] فغزاهم أبو الفتوح ، وكانت بينهم حرب شـديدة لم يرَ مثلها فكان الظفر للمسـلمين فقتلهم بلكين قتلا ذريعا[2] .

هكذا شـهدت الدولة الزيرية أوج اتسـاعها خلال فترة حكم بلكين[3] ، فقد كانت المكاتبات الرسمية والسجلات تصـل من حاضـرة الخلافة الفاطمية عن طريق البريد اثناء تواجد بلكين في مواقع القتال[4] ، فقد طلب الخليفة العزيز من بلكين ان يرسـل له ألف فارس ومعهم بقية إخوته ابناء زيري الى مصـر ، فلم يسـتجب بلكين لأمر الخليفة ، واعتذر بانشـغاله بالخطر الذي يشـكله بنو امية على المغرب الأقصـى[5] وانه قد خرج بهؤلاء الرجال لمحاربتهم ، فلم يصـر الخليفة في طلبه واكتفى بهذا الرد[6] ، واستمرت العلاقة بين الدولة الزيرية في المغرب والخلافة الفاطمية في مصر بالصـفاء والهدوء وتمثلت بالتبعية المطلقة للخليفة الفاطمي سـواء في المذهب الاسماعيلي[7] ، او الحكم المتمثل بإرسال الأموال إلى القاهرة ، ونقش اسم الخليفة

---

[1] برغواطة : هي قبيلة من قبائل البربر كان يحكمهم رجل يعرف بصـالح بن عبد الله دخل العراق ودرس شـيئا من النجوم وكان بربري الاصـل مغربي المولد افسـد عقول اهل برغواطه وفرض عليهم طاعته للمزيد ينظر :ابن حوقل ،صورة الارض،ج1 ،ص60–61 .

[2] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص175–176.

[3] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص42 .

[4] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص328 .

[5] المغرب الأقصـى : سـمي الاقصـى لانه ابعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة في صـدر الاسـلام ويحده من جهة المغرب البحر المحيط ومن جهة المشـرق وادي ملوي مع جبال تازه ومن جهة الشـمال البحر الرومي ويقصـد به بحر الابيض المتوسـط ومن الجنوب جبال درن وفي تقسـيم الفرنجة ان المغرب الاقصـى يشـمل على خمسـة عمالات فاس ومراكش وعماله السوس ودرعة وعمالة تافيلات . للمزيد ينظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص162 .

[6] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ص184 .

[7] المذهب الاسـماعيلي : هو المذهب الذي تدعوا اليه الفرقة الشـيعية التي تؤمن بإمامة اسـماعيل بن جعفر الصـادق وتؤمن بان الامامة لا تنتقل من اخ الى اخ ، وان الامام جعفر الصـادق (υ) كان قد نص على امامه ولده اسماعيل قبل وفاته ولا تعترف بامامه ابنه موسـى الكاظم (υ) . للمزيد ينظر : النوبختي ، ابو محمد الحسن بن موسى (ت282هـ)، فرقة الشيعة ، تصحيح : زيزر ، استانبول ،د.ت، ص27–28 .

على السكة والدعاء له من على المنابر ، يتضح مما تقدم ان بلكين بن زيري ظل على سياسة التبعية للمغرب بعد انتقال الخلافة الى مصر واستمر على اخلاصه للخليفة المعز بالله طيلة حكمه[1] .

بعد وفاة بلكين بن زيري عام (373هـ/983م) ، خلفه على ولاية المغرب المنصور بن بلكين[2] الذي ابدى ميلا صريحا الى الانفصال الروحي والسياسي عن الخلافة الفاطمية[3] ، فقد اكتسب شعبية في افريقية ، وفي نفس الوقت لا يريد الخضوع للأوامر الصادرة من القاهرة فقد واتاه عبد الله الكاتب مع مشايخ القيروان والقضاء وأصحاب الخراج فعزوه بأبيه وهنئوه بالولاية فأكرمهم واعطاهم عشرة الاف دينار ، فدعوا له وشكروه فقال لهم :((ان ابي وجدي اخذ الناس بالسيف قهرا ، وانا لا اخذ الناس الا بالاحسان ، ولست ممن يولي ولا يعزل بكتاب . ولا أحمد في هذا الملك الا الله ويدي . وهذا الملك مازال في يد ابائي واجدادي وثناه عن حمير))[4] .

حاول المنصور بن بلكين ان يبين حقيقة موقفه في افريقية والمغرب من الدولة الفاطمية في مصر فقام بتجديد الجهاز الإداري معبرا عن رغبته في الاستقلال فعين عمه ابا البهار بن زيري[5] عاملا على المغرب الاوسط ومركزه تاهرت ،

---

[1] ابن الاثير : الكامل ، ج7 ، ص121 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص343 ؛ العبادي ، احمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، د. ط ، دار النهضة العربية بيروت ، د. ت ، ص212 .

[2] المنصور بن بلكين : هو المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد ثاني حاكم لدولة الزيرية بويع له بالامارة في مسجد القيروان ولي بعد أبيه ابو الفتوح في سنة (372هـ). للمزيد ينظر: ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص321 ، ينظر ملحق رقم (2) جدول الخلفاء الدولة الزيرية .

[3] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ص184 .

[4] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص178 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص343 .

[5] ابا البهار بن زيري : هو عم المنصور بن ابي الفتوح (بلكين) بن زيري بن مناد الصنهاجي خرج على ابن اخيه في سنة (379هـ) فخرج اليه المنصور فهرب امامه الى المغرب تاركا تاهرت فدخل عساكر المنصور تاهرت ثم بعث ابي البهار الى ابن ابي= =عامر يسأله الدخول في طاعته وبذلك كتب ابن ابي عامر الى زيري بن عطية في حقه ان يعاضده وينصره

واعطى اخاه العســاكر ووجهه الى مدينتي فاس وســلجماســة يطلب ردهما، حيث خرجت عن طاعته صنهاجهة عند وفاة ابي الفتوح بلكين ، فاقتتلا قتالا شديدا، حتى انهزم اخاه وظفرت زناته بصنهاجة ، وفي تلك الفترة أمر المنصور ان يعمل بالقيروان أبواباً من حديد وامر ببناء قصــره الكبير ، ولم يتعرض المنصــور بعد ذلك الى بلاد زناته[1] .

كــان التــأييــد الفــاطميين لبني زيري تــأييــدا معنويــا ، بيــد ان الخليفــة الفاطمي العزيز بالله قد شعر بقوة المنصــور بن بلكين فرأى ان يعمل على إضـعافه بإثارة القبائل ضــــده وهي الســـياســـة التقليدية التي اتبعها الفاطميون دائما مع البربر من قبــل[2] ، لــذلــك أرســـل داعيــا إلى كتــامــة يــدعى ابو الفهم الخرساني[3] ، بقصد تأليب قبيلة كتامة الذين كانوا يحسدون صنهاجة[4] ففي سنة (376هــ/986م) وصل أبو الفهم إلى المنصورية في مهمة سرية أرسله بها الخليفة الفاطمي ، وكان حاكمها في ذلك الوقت هو يوسف بن عبد الله بن محمد الكاتب[5] ،

ويكون معه فوصل ابو البهار الى فاس واتفق مع زيري بن عطيه صاحب فاس . للمزيد ينظر : ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص244 .

[1] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص240 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص24 .

[2] ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ، ص133–140 ؛ المقريزي ، الاتعاظ ، ج1 ، ص263 ؛ العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص213–214 .

[3] ابو الفهم الخرساني : هو حسين بن نصرويه الخرساني خرج في سنة 376هـــ واجتمع اليه خلق كثير من كتامه . توجه الى المغرب بأمر من الخليفة الفاطمي وساعده في دعوته يوسف بن عبد الله الكاتب حيث مده بالاموال والخيل الكثير فتوجه بها الى كتامة وجمع العســاكر وعمل البنود وضرب السكة فعظم أمره وشاع خبره فقتله المنصور بن بلكين في سنة 378 . للمزيد ينظر : النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص25 ؛ سعد زغلول ، المغرب الكبير ، ج3 ، ص145 .

[4] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ص185 .

[5] يوسف بن عبد الله : هو ابن عبد الكاتب الذي حكم المنصورية توفي مع والده على اثر قيام وشاية عليهم فضربه المنصور فمات للمزيد ينظر : ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص242 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص102 .

فانزله يوســـف وأكرمه ، فطلب ابو الفهم الخروج الى بلدة كتامة ، وفي ذلك كتب يوســـف الى أبيه يبلغه بالأمر ، فكتب إليه عبد الله ان يعطيه ما أراد ويتركه يذهب حيث يشـاء ، فلما وصــل ابو الفهم الى كتامة ، تزايدت أموره وكثرت أتباعه فصـار يجمع العساكر ويركب الخيل ، وعمل بنودا وضرب سكة[1] ثم ارسل الخليفة الفاطمي العزيز بالله الى الأمير المنصـــور يخبره بترقية عبد الله الكاتب الى مرتبة الداعي[2] ففعل المنصور ذلك وامر أن يفرش له قصر السلطان المعروف بقصر الحجر وكان ذلك في سنة (377هـــ/987م) ، لذلك تعاظم شأن عبد الله الكاتب وبلغ ما لم يبلغه أحد من قرابة المنصـــور ورجال دولته[3] ، وانحصـــرت أمور المنصـــور كلها تحت قبضته الأمر الذي أثار عليه الأحقاد حتى من اقاربه فقد كان عبد الله كاتباً لا يداري أحداً من أولاد زيري ولا حتى أكابر الدولة ، وعندما تيقن المنصور من خطورة الداعي وما يهدد دولته حيث كان عبد الله الكاتب الســـبب في خروج الداعي ابو الفهم في كتامة، وانه كان يصغر خبره حتى تفاقم أمره واتهموه بمكاتبة يعقوب بن كلس[4] وزير الخليفة الفاطمي العزيز بالله في مصر[5] ارتاب المنصور من الكاتب وأراد ابقائه مع التحرز منه ، فقال له: ((اعتزل عمل افريقية واقتصر على الخاتم والكتابة ، وكل من تولى فهو متصرف تحت أمرك ونهيك)) ، فكان جواب الكاتب حيث قال :((القتلة ولا

---

[1] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص182 .

[2] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص241-242 .

[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص246 .

[4] يعقوب بن كلس : ابو الفرج يعقوب بن إبراهيم بن هارون بن داوود بن كلس توفي ســـنة (380ه/990م) الذي شغل منصب الوزير في سنة(368ه) في مصرفي عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وحصـــل على لقب الوزير الاجل ، في عهد وزارته قســـمت مهام الوزارة في مصـــر الى جزئين يعني وزارة التفويض ووزارة التنفيذ إي ارباب الاقلام. للمزيد ينظر : ابن الصيرفي ، أبي القاسم علي بن منجب بن سلمان ،(ت542هـ) ، الإشارة الى من نال الوزارة ، تح: عبد الله مخلص ، د. ط ، المعهد العلمي العربي الفرنســـي، القاهرة ، 1923م، مج 25 ، ص19 ؛ القلقشندي ، الشيخ ابي العباس احمد بن علي (ت821هـــ) ، صبح الاعشى في صـــناعة الانشـــا ، د. ط ، القاهرة ، 1984 ، ج3 ، ص491 ؛ المقريزي، الخطط ، ج1 ، ص349 ؛ هيفاء عاصم ، مدينة القاهرة ، ص98.

[5] النويري ، نهاية الارب ، ص ج 24 ، ص180 .

العزلة)) ، وبذلك وضـع نهايته بيده فقتله المنصـور يسـاعده في ذلك اخوه عبد الله وعمه ماكس بن زيري بطعنات الرماح فسقط على الارض كما لقي ابنه يوسف نفس المصير ، وكان ذلك في رجب من سنة (377هـ/987م)[1] توجهت انظار المنصور بعد ذلك الى الداعي الفاطمي ابي الفهم الخرسـاني ، الذي اسـتقر في منطقة القبائل الصغرى ، وعظم شأنه في كتامة ، فقام المنصور بإبلاغ الخليفة العزيز بهذا الموقف المقلق ، ولكن الخليفة لم يندهش لهذا النبأ لانه يوافق نواياه ، فأرسل العزيز رسولين من القاهرة لإبلاغ الأمير الزيري المنصـور بالا يقوم بأي محاولة تجاه أبي الفهم وانه في حالة عصـيان هذا الأمر سـوف تقبض عليه كتامة ويرسـلونه الى الخليفة في مصر مكبلاً بالحبال[2] .

لم يكن المنصـور من الذين يخضـعون لمثل هذه التهديدات ، فقام بحجز الرسـولين وجمع قوات صـنهاجة وحرسـه وزحف على بلاد كتامة للقضـاء على أبي الفهم[3] ، فقصـد مدينة ميلة[4] ، واراد المنصـور قتل اهلها وسـبي نسـائهم وذرايتهم، فخرجوا اليه يتضـرعون ويبكون ، فعفا عنهم وخرب سـورها ، وسـار منها الى كثامة والرسـولان معه فكان لا يمر بقصـر ولا منزل الا هدمه[5] حتى بلغ مدينة سـطيف[6] فاقتتلوا عندها فانهزمت كتامة وهرب أبو الفهم الى جبل وعر فيه ناس من كتامة : فارسل اليهم المنصور يتهددهم ان لم يسلموه فقالوا: ((هو ضيفنا ، ولا نسلمه ، ولكن ارسل انت اليه فخذه ونحن لا نمنعه)) ، فأرسل فأخذه وضـربه ضـربا شـديدا ثم قتله

---

[1] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص180 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ،ج6 ، ص291 .

[2] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ص185 .

[3] المرجع نفسه ، ص185 .

[4] ميلة : مدينة صـغيرة باقصـى المغرب بافريقية وهي قليلة الماء وهي احدى مدن الزاب للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص442 .

[5] ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ،، ص471 .

[6] سـطيف : مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من ارض البربر وهي صـغيرة الا انها ذات مزارع وعشب عظيم ومنها خرج الداعي عبد الله الشيعي . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج3 ، ص220 .

وسلخه واكلت صنهاجه وعبيد المنصور لحمه ، ثم عاد إلى اشير[1] ، ورد الرسولين الى العزيز فاخبره بما فعل بابي الفهم وقالا : ((جئنا من عند شـياطين يأكلون الناس)) فراسـل العزيز بالله المنصـور وطيّب قلبه وأرسـل اليه هدية ولم يذكر له ابا الفهم[2] .

ثم ثار ثائر اخر في بلدة كتامة ، يقال له ابو الفرج[3]حيث زعم انه من اولاد الأمراء الذين كانوا في المهدية ، وان اباه كان من أولاد الخليفة الفاطمي القائم ، جد المعز لدين الله[4] ، لذلك انضـوت تحت لوائه كتامه وكثرت جموعه واتخذ البنود والطبول ، وضـرب السكة ، ففعل أكثر مما عمله ابو الفهم ، وجرت بينه وبين نائب المنصـور وعسـاكره بمدينة ميلة وسـطيف حروب كثيرة ، ثم سـار إليه المنصـور ، فكانت بينهما حرب شـديدة انتهت بهزيمة ابو الفرج وقتل من كتامة مقتلة عظيمة ثم تمكن المنصـور من أبي الفرج حيث وجده متخفيا في غار في جبل فأرسـل اليه غلامان كانا له ، فأتيا به الى المنصور فسره ذلك وقتله شر قتلة[5] ، وقد أدت هزيمة كتامة وأعمال القتل فيها الى اضعافها بشكل مكن صنهاجة من بسط سيطرتها التامة على النصف الشرقي من شمال المغرب ، اما النصف الغربي فقد رأى المنصور ان يتركه لزناته والامويين في الأندلس[6] .

---

[1] اشير : بلدة وحصن بينها وبين المسلية مرحلة من بلاد الزاب بناها زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف باشـير زيري هي مدينة قديمة الا ان زيري بنى سـورها وحصّـنها فقط للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص144 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص59–60 .

[2] ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ، ص431 .

[3] ابو الفرج : هو محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي المغربي توفي سنة (478هـ)، استوزره المنتصر بالله الفاطمي سنة(450هـ) ولقبه الوزير الاجل الكامل الاوحد فاقام سنتين وشـهورا وعزل وولي ديوان الانشـاء واسـتمر فيه الى ان توفي بمصـر للمزيد ينظر : ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص47 ، المقريزي ، اتعاظ ، ج1 ، ص93 .

[4] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص184.

[5] ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ، ص440–441 .

[6] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص46 .

على الرغم من رغبة الخليفة الفاطمي العزيز بحصر سلطات التابعة للمنصور في بلاد المغرب ، الا انه كان يعلن عن ثقته لهذا التابع ، ففي سنة (382هـ/992م) ، تحســـنت العلاقات بين الطرفين على اثر ما قام به الخليفة الفاطمي العزيز حيث ارسـل مرسـوما للمنصـور يعترف فيه بابنه باديس[1] وليا للعهد[2] ، فسـر المنصـور بذلك الخبر وجاءته الهدايا من البلدان[3] ، ثم ارسل العزيز في سنة (384هــ/994م) هدية جليلة الى الأمير المنصـور فركب الأمير بنفســه وتلقاها[4] ومهما يكن من أمر فإن الامير مهما كانت رغبته في التحرر فهو يبقى بحاجه الى الخليفة لمســـاندة سلطانه وضمان استمرار سلالته الحاكمة[5] .

لم يطل عهد المنصور بن بلكين فقد توفي في ربيع الاول عام (386هـ/996) مخلفاً ابنه أبا مناد باديس وفي نفس العام توفي الخليفة الفاطمي العزيز بالله فتولى الخلافة من بعده ابنه الحاكم[6] ، فوصـــل ســـجل التولية من الحاكم بولاية أبي مناد

---

[1] باديس بن المنصـور: هو باديس بن منصـور بن يوسـف بن بلكين بن زيري صـاحب المغرب يكنى ابو مناد الصنهاجي ولي ممالك افريقية للحاكم كان سياسياً حازماً شديد الباس، ولد سنة (374هــ)، تولى الحكم بعد ابيه في سنة (386هــ) توفي فجاء الى الحكم بعده ابنه المعز بن باديس .للمزيد ينظر: لسان الدين بن الخطيب، اعمال الاعلام، ج2 ، ص322 .

[2] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ص186 .

[3] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص352 .

[4] ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص77 .

[5] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ص186 .

[6] الحاكم بأمر الله : هو ابو علي المنصــور ، الملقب بالحاكم تولى الحكم بعد وفاة والده العزيز وبعهد منه وكان حدثاً له من العمر 11 عاما ونصـف فتولى الوصـايه عليه ثلاثة هم= =مربيه وأستاذه برجوان الخادم الصقلي والحسن بن عمار زعيم قبيلة كتامة المغربية ومحمد بن النعمان قاضي القضاة انقسم حكمه على قسمين الاول بدا من عام (386هـــ) الى (390هـــ) كان الحاكم خلال هذه الفترة صــغيرا لا يفقه بشــؤون الحكم اما القســم الثاني فيبدأ من عام (391-411هـــ) وفيه استقل الحاكم بالشؤون العامة والسـلطة ، مر الحاكم في حياته بمراحل بدأت بســياســة العنف والقتل ثم تحول في المرحلة الاخيرة من حياته الى الزهد في الحياة توفي في ظروف غامضة ففي ليلة 27 شوال عام (411هـــ) خرج الحاكم و لم يعد يعرف عنه شيء . للمزيد ينظر : الانطاكي ، يحيى بن ســعيد ،(ت458هـــــ)،تاريخ الانطاكي المعروف تاريخ اورتيخا،مطبعة الاباء اليســـوعيين ،بيروت ،1909م، ص218 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ،

باديس ولقبه الحاكم بنصـير الدولة وسـجل اخر يخبره بوفاة والده العزيز بالله وثالث لأخذ البيعة للحاكم فجلس ابو مناد باديس ودعا للخليفة واخذ عليه الطاعة للحاكم[1].

احسن باديس استقبال مبعوث الحاكم ، وعندما عاد الداعي الى مصر حمله بالهدايا القيمة ، وتبادل الطرفان الهدايا في العام التالي ، الا ان هذه العلاقات لم تدم طويلا وذلك لان الزيريين خلال حكمهم لافريقية والمغرب الاوسط استطاعوا توطيد نفوذهم فيهما واستأثروا بالسلطة وجعلوا سيادة الدولة الفاطمية سيادة اسمية فقط ، لذلك اراد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ازالة سلطان بني زيري من اقليم طرابلس الذي كان يجاور مصر من جهة الغرب ، فكان الخليفة الحاكم يخشى ان يستولي عليها البربر، لقد استخدم الحاكم سياسة ضرب القبائل بعضها ببعض لاضعاف بني زيري في طرابلس ، منتهزا تحرك زناته هناك بقيادة فلفول بن سعيد الزناتي[2] ،

ص658 ؛ ابن ظافر ، جمال الدين ابو الحسن علي الازدي،(ت623هـ)، اخبار الدولة المنقطعة ، تح : اندريه فريه ، المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، 1972م ، ص58-59 ؛ عماد الدين ادريس ، عيون الاخبار ، ص303 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص115-121 ؛ ماجد ، عبد المنعم ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، القاهرة، 1909م ، ص21 .

[1] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص265 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص356-357 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص16 ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب الكبير ، الدار القومية ، الاسكندرية ، ج2 ، ص645 .

[2] فلفول بن سعيد : هو زعيم قبيلة زناته تولى ولاية طرابلس من قبل الخليفة الفاطمي وبقي والياً عليها حتى توفي في سنة (400هـ) بعلة اصابته. للمزيد ينظر : ابن عذاري ، البيان، ج1،ص250-251 ، ادريس ، الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص128-139 .

المعادي للزيريين ، فأرســـل الحاكم الى واليه في برقة[1] ، يانس الصـــقلبي[2] يأمره بالاســـتيلاء على طرابلس ، في ذلك الوقت كان قد دعا نصـــير الدولة باديس والي طرابلس ووعده بتسليمه المدينة[3] .

وفعلا دخل يانس الصقلبي طرابلس في سنة (390هــــ/999م)[4] الا انه لم يمكث فيها طويلا اذ اصــطدم به باديس بن المنصــور وقتله وتحصــن من بقي من افراد الجيش الفاطمي وراء اسوار المدينة فحاصـرهم القائد الزيري جعفر بن حبيب[5] وطلب هؤلاء النجدة من الخليفة الحاكم الذي أرســـل لهم يحيى بن علي بن حمدون الأندلس[6] وهو احد اعداء الزيريين على رأس جيش ومنحه مال برقة ليســـتعين به

---

[1] برقة : مدينة كبيرة قديمة بين الاسـكندرية وافريقية ، وقيل انها تشـمل مدن وقرى الاسـكندرية وافريقية واسم مدينتها انطايلس ، افتتحها عمرو بن العاص سنة(21هــــ) تربتها حمراء ومن حمرتها تحمر ثياب ساكنيها وبرقة اول منبر ينزلها القادم من ديار مصر الى القيروان . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج11 ، ص389 ؛ الحميري ، الروض المعطـار ، ص91 .

[2] يانس الصــقلبي : هو أبو الحســن يانس الصــقلبي العزيزي كان على صـراع دائم مع برجوان الذي تولى تدابير الدولة قتل على يد جعفر بن حبيب في 4 ذي القعدة سنة (310ه) . للمزيد ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص348 .

[3] ابن عذاري : البيان ، ج1 ، ص248–249 .

[4] ابن الأثير ، الكامل ، ج9 ، ص154 .

[5] جعفر بن حبيب : ولاه عبد الله بن محمد الكاتب مدينة باجه في سنة (374هـ) ثم عزل عنها في سنة (382هــــ) قدم الى مصر رسولا في افريقية بهدية بعثها الامير ابو الفتح منصور بن يوسف بن زيري الى الخليفة الفاطمي ابي منصور نزار بن المعز ، واجه جعفر يانس الصقلبي عندما حاول اخذ طرابلس فقتل يانس هو واصـحابه توفي في المنصـورية يوم السبت في شـهر ربيع الاخر سنة (451هــــ) وهو مغربي الاصـل وولي ابنه هاشـم بعده ما كان تولاه . للمزيد ينظر : المقريزي ، المقفى الكبير ، ص403 ؛ ادريس ، الهادي روجي ، الدولة الصـنهاجية ، ص115 .

[6] يحيى بن علي بن حمدون الجذامي بن الاندلس : له ولابيه ولاخيه جعفر بن علي رئاســـة معروفة ونباهة في ايام الدولة الفاطمية ، والده علي هو الذي بنى المســـلية من بلاد الزاب الاكبر وســـكنها ابنه جعفر وعظم شـــأنه وهرب جعفر الى الاندلس بعد مقتل زيري بن مناد الصـنهاجي ولحق به يحيى فاقاما مكرميين عند الحكم المسـتنصـر بالله الى ان سـخط عليهما

على نفقات الحرب ، الا ان يحيى وجد الخزانة فارغة، ولم يتمكن من منح جنوده رواتبهم مما اثار عليه سخط الجنود ، فاضطر الى الاعتصام بأسوار طرابلس ، وسرعان ما انظم الى جيش فلفول بن سعيد وتحالفا ضد الزيريين الا ان هذا التحالف لم يقدر له النجاح ، لتنازع القيادتين واعتداء جنود فلفول على معسكر يحيى لذلك اضطر يحيى إلى العودة إلى مصر واستولى فلفول على المدينة واستوطنها هو وقبيلة زناته[1] .

لم يركن نصير الدولة باديس الى الهدوء وهو يرى خروج طرابلس من قبضته ، فجهز جيشا لمحاربة زناته وذلك في سنة (393هـ/1002م) فدخلوا في طاعته وهكذا تمكن باديس من استعادة طرابلس الى حكمه ، ففي اطار هذه الاحداث نجد ان الخليفة الحاكم هو الذي اغرى زناته بالاستقرار في طرابلس ، بهدف استغلالها ضد بني زيري ضمن سياسة اجداده التي كانت تعمل على ضرب القبائل بعضها ببعض[2] الا انه نتج عن هذا التصادم بين الفاطميين والزيريين وقوف الزيريين موقف الحياد من ثورة أبي ركوة[3] فلم يهبوا لنصرة الجيش الفاطمي فقد وجد بني زيري في

وامر بارجاعهما ثم عفى عنهما بواساطة وسعي عبد الملك بن القاضي منذر بن سعيد البلوطي، وبعد ذلك ترك البلاد فخرج الى العدوة ثم ذهب الى سجلماسة ثم ركب الصحراء الى مصر فاستقبله العزيز بالله ابو المنصور نزار وهو يومئذ الخليفة بها وداخله في يوم زينة ثم جعله يعترف بالزلة ويسأله الصفح والإقالة ، سمع بلقين (ابو الفتوح) خليفة المعز في بلاد المغرب ان العزيز قد استقبل خصمه يحيى بن علي وعفا عنه . للمزيد ينظر : ابن الابار ، الحلة السيراء ،ج1 ، ص305–308 .

[1] ابن الاثير ، الكامل ، ج9 ، ص531–532 .

[2] طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص308 .

[3] ابو ركوة : هو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الاموي ولد بالأندلس وقد يكون من اهل قرطبة ظهر سنة (396هـ) كاد يقضي على الدولة الفاطمية بمصر دخل الى مصر واقام بها مدة فقرأ الحديث واخذ يعلم الصبيان القران ثم رحل الى مكة واليمن في مظهر متصوف يحمل ركوة في اسفاره وبها اشتهر ثم عاد الى مصر فدعا الى خلع طاعة الحاكم الفاطمي ، فاجابه بني قرة وقبائل زناته ثم هزم جيش الحاكم وزحف الى مصر ودخل الجيزة ثم استطاع الحاكم ان يهزمه ففر بمن معه الى النوبة فقبض عليه فيها وحمل الى مصر فشهر به

هذه الثورة السـنية الفرصـة التي تحررهم من الطوق الفاطمي نهائيا وتسـاعدهم على الاستقلال بافريقية[1] .

في أثناء ثورة أبي ركوة نجد ان الامير الزيري ترك البلاد ووصــل الى القاهرة وهو في طريقه إلى الحج كان ذلك سنة (396هــ/1005م) ، فالتقى بالخليفة الحاكم فسأله الاخير عن أبي ركوة فعظم باديس حاله ووصف قوته وكثرة جموعه ، والحاكم صـامت ، فلما ذهب باديس الى الحج ورجع الى مصـر فاستأذن الخليفة الحاكم في المسـير الى افريقية ، إلاّ أن الحاكم اخره ليشـهد الاحتفالات التي اقيمت من اجل انتصــار الحاكم على ابي ركوة[2] ، وتعد هذه الثورة من اخطر الثورات التي واجهت الخليفة الحاكم[3] .

ومهما يكن من أمر نجد أن الخلاف الذي وقع بين الحاكم وبين باديس الصـــنهاجي حول ولاية طرابلس المغرب كان له جذور تعود الى بلكين ومن بعده المنصـــور الذين طمعوا بالســيطرة على طرابلس المجاورة لهم في افريقيا التي كان المعز قد اخرجها هي وبرقة عن نفوذهم ولذلك طلب بلكين من المعز ان يضيف اليه

والبس طرطورا وجعل خلفه قرد يصـفعه ثم اخذ الى الظاهر ليقتل ويصـلب فتوفي قبل وصـوله فقطع رأســه وصـــلب للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج9 ، ص68 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1 ، ص308 .

[1] طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص308 .

[2] ادريس ، عماد الدين ، تاريخ الخلفاء الفاطميين ، كتاب عيون الاخبار ، ص249 .

[3] ابن الاثير ، الكامل ، ج9 ، ص86 .

ولاية طرابلس عام (367هـــــ/977م) فأجابه العزيز بالله ملتمســه فعين بلكين بدوره عوصله بن بكار [1] والياً عليها[2] .

وعلى الرغم من محاولات الفاطميين الحد من قوة الزيريين الا انا نجد الخليفة الحاكم يرسـل سـنة (403هـــــ/1012م) ، مركباً محملاً بالهداية الجليلة الى الامير الزيري باديس والى ولي عهده عزيز الدولة المنصــور [3] وســجلا باضــافة ولاية برقة واعمالها الى ولاية باديس لعل هذه الإضـــــافة يريد بها الحاكم ان يتودد الى الزيريين بعد ان فشـــل في الاســـتيلاء على ولاية طرابلس ويحمل بني زيري عبء الدفاع عن برقة ، وفي الســـنة التالية وصـــل ســـجل من الحاكم الى الأمير الزيري باديس يخبره بتعيين ابن عمه ابي القاســـم عبد الرحيم بن اليأس[4] وليا للعهد فقرى في جامع

---

[1] عوصـــلة بن بكار : هو بن بكار الاســود الحاكمي ابو محمد ، مولى بن زيري، ولاه طرابلس فجار واخذ يجمع الاموال فلما طلبه هرب الى الحاكم بأمر الله بالقاهرة بعد ان كتب الى الخليفة الحاكم ان يســلمه مدينة طرابلس على ان يقبله لاجئا لديه بالقاهرة ويتم ذلك على يد والي برقة الفاطمي القائد يانس الصـــــقلبي للمزيد ينظر : المقريزي ، اتعاظ ، ج2 ، ص35؛ المقريزي، المقفى الكبير، ص403؛ سعد زغلول، المغرب الكبير، ج3، ص355 .

[2] ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص59 ؛ ابي الدينـار ، المؤنس ، ص79 المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1 ، ص34 .

[3] عزيز الدولة المنصـــــور : هو المعز بن باديس بن منصـــــور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي صاحب افريقية شرف الدولة، نفذ اليه الحكم من مصر سنة (404هـــ) بتقليد منصــب امير افريقية ، كان ملكا مهيباً ســريا شــجاعاً عالي الهمة محباً للعلم كان على مذهب الامام أبي حنيفة خلع طاعة الفاطميين وخطب للقائم بأمر الله العباسـي كان مولده في سنة (398هــ) ومات في شعبان سنة454هــ وكان مريضا بالبرص وكان موته بالمهدية فقام بعده ولده تميم بن المعز. للمزيد ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 1، ص18–1 .

[4] ابي القاســم عبد الرحيم بن الياس : هو عبد الرحيم بن الياس بن احمد بن المهدي ولي عهد الحاكم بامر الله من امراء الفاطميين ،اقامهُ الحاكم ولياً لعهدهُ في سنة (404هــ) ثم أرسله واليا على دمشق سنة 410هــ فرخص للناس فيما كان الحاكم ينهاهم عنه والتف حوله احداث البلد وكرههُ الجند فكتبوا الى الحاكم فدعاه اليه ثم اعاده بعد اربعة اشــهر فأخذ في المصـــادرة وبالغ في الاساءة فقيده الجند وسجنوه فمات . للمزيد ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1 ، هامش رقم 2 ، ص385 .

القيروان[1]، فكانت ردة فعل باديس انه اعترض على ذلك وقال :((لولا ان الامام لا يعترض عليه في تدبير ، الا يصرف هذا الامر عن ولده الى بني عمه))[2] .

أخذت العلاقة بين الفاطميين وبني زيري تتأرجح تبعا لظروف وسير الأحداث ، فكلما سادت علاقة المودة امعن الزيريون في إخلاصهم وولائهم للمذهب الاسماعيلي ، واذا ساءت العلاقة تراجع ذلك الولاء وتراخي هؤلاء في التشديد على اهل السنة او الاهتمام بنشر المذهب الاسماعيلي[3] .

لما بلغ الخبر بموت باديس بويع ابنه المعز سنة (406هـ/1015م) ، وهو ابن ثمان سنين وسبعة اشهر[4] ، اعلن كبار رجال المملكة وزعماء صنهاجة البيعة له في مدينة المهدية ومارست عمته السيدة ام ملال[5] مهمتها كوصية عليه فأخرجت المعز وبين يديه الطبول والبنود فنزل اليه الناس وهنؤه وعزوه بوفاة والده ، كما سيطر

---

[1] جامع القيروان : هو جامع عقبة بن نافع الفهري الذي اسسه في القيروان سنة (51هـ /671م) ، فقد جعله ثكنة ومدرسة و مسجدا واستمر هذا المركز الثقافي يؤدي رسالة منذ انشائه حتى سنة (555هـ /1160م) حيث انتقل التعلم الى جامع الزيتونة للمزيد ينظر : البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى،(ت279هـ) ، فتوح البلدان ، تح : رضوان محمد ، دار الكتب ، بيروت،د.ط ، ت 1991 ، ص320 ؛ البكري ، المسالك والممالك، ص180 .

[2] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص260 .

[3] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص54-55 .

[4] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص199 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص196 .

[5] ام ملال : بنت المنصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي ، هي اخت باديس كان كثيرا ما يطلق عليها اسم السيدة قد تبنت المعز ،وعنيت بتربيته وكانت تنتقل به في المنصورية وتصطاف به في المهدية وهي نفسها التي اختارت له ابا الحسن علي بن ابي الرجال ليسهر على تربيته ولما توفي باديس اصبحت وصية على الامير الصغير ثم مرضت ام ملال وفي ليلة الخميس من رجب (414هـ/ 1023م) قبض الله روحها وصلي على جنازتها بالبنود والطبول حتى قيل لم ير ملك ولا لسوقة مثلها فقد كفنها المعز بما قيمته مائه الف دينار ، وعمل لها تابوتاً من العود الهندي مرصعاً بالجواهر وصفائح من الذهب وسمر التابوت بمسامير الذهب وزنها الف مثقال دفنت في المهدية ثم نقل جثمانها الى مقبرة صنهاجة المعروفة بمقبرة السيدة نسبة الى هذه الاميرة . للمزيد ينظر : ابن عذاري ، البيان، ج1 ، ص272، ادريس ،الهادي روجي، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص177-178 .

عليه معلمه ومربيه الحســـن بن علي بن ابي الرجال[1] ، وهو فقيه ســـني فتأثر به المعز وانحرف عن المذهب الاسـماعيلي ، واعتنق مذهب اهل السـنة فاجبر الزيريين على الاقتداء به ، وبذلك بدأ الفتور واضـــحا في العلاقات بين الزيريين والفاطميين وخاصــة ان في عهد المعز اخذ النفوذ الفاطمي يتراجع بسـبب المشـكلات الداخلية التي واجهها ، وظهرت عملة في المهدية خالية من الشـعارات الشـيعية مكتوب عليها ((محمد رسول الله ، ارسله بالهدى ودين الحق))[2] ، ونكل السنة بالشيعة في مختلف مدن افريقية[3] ، وبدأت حرب الابادة في المدن الافريقية الرئيسة ضد الشيعة .

نقل لنا المؤرخون العديد من الروايات[4]، ومن المرجح ان المعز بن باديس الامير الصـغير كان وراء هذه المأسـاة ومع ذلك ، لم يصـل الفتور الى حد القطيعة، فلم يصــــدر أي رد فعل من قبل الحاكم الفاطمي بل اكثر من ذلك ففي اخر ســــنة (407هــــ/1016م) تلقى المعز بن باديس من الحاكم بأمر الله خلعا وسجلا يضفي

---

[1] الحسن بن ابي الرجال : هو أبو الحسن علي بن ابي الرجال الشيباني (426هـ/ 1034م) ، الذي تولى تربية المعز بن باديس والذي علمه المذهب المالكي وحرضه وأدبه دوله على مذهب مالك والســـنة والجماعة . للمزيد بنظر : ابن عذاري ، البيان ،ج1، ص273–274 ؛ادريس ، الهادي روجي الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص177 .

[2] ماجد ،عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية ، ص166 .

[3] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص177 .

[4] يروي لنا المؤرخون روايتين الاكثر رواجا بين المصـــــادر اولها الرواية التي تذكر عندما دخل المعز الى المنصـورية في 16 من محرم سنة (407هــــ)، فقام بجولة في شوارع المدينة راكبا فرسـه والناس يسـلمون عليه ويدعون له فاجتاز بجماعة فسـأل عنهم فقيل له :((هؤلاء روافض والذين قبلهم اهل السنة)) فقال : ومن هم أهل السنة ومن هم الروافض ؟ فقيل : اهل السنة هم يقولون رضـي الله عن ابي بكر وعمر ، والرافضـة فهم يسبون الشـيخين، فقال الامير :((رضـي الله عن ابي بكر وعمر)) ، ومنذ ذلك الحين انطلقت المذبحة وهذه الرواية يتفرد بها النويري ، بينما يذكر ابن الاثير ، وابن عذاري ، وابن خلدون ان المعز كباه فرسه عندما خرج في بعض الاعياد الى المصـــــلى فقال عند ذلك (ابو بكر وعمر) وكان الشـــيعة لا يعلمون ان الامير الصــغير على مذهب السـنة والجماعة فبادر اليه الشـيعة ليقتلوه، فجاءوا عبيد الامير ورجاله ممن كان على مذهب اهل السنة فوضع منذ ذلك اليوم السيف على الشيعة فقتل منهم مايقارب الثلاثة الاف فسمي ذلك الموضع(بركة الدم) الى اليوم ، واستمرت تلك الاضطرابات التي يقال انها تسببت في مقتل اكثر من 20000 الف شيعي بالقيروان واعمالها وقيل ان هذا الرقم مبالغ فيه . للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج9، ص122–123 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص268 ؛ النويري ، نهاية الارب ،ج24 ، ص201 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص305 ؛ ابن ابي دينار ، المؤنس ص80–81؛ جورج مارسـيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشــرق ، ص192–194 .

عليه اللقب الفخري شرف الدولة وبذلك نجد ان الخليفة الفاطمي قد ضرب صفحاً عن المذابح التي لابد انه كان على علم بها ورغم ذلك اثنى على نائبه دون ان يوجه إليه ادنى تأنيب[1] .

وهكذا استمرت العلاقات بين القاهرة والمنصورية ودية إلى أواخر عهد الحاكم ، واستمر الحاكم بإرسال الهدايا حتى سنة (411هـــ/1020م) والراجح انه لم يمتلك وقتا يسمح له باستعادة نفوذه الفعلي في افريقية بسبب انهماكه بأمور بلاد الشام[2] المجال الحيوي بالنسبة للفاطميين[3] .

بعد مقتل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[4] ومجيء ابنه الظاهر[5] للخلافة استمرت العلاقة بين القاهرة والقيروان ، على الرغم من حدوث تطورات سياسية في كلا الدولتين ، فقد استمر تبادل الهدايا بينهما ، فقد بعث الخليفة الظاهر سنة (418هـ/1027م) رسولا إلى بلاد افريقية ومعه تشريف عظيم لشرف الدولة المعز بن باديس ، وزاده لقبا على لقبه فسماه شرف الدولة وعضدها ، وبعث إليه ثلاثة افراس من خيل ركوبه بسروج جليلة وخلعه نفيسة من نفيس ثيابه ، ومنجوقين وهو نوع من

---

[1] ادريس ، الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص180-185 .

[2] بلاد الشام : بلاد كثيرة وكورة عظيمة ، الشام هي فلسطين وفيها غزة والرملة والشام الثانية مدينتها طبرية والغرر واليرموك والثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ومن سواحلها طرابلس الشام والرابعة ارض حمص وقسرين ومدينتها العظمى حلب وساحلها انطاكية . للمزيد ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص335 .

[3] طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص310 .

[4] ففي سنة (411هـ) فقد الحاكم وقيل ان سبب فقدانه ان اخته ست الملك دار بينها وبينه شجار فرماها بالفجور فتوعدت على قتله فقد كانت امرأة حازمة ، ثم اختفى الحاكم واضطربت الناس لغيبته . للمزيد ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص5.

[5] الخليفة الظاهر : هو علي الظاهر لاعزاز دين الله بن منصور (الحاكم) بن العزيز بن المعز الفاطمي أبو الحسن من خلفاء الدولة الفاطمية كانت له مصر والشام وخطبة افريقية، ولي بعد وفاة أبيه سنة (411هـ) بعهد منه كان الطاهر على النقيض من والده سمحاً عاقلاً، محباً لسماع الغناء متجنباً سياسة العنف. للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص366؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص110-154؛ الانطاكي، تاريخ اوتيخيا ، ص365؛ابن خلدون،العبر، ج4،ص61؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص3-4.

الاعلام و البنود[1] قد نسجا بالذهب على قصب من الفضة ، وقيل ما دخل افريقية مثلها قط [2] وعشرين بندا مذهبا ، فاستقبلها الامير المعز احسن استقبال واعطاها حقها من الاكرام والاعتناء وقرئ السجل بجامع القيروان[3] .

وبادله المعز بن باديس فارسل إليه هديه قيمة سنة(420هـ/1029م) اشتملت على عشرين جارية حسان، وثلاثة جياد ثمينة بسروج من الذهب واللؤلؤ والفضة ، وألف وخمسمائة ثوب من سائر الوان الخرز المغربي والسوسي ومن الرماح الزان والثياب الصقلي والموسي وارسل الخليفة الفاطمي الظاهر هدية ثانية الى المعز بن باديس[4] ، فكأنما شيئ لم يكن وان مجازر سنة (407هـ/1016م) لم تكن سوى حلم خيالي وكأنما افريقية مازالت على المذهب الشيعي اكثر من قبل.

انصرف الخليفة الفاطمي عن شؤون الدولة الى ملذاته ، وبذلك انصرف عن الاهتمام بشؤون افريقية في الوقت الذي قويت فيه شوكة المعز بن باديس وتصاعد نفوذ أهل السنة بفضل تعاليم المدرسة المالكية[5] ، سواء في القيروان او في تونس[6]،فضلاً عن الطموح السياسي للمعز ومحاولاته للاستقلال عن الخلافة

---

[1] المقريزي ، اتعاظ ، ج1، ص303 .

[2] ادريس ، الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية ، ص186 .

[3] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص296 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص9 .

[4] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص371 .

[5] المدرسة المالكية : انتشر المذهب المالكي في المغرب والأندلس في عصر الدولة الاموية بالأندلس في عهد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (172–180هـ)، اما في المغرب فيعود تكوين المدارس المالكية الى عصر الدولة الادريسية الذي بدأ منذ (172هـ) فعلى الرغم من اعتناق إمام الادارسة المذهب الشيعي فلم يحاول فرضه على أهل المغرب الذين كانوا يعرفون المذهب المالكي وتتلمذ أبناؤهم على يد الإمام مالك بن انس وكان من اشهر المدعين للمذهب المالكي هو القاضي عياض . للمزيد ينظر: القاضي، موسى بن عياض البستي (ت524هـ) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مالك ، تح : محمد بن تاويت، المملكة المغربية ، الرباط ، ج2 ، ص86 ؛المقري ،شهاب الدين احمد بن محمد، (ت1041هـ)،نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ،تحق؛محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ،القاهرة ،1949م،ج1،ص334 .

[6] تونس : مدينة كبيرة محدثة بافريقية على ساحل بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) عمرت من انقاض مدينة قديمة بالقرب منها وهي قرطاجنة وكان اسمها قديماً ترشيش وهي قصبة بلاد افريقية بينها وبين صفاقس ثلاثة ايام ،ومنه ميل بينها وبين القيروان ونحو منها المهدية

الفاطمية ، وكذلك عطفه على أهل الســـنة بفعل تأثير مؤدبه ومعلمه ابن ابي الرجال فقد كان يعمل برايه في بعض الامور ، حتى انه أرســـل الى احد فقهاء الســـنة في القيروان ، يسأله فقال :((ما يقول الفقيه في الطراز الذي فيه اسماء بني عبيد الظاهر والحاكم وغيرهما مما يلبس او يصـــلي فيها)) فأجابه الفقيه بقوله:((هذا ســؤال احمق اخرق قليل المعرفة)) ، فقال المعز لم اجبت بهذا ؟ فقال الفقيه لأن الســكة تضــرب باسمائهم وبنودهم تخفق على رأسك)) ، فقال المعز محتجا :((ما ابقيت السكة والبنود الا مداراة لأجل حجاج بيت الله الحرام والمسافرين))[1] .

اتســمت العلاقات الفاطمية والزيرية بالفتور، وســرعان ما تحولت الى علاقة عدائية بعد موت الظاهر وذلك سنة (427هــ/1035م) ، فتولى من بعده المستنصر بالله[2] وبدأ المعز بن باديس بالاستقلال نهائيا عن مصر ، الا ان هذا الاستقلال لم يحدث فجأة وإنما جاء على خطوات[3] ، فكان المعز يســـب بني عبيد ســـرا وفي سنة(435هـــ/1043م) قطع المعز الخطبة للمستنصر ودعا ببلاد افريقية للخليفة القائم بامر الله العباسي[4] فبعث الخليفة العباسي الى المعز الخلع من بغداد ووصلت

أصـبحت فيما بعد قاعدة لبلاد افريقية وحضـرة السـلاطين من الخلفاء الحفصـيين وقيل سـميت تونس لان المسـلمين عندما فتحوا افريقية نزلوا بازاء صـومعة الراهب يدعى ترشـيش فيأنسـون بصـوت الراهب فيقولون هذه الصـومعة تؤنس فلزمها هذا الاسم للمزيد ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج2،ص59؛ الحميري،الروض المعطار، ص43 ، ص144.

[1] الدباغ : عبد الرحمن بن محمد ، (ت696هــ) ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تح؛ عبد المنجد ، د. ط ، د . ت ، ج3 ، ص167 .

[2] المســتنصــر بالله : أبو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحســن علي ، ابن الحاكم بأمر الله أبي علي منصـور ، أمه السيدة رصـد ، ولد يوم الثلاثاء ، 26 في جمادى الأول سنة (420هـ) وقام بأمره الوزير ابو القاسم الجرجراني استمرت خلافته 60 سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج2 ، ص103 .

[3] العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص317 .

[4] القائم بأمر الله العباسي : هو ابو جعفر عبد الله بن القادر ، ولد في نصف ذي القعدة ، سنة (371هـ) ، ولي الخلافة وكان عمره 22 سنة وهو من خلفاء العصر العباسي الأخير . للمزيد ينظر : السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص492-498 .

له عن طريق القسطنطينية[1] ، ثم أمر المعز بلبس السواد شعار العباسيين وتخريب دور الاسماعليين ومدارسهم في القيروان ، واخذ يلعن الفاطميين على منابر مساجد البلاد ، وقيل إن الامير المعز لم يقتنع بشدة اللغات وأمر بجعلها اكثر تشددا في خطبة الجمعة ، كما ضرب السكة باسمه[2] .

الجدير بالذكر ان تاريخ القطيعة وتحلل المعز من الولاء للفاطميين لم يعرف بالتحديد ، فتباينت آراء المؤرخين فنجد ان ابن عذاري يحدد الحركة لهذا التحلل في سنة(433هـ/1041م) ، اما ابن الأثير وابن خلكان والمقريزي فيحددونها في سنة(435هـ/1043م) ، اما ابن خلدون فيذكر سنة(437هـ/1045م) ، والمهم هو ان هذه القطيعة جرت كلها بين سنة (433-437هـ/1041-1045م) ، وان السنوات التي جاءت بعد هذه الفترة هي بداية للتحلل شيئا فشيئا وتطور الموقف بين البلدين وتأزمه[3] .

---

[1] القسطنطينية : كانت روما في القديم دار مملكة الروم نزلها من ملوكهم 29 ملكاً ، ثم ملك بها قسطنطين الاكبر ، ثم انتقل الى بيزنطيه وبنى عليها سورا وسماها القسطنطينية فقد كان اسمها طوانه ثم نسبت الى قسطنطين بينها وبين عمورية 60 ميلا للمزيد ينظر : الحميري، الروض المعطار ، ص481 .

[2] المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص48 و63 .

[3] ابن الاثير ،الكامل ،ج8،ص39؛ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ج 1،ص333 ؛ابن عذاري ، البيان المغرب ،ج 1،ص375، المقريزي ،اتعاظ الحنفا ،ج1،ص50، ابن خلدون ، العبر ، ج6،ص19؛ جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق ، ص194 .

وهكذا انتهت التبعية الســياســية والمذهبية لدولة بني زيري بالدولة الفاطمية، الامر الذي لم يرضِ الخليفة في القاهرة ووزيره اليازوري[1] ، فأرسل رسالة الى المعز بن باديس يدعوه للعودة الى حضيرة المذهب الاسماعيلي قال فيها:((هلا اقتفيت اثار من ســلف من ابائك في الطاعة والولاء)) ويتوعده بارســال الجيوش ، فاجابه المعز فقال :((ان ابائي واجدادي كانوا ملوك المغرب قبل ان يملكه اســـلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ، ولو اخروهم لتقدموا بأسيافهم))[2] .

لم يقف المســتنصــر موقف المتفرج من الحركات الانفصــالية التي حدثت في أجزاء شـمال افريقية كافة ، بيد ان الضـعف الذي اصــاب دولته نتيجة لما شــهدته مصــر من مجاعات وفتن فضــلاًعن الى التخوف من مغامرة عسـكرية في افريقية ، غير مضـمونة النتائج ، جعله عاجزا عن التدخل المباشـر في شـؤون شـمال افريقية لذلك لجأ الى وســيلة اخرى بتأثير وزيره اليازوري[3] فقضـــت الخطة بنقل عرب بني هلال[4] من صعيد مصر الى افريقية فيصطدمون بالزيريين فاذا قضوا عليهم أسسوا

---

[1] اليازوري : هو أبو محمد الحسن بن اليازوري تولى مهام الوزارة في مصر (سنة442هـ) ولقب بالوزير الاجل المكين وسيد الوزراء وتاج الاصفياء وقاضـي القضـاة وداعي الدعاة وعلم المجد وهو من الدهاة ولد في يازور وهي قرية من اعمال الرمله بفلسـطين واليها نسـبته وسكن الرملة وولى الحكم فيها واتصل بالمستنصر الفاطمي فاستوزره وجعله قاضـي القضـاة وهو الذي دبر فتنة البساسيري ، واستمر بالوزارة الى ان قبض عليه المستنصر بوشايه وقتله . للمزيد ينظر: ابن الصيرفي، الاشارة في من نال الوزارة ، ص40–45 .

[2] النويري : نهاية الارب ، ج24 ، ص210 .

[3] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص14 .

[4] عرب بني هلال : هم من بطون هلال وسليم من مضـر كانوا في البادية وتنقلوا من نجد الى الحجاز فنزل بنو سـليم المدينة المنورة ونزل بنو هلال جبل غزوان عند الطائف وكانوا يطرقون العراق في رحلة الشـتاء والصـيف فيغيرون على اطراف الشـام والعراق وكانت بنو سـليم تغير على الحجاج ايام المواسـم وزيرتهم للمدينة ثم تجهز بنو سـليم وكثير من ربيعة بني عامر الى القرامطة عند ظهورهم وصاروا جندا لهم في البحرين وعمان وقدموا معهم الى الشام فلما غلبت القرامطة في ايام المعز لدين الله ابي تميم معد ثم في ايام ابنه العزيز بالله ابي منصـور نزار ، وانهزموا من الشام الى البحرين نقل العزيز بالله ما كان معهم من بني هلال وسليم الى مصر ، وانزلهم بالجانب الشرقي من بلاد الصـعيد واقاموا هنالك واضـروا بالبلاد الى ان ملك المعز بن باديس القيروان في سنة 408هـــ فقد اظهر الخلاف= =على المستنصر لذلك ارسل الخليفة الفاطمي العرب الى البلاد وافريقية وقسم العرب بلاد افريقية في سنة (446هـــ) وكان لزغبة

دولة تابعة للدولة الفاطمية ، حيث كان بنو هلال كثيري النزاع و بنقلهم الى المغرب سوف يتخلص الخليفة الفاطمي من الفوضى التي كانوا يحدثونها في مصر [1] .

ارسل المستنصر مبعوثه الى العشائر الهلالية لاقناعهم بالتوجه الى افريقية وتوليه أعمال افريقية ، للقضاء على الدولة الزيرية وانشاء دولة تابعة بدلا منها ،وذكر المقريزي[2] ان الوزير اليازوري كتب الى المعز بن باديس ((اما بعد فقد انفذنا اليكم خيولا فحولا، وارسلنا عليها رجالا كهولا (ليقضي الله امرا كان مفعولا)) [3].

فسارت العرب الى برقة ، وفتحوا امصارها ، وكتبوا لاخوانهم الذين بالشرقي الصعيد يرغبونهم في البلاد ، فحصل لسليم الشرق ، ولهلال المغرب وخربوا المدينة الحمراء[4] واجدابيه وسرت ، ثم اجتاحت طرابلس وافريقية وكان عدد أفرادها ثلاثة الاف فارس واصطدمت بالجيش البربري المؤلف من ثلاثين الف مقاتل عند حيدران بالقرب من القيروان في عام (443هـ/1051م) ، خشى العرب من جموع الزيريين الهائلة لكن قائدهم مؤنس بن الرياح[5] ، شجعهم واشار عليهم ان يطعنوا في العيون مما اطلق اسم العين على هذه المعركة[6]، وعلى الرغم من كثرة العدد والعتاد في عسكر المعز بن باديس الا ان الغلبة كانت للعرب الذين هزموا عساكر المعز ، الا ان المعز لم يرض على الهزيمة امام العرب الهلاليين فاعاد تنظيم قواته واراد ان

طرابلس وما يليها ولمرداس بن رياح باجه يليها ثم اقتسموا البلاد ثانياً وكان لهلال بن قابس الى المغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وترنجة والاثج وشداد والخلط وسفيان . للمزيد ينظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج9 ، ص585؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج2 ، ص64-66 .

[1] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص14 .

[2] المقريزي ، اتعاظ ، ج2 ، ص65 .

[3] سورة الانفال ، الآية 42 .

[4] ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص590، النويري ، نهاية الارب، ج24، ص335 ، المقريزي، اتعاظ ، ج2 ، ص60 ، ادريس ،الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص249 .

[5] مؤنس بن الرياح : هو مؤنس بن يحيى المرداس وقيل يونس فأعطى الخليفة الفاطمي المستنصر له ولاية القيروان وباجة وهو تابع لبطن بني حنبار وهو اول من دخل افريقية من رؤساء القبائل العربية . للمزيد ينظر : ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص288-289 ؛ ادريس ، الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص253-254 .

[6] ابن الاثير ، الكامل ، ج9 ، ص586 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص65 .

يفاجئ العرب ويأخذهم على حين غرة وهم في صـــلاة العيد ، غير ان العرب فطنوا الى الخدعة وحملوا على صـــنهاجة حملة رجل واحد ، مما اسـفر عن هزيمة المعز وقواته للمرة الثانية ، واستولى الهلالية على مدينة القيروان سنة (449هـــ/1057م) وارسـلوا الكثير مما غنموه وظفروا به من قصـر المعز بن باديس الى مصـر [1] اعاد العرب الدعوة الاسـلامية بعد ان قطعت عن منابر افريقية، فضـلاً عن عودة التعامل بالسـكة المسـتنصـرية ، وقضـى المعز بن باديس السـنوات الاخيرة من حكمه في المهدية بعد ان كان ملكه أضـــخم ملك عرفه المغرب وبوفاته في ســـنة(453هـــ/1061م) ، ينتهي العصر الذهبي للدولة الزيرية في القيروان ، ليبدأ عصر جديد في بلاد المغرب وهو عصـــر دويلات الطوائف[2] ، قام الأمير تميم بن المعز بن باديس [3] ، بشـــؤون الخلافة بعد والده في المهدية فقد كثرت في أيامه الثورات فقام عليه أقرباؤه وأبناء عمومته بنو حماد واسـتمر سـلطانه محدوداً ضـمن المنطقة السـاحلية المحيطة بعاصـــمتهم المهدية حتى نهاية الدولة الزيرية ســـنة (563هـ/1070م)[4] .

وأخيراً فيما يخص العلاقات بين الدولتين ، فقد كان يتطلع الأمير الزيري الجديد يحيى بن تميم[5]، بعد ان تولى الحكم بعد ابيه الى تغيير الوضـــع الذي

---

[1] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص289-290 .

[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص290-293 .

[3] تميم بن المعز بن باديس : ولد بالمنصورية في رجب سنة (422هـ/1031م) ،بويع له بالامارة يوم الاثنين في ذي الحجة وعمره يومئذ ثمانية اعوام وذلك سـنة (442هـــــ/1050م) وتولى المهدية في صفر سنة (445هــ) وعمره 23سنة كان جميلاً وسيما ،كان يستعمل كل حار من الاغذية والادوية ويدخل الحمام الحار كان شـهماً شـجاعاً توفي بالمهدية يوم السـبت من رجب سـنة (501هـــــ/1108م) للمزيد ينظر :ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،ج1،ص98-99؛ ابن عذاري ،البيان ،ج1،ص 299؛ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج2 ، ص324 ، المقريزي ، اتعاظ ، ج2 ، ص103 ،ادريس الهادي روجي،الدولة الصنهاجية ، ج1،ص296-298.

[4] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص334 .

[5] يحيى بن تميم بن المعز بن باديس هو ابو طاهر قام في الملك بعد ابيه تميم كان عالماً كثير المطالعة ، مقرباً للعلماء ومات فجأة فكان موته وسط النهار في سنة (509هـــ) وكانت دولته ثماني سـنين وخلف لصـلبه ثلاثين ابنا ، فتملك منهم ابنه علي ، وقام سـتة اعوام ومات فملكوا

أصـــبحت عليه دولته باســـتئناف العلاقات مع الخلافة الفاطمية فقد حاول ان يعيد العلاقات باعلانه الطاعة والدعاء للخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله في الخطب وبذلك أصـبحت التبعية تظهر بصـورة وفد يرسـله كل امير جديد الى القاهرة ، يبلغ الخليفة الفاطمي النبأ ويحمل بعض الهدايا التي يرد عليها الخليفة الفاطمي بهدية مماثلة ، الا ان ضعف الخلافة الفاطمية وما انتابها من سوء في الأوضاع الداخلية، جعلها تعجز عن القبض على أمور الدولة في الخارج[1] .

ان تركيز الدولة الفاطمية على الجانب الشـــرقي جعلها تفقد ممتلكاتها في افريقية وصقلية ، كما لم يلبثوا أن فقدوا ممتلكاتهم في بلاد الشام ، وانحصرت داخل مصـــر الا انها ســرعان ما فقدت ســيطرتها على البلاد وســقطت في ايدي اتابكه دمشـــق[2] الزنكيين الذين قضــــوا على الخلافة الفاطمية نهائيا وذلك في ســـنة (567هـ/1171م)[3] .

ولده حســـن بن علي وكان صـــبيا مراهقاً فامتدت أيامه الى ان اخذ الفرنج طرابلس والمغرب بالسيف سنة(541هـ) . للمزيد ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج19 ، ص412 ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص326 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص305 .

[1] ابن عذاري، البيان، ج1، ص503؛ ابن خلدون، العبر، ج6 ، ص160 ؛ ادريس ، الهادي روجي، الدولة الصنهاجية، ج1، ص362؛ حسن خضري، علاقات الفاطميين، ص74 .

[2] دمشق : هي قصبة الشام ، سميت دمشق نسبة الى دماشق بن فاني بن مالك بن رفسخه بن سام بن نوح (ʊ) . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص463 .

[3] طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص203 .

ثانيا : العلاقات السياسية بين دولة بني حماد[1] ومصر :

ان ميلاد مملكة بني حماد جاء نتيجة طبيعة للاحداث التي حصلت بعد رحيل الفاطميين الى مصر تاركين بني زيري حكاماً على بلاد المغرب .

كانت بلاد المغرب فسيحة جدا يصعب على الحاكم الواحد ان يحكمها بنفسه، لذلك نجد ان بلكين وابنه المنصـور قد لجئا الى اقربائهم وطلبا المسـاعدة منهم لحكم بلاد المغرب[2] ، وبعد وفاة بلكين اضـطر المنصـور إلى ان يدخل في حروب ضـد القبائل الحاقدة مثل زناته وكتامة من جهة وصـراعه ضـد الحاقدين عليه من أسـرته كعمه أبي البهار من جهة أخرى[3] .

لذلك عقد المنصور بن بلكين لأخيه حماد[4] على اشير والمسلية وكان يتداولها مع اخيه يطوفت وعمه ابي البهار ، فلم يجد المنصـور الا ان يسـتعين بأخيه حماد

---

[1] دولة بني حماد : هم شـعبة من ال زيري ينتسـبون الى حماد بن زيري مؤسـس دولتهم التي حكمت منطقة المغرب الاوسـط ، اتخذت من القلعة عاصـمة لها فعرفت باسـمه فسـميت قلعة بني حماد ، بدا ملكهم منذ ان تولى حماد حكم مدينة اشـير من قبل باديس بن منصـور في صفر سنة (387هـ) ، الا انها أصبحت دولة رسمية عام (408هـ) حكمها تسعة ملوك اولهم حماد بن يوسـف بلكين بن زيري واخرهم يحيى بن العزيز وعليه انقرضـت دولتهم في سـنة (546هـ) على يد دولة الموحدين . للمزيد ينظر : ابن الأثير الكامل ، ج7 ، ص88 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص303 ، ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص73 ؛ ينظر جدول رقم 3 جدول خلفاء دولة بني حماد

[2] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ص189 .

[3] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2 ، دار الصحوة ، القاهرة ، 2002 ، ص55 .

[4] حماد : هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد بن منقوش الصـنهاجي ، له ثلاثة إخوة ، هم يطوفت وإبراهيم والمنصـور الذي حكم بلاد المغرب بعد ابيه بلكين ، امتاز حماد بمجموعة من الصـفات التي ميزته عن باقي اخوته حيث كان طموحا عنيفا قرأ الفقه في القيروان حكم للفترة (398–419هـ) توفي في شهر رجب سنة (419هـ) . للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج9 ، ص154 ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج 1 ، ص240 ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص68 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص183 .

الذي ظل وفيا له مدة ولايته[1] ، ولم تكن له الرغبة في الاســـتقلال حيث كان حماد يرى ان خط الحكم لازال طبيعياً فولاية اخيه المنصور كان عملا مشروعا[2] .

استقل حماد بمدينة اشير والمسلية سنة(387هـ/997م) في ايام حكم ابن اخيه باديس بن المنصور على اثر ما قدمه له من مساعدة ضد اعدائه من قبيلة زناته[3]، فقد واجه ثوراتها وتمردها المستمر ، كما انه ناصر باديس ضد معارضيه من بني زيري عند خروجهم على باديس سنة390(هــــ/999م) وهم زاوي وماكس واخوانهما فقتل ماكس وابناه وألجأ زاوي واخوته الى الاندلس[4] .

انتهز حماد الفرصة فاشترط على ابن اخيه باديس أن يوليه المغرب الاوسط واتاحة الحرية له في اختيار المدنية التي يقيم فيها[5] واعطاه خيلاً كثيراً . فقد عظم شـــأن حماد وكثرة عســـاكره واجتمعت امواله[6] فاختط مدينة القلعة[7] بجبل كتامة سنة(398هــ/1007م)[8] وسرعان ما فسدت علاقة حماد بابن اخيه باديس على اثر ما طلبه باديس من عمه حماد بتسليم ما بيده من الاعمال الى نائب ابنه المنصــور

---

[1] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص183 .

[2] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص55 .

[3] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص361 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص185 .

[4] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص183 .

[5] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص69 .

[6] النويري : نهاية الارب ، ج24 ، ص185 .

[7] القلعة : هي مدينة التي اتخذها بني حماد وعاصـــمة لهم والتي تعرف بقلعة بني حماد بينها وبين المسلية اثنتي عشر ميلا وهي اكبر المدن مساحة واكثرها خلقاً واغزرها خيراً وأوسعها أموالا وأفخمها قصوراً بينها وبين بجاية مسيرة أربعة أيام ، تمصرت القلعة عند خراب القيروان حيث انتقل اليها اكثر اهل افريقية للمزيد ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص469-470 .

[8] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص183 .

وهي مدينة تيجس[1] ، وقصـر الافريقي[2] ، وقسـنطينة[3] ، عندما بعث الحاكم بأمر الله الفاطمي في سنة(405هـــ/1014م) تقليداً بولاية المنصور بن باديس وليا للعهد ولقبه بعزيز الدولة[4] ، فانتهز باديس الفرصـة ليحد من سـلطان عمه حماد ، الا ان حماد ابى وخالف دعوة باديس فخلع طاعة الفاطميين جملة وارجع دعوة إلى العباسي[5] .

وهكذا شـهدت منطقة بلاد المغرب اول خروج عن الخلافة الفاطمية بعد رحيل الفاطميين الى مصـــر[6] ، ويمكننا القول ان حمادا كان اول من اعلن انفصـــاله السياسي عن الخلافة الفاطمية في المغرب ، وانه سبق المعز بن باديس بنحو اربعين عاماً حين اعلن المعز انفصـــاله عن الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر وذلك في سنة (440هــ/1048م)[7] ، وبذلك نجد ان المعز بن باديس قد حذا حذو حماد على الرغم من خلافهما السياسي[8] .

---

[1] تيجس : مدينة اوليه شـــامخة البناء كثيرة الكلأ ، وهي بمقربة من تيفاش بقرب وادي الدنانير عند قصـــر الافريقي ، حدثت في ايام صـــاحب القيروان محمد بن احمد بن الاغلب المعروف بابي الغرانيق واقعة عرفت بواقعة تيجس حين قتل اهلها الوالي الذي كان يحكمهم فأرســـل عليهم محمد بن الاغلب جنده فقتلوا اهلها جميعاً .للمزيد ينظر : البكري، المســالك والممالك ، ص63 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص146 .

[2] قصر الافريقي : مدينة عند تيفاش في افريقية وهي مدينة جامعة على شرف من الارض فيها الحنطة والشعير وبها مزارع . للمزيد ينظر : البكري ، المسالك والممالك ، ص53 .

[3] قسـنطينة : من المدن الكبيرة في المغرب الأوسط وهي تابعة لدولة بني حماد تقع على قطعة جبل لها بابان ميلة في الغرب والقنطرة في الشـرق وهي باردة سـاحلية يمكن ان تبقى الحنطة بها مائة سـنة ولا تفسـد . للمزيد ينظر : الادريســي ، صــفة المغرب ، ص95-96؛ مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص165 .

[4] ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص86 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص376 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص193 .

[5] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص183 .

[6] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص167 .

[7] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق ، ص190 .

[8] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص168 .

وهكذا انقسم ملك بني زيري الى دولتين الدولة الزيرية في القيروان ودولة بني حماد في القلعة ، فاقتطع حماد جزءا غير قليل من ممتلكات الدولة الزيرية[1].

ارسل باديس الى عمه حماد كتابا لطيفا يطلب منه ان يسلم المدن الثلاثة الى ولده المنصور[2] ، ولجأ الى وساطة ابراهيم[3] عمه وهاشم بن جعفر[4] ، الا ان ابراهيم ما ان وصل الى اخيه حتى انظم اليه ، وجمعت كلمتهما على خلع طاعة باديس ، وكانت هذه البداية للحروب الطويلة بين الدولتين[5].

انتهز حماد الفرصة بوجود اكبر قادة باديس وهو هاشم بن جعفر بقلعة شقنبادية[6] القريبة من باجة[7] فحاصره حماد فوقع بينهم قتال شديد انهزم فيه هاشم

---

(1) جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق ، ص227 .

(2) النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص192 .

(3) ابراهيم بن بلكين بن زيري : هو اخو كل من حماد والمنصور ويطونت ، الذي ارسله باديس الى حماد عندما خرج عن طاعة باديس حيث قال ابراهيم الى باديس :((لايجد مولانا عبدا من عبيده انهض بخدمته مني)) حيث قال باديس له((امض الى اخيك حماد فإن صدقت فيما قلت ووفيت بما عدت ، والا فافعالا ما اردتما)). للمزيد ينظر : النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص196.

(4) هاشم بن جعفر : هو هاشم بن جعفر بن حبيب هو قائد الجيش الذي ارسله باديس للقضاء على عمه حماد بعد انفصاله عنه وكان والده قائداً وولي لفترة حكم أبي الفتوح بلكين . للمزيد ينظر : ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص277؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص194؛ ادريس ، الهادي روجيه ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص175 .

(5) النويري، نهاية الارب، ج24، ص192؛ عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص64 .

(6) شقنبادية : هي مدينة كبيرة فيها آثار عظيمة وهي على طرف جبل اوراس،فيها اعظم مدن افريقية،وكان لها ماء مجلوب. للمزيد ينظر :ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3 ، ص306.

(7) باجة : وهي من المدن الكبيرة الازلية القديمة لها حصن مبني بالصخر الجليل يقال إنه من عهد النبي عيسى (υ) وهي تقع على جبل شديد البياض يسمى الشمس لبياضه ، وفيها بحيرة تدعى درنة تقع بين باجة ومدينة طبرقة وعلى الطريق من القيروان الى قلعة حماد مدن كثيرة خربها العرب عند دخولهم بلاد افريقية ، وهذه المدينة تمتاز بكثرة انهارها وعيونها . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص455–456 ، المؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص160–161 .

والعسكر الذين معه ولجأ الى باجة فقدم إليها حماد ودخلها بالسيف فجمع ما كان مع هاشم من الاموال والخزائن والخدم[1].

علم باديس بهزيمة قائده هاشم ، اما عمه حماد فقرر ان يقود الجيوش بنفسه حتى نزل مكان يسمى قبر الشهيد ، فوصل اليه جماعة من عساكر حماد هاربين الى باديس فخلع عليهم واحسن اليهم[2] .

احس حماد بضعف موقفه فأرسل كتاباً الى باديس يخبره بأنه ما خلع الطاعة وأنه قد هيأ الهدايا الى ولي عهده المنصور ، ولكن كذبه باديس بما ظهر من أفعاله من سفك الدماء وقتل الاطفال واحراق الزرع والمساكن وسبي النساء[3].

استمر باديس في حربه ضد عمه حماد حتى تمكن من هزيمته ودخل المدينة التي كانت تابعة لعمه حماد ، تاركاً اخاه كرامت بن منصور[4] ، ثم رحل الى اشير ومنها الى وادي شلف[5]، فالتقى الطرفان في الوادي فحاصر باديس عمه في القلعة وداوم باديس على هذا الحصار حتى مات سنة (406هـ/1015م)[6].

---

[1] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص194 .

[2] ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص262 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص194 ؛ ادريس ، الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص147 .

[3] ابن الاثير ، الكامل ، ج9 ، ص254 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص194 .

[4] كرامت بن منصور : هو اخو باديس الامير وصاحب افريقية وبموت باديس حاول البعض اغتيال كرامت بدل عن المعز وقيل ان كتامة وصنهاجة المغرب كانوا اكثر ميلاً الى كرامت من المنصور . للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج9 ، ص105 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص194 . .

[5] وادي شلف : وهو يعرف بوادي المحن ، حيث هزم به وقتل من ملوك زناتة ، فقد مات به زيري بن عطية وهزم به حماد وبه قتل يوسف بن حبوس وهو بالمغرب بقرب مليانة ، وعليه مدينة ازلية فيها آثار اولية كانت تسمى شلف ، وفيه نهر يعرف بنهر شلف وهي اليوم خراب للمزيد ينظر : المؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص171 ، ادريس ، الهادي روجي، الدولة الصنهاجية ، ج1 ، ص152 .

[6] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص197 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص351–362.

اســتغل حماد وفاة باديس فاســتعاد المســيلة واشــير وحاصــر بجاية[1]، إلاّ انه واجه كرامت فأتاه حماد في الف وخمســـمائة فارس فتقدم اليه كرامت بســـبعة الاف مقاتل فاقتتلوا قتالاً شـــديداً ، فرجع بعض اصـــحاب كرامت لنهب بيت المال فتمت الهزيمة عليه وعلى اصـــحابه ، فطلب حماد من ابن اخيه كرامت ليجتمع به فخرج حماد اليه فاعطاه مالاً كثيراً واذن له بالمســـير الى المعز ثم دخل حماد الى مدينة اشـــير فقتل من اهلها اعداداً كثيرة[2].

نجح حماد بن بلكين في اقامة دولة له ولبنيه منذ سنة (408هـــ/1017م) ، استخدم حماد كل الطرق الممكنة لاقامة دولته . فدخلت دولة بني حماد في فترة سلام مع الزيريين وعمق رغبته في الســـــلام بتدعيم علاقته بأبناء اخيه المنصـــــور في القيروان، اذ زوج ابنه عبد الله بن حماد من اخت المعز فازدادت المودة واســـتحكمت الصلة[3] .

مات حماد في سنة (417هـــ/1026م) ، فعظم على المعز موته لأن الامر كان قد صـــلح بينهما[4]، وولي بعده ابنه القائد[5]، فاســـتقامت الامور للمعز واذعن

---

[1] بجاية : قاعدة المغرب الاوسط ، هي مدينة عظيمة على ضفة البحر لها على جهة الشمال جبل يســمى ايســول وقيل ان الناصــر بن علناس صـــاحب قلعة حماد هو الذي بنى بجاية وصيرها دار ملك له لهذا تسمى الناصرية وذلك في سنة (457هـــ) . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص145 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص80-81 .

[2] ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص89 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص204 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص714 .

[3] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص113 .

[4] ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص157 .

[5] القائد : هو القائد بن حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصـــــنهاجي تولى الحكم بعد ابيه واستمر حكمه للفترة (419- 447هـ) كان سديد الرأي ، عظيم القدر ، حارب حمامة بن زيري المغراوي امير مدينة فاس ، توفي في ذي القعدة في سنة (447هـ) فكان ملكه (27) سنة ولي بعده ولده المحســن بن القائد . للمزيد ينظر : ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص329 .

اولاد عمه حماد له بالطاعة[1]، ادى القائد بن حماد دوراً في توطيد اسس الصفاء بين ابيه وبني المعز بن باديس ، اذ كان هو السفير الذي بواسطته تم الصلح[2].

مرت العلاقات بين المعز والفاطميين في القاهرة بفترة من القلق والاضـطراب ، فكانت هذه الاوضاع تصب في مصلحة القائد بن حماد ، فقد كان يحس بقوة دولته ، واراد ان يظهر الاستقلال المعنوي لدولته ، وذلك عن طريق مخالفته للمعز في مجال السياسة الخارجية ، وإذا كان المعز لم يعلن رسمياً بعد انفصاله عن الدولة الفاطمية ، بل كان لا يزال يرائيها ويتلقى منها الهدايا والالقاب، فقد اقدم القائد على اعلان خروجه عن الدولة الفاطمية وخلع طاعتهم[3]، من اجل احراج المعز ولكي يظهر استقلاله عن المعز .

ومنذ ذلك الحين بدأت الصراعات بين المعز والقائد ، لذلك اضطر المعز امام استفزاز القائد ان يزحف اليه من القيروان سنة (432هـ/1040م) ، ويحاصر القلعة واشير الى انه سرعان ما توصل الى الصلح فاقلع المعز ورجع بشرط ان يعود القائد الى طاعة الفاطميين [4].

وعندما بدأ الانفصال العلني للمعز عن الخلافة الفاطمية فلم يجد القائد فائدة في خلافه للمعز ، إلاّ انه استفاد من الاوضاع التي آلت اليها دولة بني زيري في القيروان[5] ، إذ اجتاحت القبائل العربية بلاد المغرب بأمر من الخليفة الفاطمي المستنصر الذي دبر دخول القبائل العربية واباح لهم طريق النيل الى المغرب[6]، وبدأ القائد بن حماد تمرده على المعز وتخلى عنه واظهر الولاء للفاطميين[7].

---

[1] ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص157 .

[2] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص125 .

[3] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص86 .

[4] ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص492 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج9 ، ص352 .

[5] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص117 .

[6] ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج3 ، ص73 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص352 .

[7] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني الحماد ، ص117 .

يذكر ابن خلدون[1] ان هناك مراسلات تمت بين القائد بن حماد مع الفاطميين فقد جاءه لقب تشـــريفي حيث اطلقوا عليه شـــرف الدولة ، وذكر ان الدولة الحمادية اخذت تتعامل بالسكة المستنصرية[2]، هذا دليل واضح على اعتراف الدولة الحمادية في هذه الفترة بالخلافة الفاطمية واعلان الطاعة لهم[3] على ما يبدو ان هذه الطاعة للفاطميين لم تكن خالصة وانما فرضتها الظروف وذلك للمحافظة على دولتهم[4].

ويعد هذا اول اتصـــال في تاريخ الدولة الحمادية بدولة الخلافة الفاطمية ، إذ كانت لها نتائج كبيرة ، لذا نجد ان القبائل العربية التي اطلقها المستنصـر لم تصـب دولة بني حماد بسوء فعاش القائد في دولته مطمئنا على مصير مملكته[5].

فنتيجة لهذه العلاقات الطيبة بين الدولتين فقد اتاحت لمدينتي القلعة وبجابة احتلال مكانة القيروان التجارية والفكرية في المغرب على اثر هجرة الناس الى المدن الواقعة تحت حكم دولة الحماديين للتخلص من الغزو الهلالي[6] .

بعد ان مكث القائد بن حماد في الحكم لمدة سـبعة وعشـرين سـنة تولى من بعده ابنه محسن بن القائد[7] الذي لم يمكث في الحكم الا عدة اشهر فقد مات مقتولاً

---

[1] العبر ، ج6 ، ص352 .

[2] السجلات المستنصرية، السجل الخامس ، ص44 ، ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص352 .

[3] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص87 .

[4] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ص227 .

[5] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص117 .

[6] جوليان ، تاريخ افريقيا الشـمالية ، ترجمة : محمد فرالي ، د. ط. ، الدار التونسـية للنشـر ، تونس ، 1978 ، ص96 .

[7] محسـن بن القائد : هو محسـن بن القائد بن حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصـنهاجي ، كانت ولايته (8) اشـهر و (23) يوماً ، مات مقتولاً على يد ابن عمه بلقين بن محمد بن حماد الذي كان والياً على بلد اكربون فقتل محسن وعاد الى القلعة فدخلها ليلاً وملكها ، وبذلك توفي محسن مقتولاً في ربيع الاول (447هـ) . للمزيد ينظر : ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2، ص329 .

بيد ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد[1] الذي اعتلى الامارة سنة (447هـ/1055م)[2].

لقد مهدت عدة تطورات تاريخية لبلكين ان يؤدي دوره في تدعيم بناء دولته ، ومن اهم هذه التطورات ، دخول الزيرين في حرب مع الفاطميين ، وهزيمة المعز امام الخليفة الفاطمي الذي ارسل قبائل عربية تغزوا افريقية مما ادى الى خراب القيروان ، وبهذا نجد انها امنت على حدودها الشرقية الى جانب الزناتيين الذين يقفون على حدود الدولة الحمادية من ناحية الغرب حيث كانوا يشكلون خطراً كبيراً على دولة بني حماد[3].

كان بلكين سفاكاً للدماء محباً للحرب مما جعل الرعية يكرهونه لكثرة غزواته[4]، فقد انتهت حياته على يد ابن عمه الناصر بن علناس[5]، فقد قتله انتقاماً لقتله لاخيه محسن ، وبذلك ظهر الناصر كحاكم جديد لدولة بني حماد وتمكن ان يضع اسس ثابتة لعلاقاته الخارجية مع المرابطين[6] والهلاليين ، وكذلك وضع

---

(1) بلكين بن محمد بن حماد : هو بلقين بن محمد بن حماد بن بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، كان شيخاً جريئاً سفاكاً للدماء ، حارب زناته في سنة (454هـ) وقد بلغه ظهور يوسف بن تاشفين ببلاد المصامدة ملك المغرب لمدة خمس سنوات قتل على يد الناصر بن علناس . للمزيد ينظر : ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص335.

(2) ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص352 ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص87 .

(3) ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص366 .

(4) عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص121 .

(5) الناصر بن علناس : بن حماد بن بلكين بن زيري بن منادي الصنهاجي ، البربري ، ملك المغرب هو الذي انشأ مدينة الناصرية وكان حكمه(27) سنة توفي سنة (481هـ) قهر ابن عمه بلقين بن محمد بن حماد وغدر به واخذ منه الملك ، توفي الناصر يوم الجمعة السابع من جماد الاول من السنة المذكورة. للمزيد ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء ، ج18 ، ص587 .

(6) المرابطين : ينتمون الى قبيلة لمتونة احدى بطون صنهاجة ، حكمت للفترة بين (448-541هـ) لا يعرفون الحرث والزرع ، ويعتمدون في قوتهم على لحم الابل ولبنها ، عرفوا بالملثمين لارتدائهم اللثام اطلق عليهم المرابطين كونهم لزموا رابطة عبد الله بن ياسين= =الجزولي ، كان اول ملوكهم الامير بيرلونان اللمتوني الذي توفى سنة (222هـ) ثم جاء من

الاســـس لتعامله مع ابناء عمومته الزيريني في المهدية ، فقد اظهر الدولة الحمادية بمظهر المتحضـر الهادي فجعلها تمتاز بالاسـتقرار النسـبي مقارنة بالدول الموجودة بالمغرب العربي[1].

واجه الناصر بعد توليه الحكم الكثير من التهديدات التي كانت تحيط بمملكته، مما جعله يحتاج الى الكثير من الكياسـة والمهارة الشـديدة لترويضـها ، فقد اصـبح وجود القبائل العربية حقيقة من حقائق الوجود المغربي ، فضـــلاًعن قبيلة زناتة التي كانت تكن العداء للحماديين بعد ان قتل بلكين زعيمهم ، لذلك جعل من المتعذر على الناصـــر الاقامة في القلعة مما حمله على ان يختار موقعاً جديد فاختط مدينة بجاية وانتقل اليها سنة (461هـ/1068م) التي عرفت في عهده بالناصرية[2].

مات الناصـــر بن علناس في ســـنة (481هـــــ/1088م) وولي بعده ابنه المنصـور[3] فاقتفى اثار ابيه في الحزم والعزم والرياسـة ووصـلته كتب الملوك ورسـلهم

بعده بالتو بن بطي كانت مدة حكمه (65) ســـنة ، ولي بعده تلين بن يالئين فأقام اميراً على القبائل الصنهاجية الى سنة (306هـ) ، فقامت عليها قبائل صنهاجة ففرقت جمعهم فلم يجتمع المرابطين على احد لمدة (120) ســـنة ، الى ان قام بأمرهم محمد بن نيفان اللمطي ، حيث كان رئيس لمتونة فقام بهم الى ان مات في وقعة مع السودان ، ثم تولى بعده يحيى بن ابراهيم ، ثم اســتمر حتى جاء بعدهم عبد الله بن ياســين . للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل، ج1، ص618 ؛ البكري ، المسـالك والممالك ، ص170–171 ، مجهول ، الحلل الموشـية في ذكر الاخبار المراكشية ، تح : سهيل ذكار وعبد القادر زماقة ، الدار البيضـاء ، ت1979 ، ص8 ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص384 .

[1] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص124 .

[2] النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص224 ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص97؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص358 .

[3] المنصـــور:هو المنصـــور بن الناصـــر بن علناس بن حماد بن بلكين بن زيري الصـــنهاجي، تحرك الى المغرب بعد وفاة ولده الناصر في وقت صـارت تلمسان الى ملك المرابطين، وحدث صراع بين الطرفين في سنة(496هـ)انتهى بالصلح بين الطرفين.توفي سنة (498هـ)ولي بعده ابنه الامير باديس. للمزيد ينظر:ابن الخطيب،اعمال الاعلام، ص333.

بالتعزية بأبيه والتهنئة له بالملك ، وظلت العلاقات بين الدولة الحمادية في المغرب والخلافة الفاطمية في مصر تتصف بالودية[1].

وكان اخر امراء دولة بني حماد هو يحيى بن العزيز بن المنصـــور[2]الذي استلم الحكم سنة (515هـ/1121م) وطالت ايامه ، ففي عهده هاجم العرب الهلالية المغرب الاوسط وقضوا على اعوانه ، إلاّ ان العلاقة ظلت قائمة بين الدولتين ، ففي سـنة (536هـــ/1140م) رحل مركب فاطمي من الاسـكندرية ببضـائع وهدايا من الخليفة الفاطمي الى الامير يحيى صاحب بجاية[3]

لقد كانت طاعة بني حماد للفاطميين اسمية لا تتعدى نقش اسم الخليفة على السكة وتبادل الهدايا حتى اواخر عهد يحيى ، حيث تحول ولاؤه وطاعته إلى الخلافة العباسية ، وذلك في سنة 543هـ ، ففي تلك الفترة كانت الخلافة الفاطمية تعاني من المشـاكل التي احاطت بها فضــلاً عن سـيطرة الوزراء على الحكم . انتهت دولة بني حماد وانقرضت على يد الموحدين[4] ، وذلك سنة (543هـ/1148م)[5] .

---

[1] ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص455.

[2] يحيى بن العزيز بن المنصـور بن الناصـر ، كان فاضــلاً حليماً فصـيح اللسـان والقلم مولعاً بالصيد توفي سنة (544هــ) كان قد ولى ابنه المنصور العهد فتوفي في حياته ، واضطربت حاله بظهور دولة لمتونة لحق بقسـنطينة. للمزيد ينظر : ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص334 .

[3] ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص450 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص362 .

[4] الموحدين : هي الدولة التي اسسها مهدي بن تومرت في سنة (514هــ) واستمرت الى حين انقراضها في سنة (668هـ) فقد استمرت (73) سنة تقريباً وعدد ملوكهم كانوا سبعة عشر ملكاً اولهم ، المهدي بن تومرت واخرهم يوســف بن محمد . للمزيد ينظر : ابن عذاري ، البيان ، ج4 ، ص93–118 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص348 .

[5] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص363.

ثالثاً- العلاقات السياسية بين دولة المرابطين في المغرب الأقصى ومصر :

لقد شهد العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي ، تفككاً خطيراً فقد كانت الدول الاسلامية القائمة في ذلك الوقت الدولة العباسية والدولة الفاطمية ودول المغرب ودول الطوائف[1] في الاندلس، مثالاً للتمزق والضعف والصراعات فيما بينها ، ويعود سبب ذلك إلى زيادة الخلاف القائم بين السنة والشيعة ، وهو خلاف مذهبي تمتد جذوره الى القرن الاول الهجري ، وسرعان ما تطور وزاد حتى احدث التمزق والفرقة السياسية بين المسلمين[2].

ففي القرن الخامس الهجري ظهرت جبهتان متعادتيان ، وهي الدولة الفاطمية في مصر ، والدولة العباسية في بغداد ، وطوال هذا القرن اضطربت الاحوال في بغداد فأصبحت الدولة العباسية العوبة بأيدي السلاجقة[3]، كما ان

---

[1] دولة الطوائف في الأندلس ظهرت في النصف الأول من القرن الخامس الهجري بعد سقوط الخلافة الأموية عام (422هـ/1064م) حيث انتهى كبار القادة والزعماء المحليين الطامعين ، فقد ظهرت عشرين دولة مستقلة في عشرون مدينة أو مقاطعة ، ومن أشهرها : مملكة بني عباد في اشبيلية ، وبني حمود بمالقة والجزيرة ، وبني زيري بغرناطة ، وبني هود بسرقسطة ، وبني ذي النون في طليطلة . كان هذا العصر مثالاً للتمزق السياسي وضعف مبادئ الاسلام . للمزيد ينظر : السلاوي ، الاستقصا ، ج2 ، ص33 ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص100-102 .

[2] الهرفي ، سلامة محمد سلمان ، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية ، د. ط ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، 1985 ، ص37 .

[3] السلاجقة : هم قوم من الاتراك ينتسبون الى زعيمهم سلجوق بن دقاق نزحوا من منطقة تركستان الى ما وراء النهر حيث عاشوا لفترة هناك واختلطوا بالمسلمين ، وبعد وفاة زعيمهم وصلوا الى اقليم بخارى على مشارف مملكة السلطان محمود الغزنوي ، واضطروا ان يدينوا له بالولاء ولكن اطماعهم جعلت السلطان يخشاهم فقضى على قائدهم وشرد اتباعه فاتجهوا الى خراسان وبدأت دولتهم تتسع وسيطروا على معظم بلاد ايران وشمال العراق واسيا الصغرى بعد اعلان دخولهم في طاعة الخليفة القائم بأمر الله العباسي ،ففي سنة (447هـ) ملك طغرلبك بغدادوهو اول ملوك السلجوقية لبلاد العراق. للمزيد ينظر :ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء ،(ت774هـ)،البداية والنهاية ،تح؛عبد الله بن عبد المحسن = =بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية، ط1،دار هجر ، مصر ،1988م،ج15،ص729؛حسن ،ابراهيم حسن ،

السلاجقة انفسهم كانوا في صراع مرير فيما بينهم على السلطة[1].

لم تكن الدولة الفاطمية احسن حالاً من الدولة العباسية ، فقد بدأت تدخل دور الضعف ولاسيما في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر حيث اضطرب الامن في مصر مما جعله يستنجد بوالي عكا[2](بدر الجمالي)[3] فاستدعاه الى مصر عام (466هـ/1073م) وهو بدوره تمكن من اعادة الهدوء والامن والسيطرة على البلاد والاستحواذ على السلطة دون خليفة الفاطميين[4]،وتعد هذه الفترة حداً فاصلاً بين الائمة الاقوياء وعهد الوزراء ، ففي اثناء ذلك نقلت السلطة الفاطمية نهائياً من ايدي

تاريخ الاسلام السياسي ،ط1،القاهرة، 1967م،ج4،ص8-9؛ زيد، اسامة زكي ، الصليبيون واسماعيلية الشام ، الهيئة المصرية، الاسكندرية ، ت1980 ، ص112 .

[1] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص147 .

[2] عكا: مدينة كبيرة من ثغور الشام بينها وبين طبريا يومان ، وهي قاعدة من الافرنجة بالشام ومرفأ لكل سفينة وملتقى تجار المسلمين والنصارى . للمزيد ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص410 .

[3] بدر الجمالي: ابو النجم امير الجيوش المصرية ، ووالد الملك الافضل شاهنشاه اصله من ارمينية ولي امرة دمشق ثم استقدمه المستنصر صاحب مصر لسنة (455هـ) وقلده وزارة السيف والقلم ، ولد سنة (405هـ) وتوفي سنة (487هـ) . للمزيد ينظر : ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي (ت677هـ) ؛ اخبار مصر ، صححه هنري ماسيه ، د. ط ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ، 1919 ، ص35 ، ابن ايبك الصفدي صلاح الدين خليل بن (ت764هـ) ، الوافي بالوفيات ، تح : احمد الارؤناوطي؛تركي مصطفى ، ط1، دار احياء التراث العربي ،2000م، ج10، ص95 ؛ المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص195 .

[4] سرور، محمد جمال الدين ،الدولة الفاطمية قيامها ببلاد مصر ، ص13-114 ؛ المناوي ، محمد حمدي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، د. ت، ص37 .

الائمـــة الفـــاطميين الى ايـــدي الوزراء فعرفـــت تلـــك الفترة بتـــاريخ الفـــاطميين بعض الوزراء[1]، ولم يتمكن المستنصر ولا من اتى بعده من التخلص من براثنهم[2].

لم يكن المغرب الاسلامي اسعد حظاً من المشرق الاسلامي ، فكان يعيش في هذه الفترة محنة سـياسـية ودينية واقتصـادية لضـعف السـلطة المركزية وانعدامها في بعض الفترات ، لذا كان المغرب نهباً للطوائف المتنازعة والمتصارعة فيما بينها[3].

وفي هـذه الظروف اجتمعـت قبـائـل صـــنهـاجـة في المغرب وبشـــرت بميلاد دولة المرابطين في المغرب الاقصى في عام (448هـــ/1056م) ، ثم نشأت دولـة الـموحـدين ســـنـة (541هـــــ/1146م) ، شـــأنـهـا فـي ذلـك شـــأن دولـة المرابطين غير ان كلاً منهما قام على أســـاس ديني ، إذ اختلفت انتمـاءاتهم المـذهبيـة ، كمـا ان كلاً منهمـا قـام بفضـــل جهود رجـل واحـد ، واذا كانت دولة المرابطين قامت بجهود الفقيه المالكي عبد الله بن ياســـين[4] ، فإن

---

[1] عصـر الوزراء : بدأ هذا العصـر مع تولي بدر الجمالي منصـب الوزير في الدولة الفاطمية سنة (455هـ) وزراء السيوف ووزراء التفويض ، ومنذ ذلك الحين بدأت سلطات الوزير تتسع . للمزيد ينظر : ابن الصـيرفي ، الاشـارة الى من نال الوزارة، ص49–73، القلقشـندي، صـبح الاعشى، ج3، ص507؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص45 .

[2] طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص33 .

[3] الهرفي ، دولة المرابطين، ص41 .

[4] عبد الله بن ياسـين : هو عبد الله بن ياسـين الكزولي ، كان فقيهاً صـالحاً شـهماً ارسـله ابو عمران الفاسي بعد ان طلب منه الجوهر شيخ قبيلة جدالة ان يبعث معه الى قبيلته من يعلمهم شرائع الاسـلام فسـار معه حتى اتيا قبيلة لمتونة فنزل الجوهر عن جمله واخذ بزمام جمل عبد الله بن ياسين تعظيماً لشريعة الاسلام وقال عنه جوهر انه حامل سنة رسول الله(ρ) ، قد جاء يعلمكم ما يلزم في دين الاســلام وبذلك سـمي امير المسـلمين ،وثم حرضـهم على الجهاد في سبيل الله ممن يخالفهم ، توفي سنة (450هـ) مقتولاً على يد اهل السوس . للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص327–328 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج4، ص7 ؛ البكري ، صفة المغرب المسالك والممالك ، ص169 .

دولة الموحدين قامت بجهود محمد بن تومرت[1] الذي قضـــى على دولة المرابطين[2]

.

انتشـــر المذهب المالكي على يد عبد الله بن ياســـين الجزولي بين قبائل صـنهاجة الصـحراء[3]، وما لبث ابن ياسـين ان اتجه بمجموع المرابطين الى الشـمال فهزم زناته[4]، واســـتطاع عبد الله بن ياســـين ان ينشـــر تعاليم الدين بين قبائل الملثمين[5]، غير انه واجه رفضـــاً في بادئ الامر من بعض القبائل مما حمل ابن

---

(1) محمد بن تومرت : هو المهدي ابو عبد الله محمد بن عبدالله بن تومرت العلوي الحســني من المصــامدة والتي تعرف بقبيلة هرغة في جبل الســوس من بلاد المغرب مولده بضــيعة تعرف بإيجلي، ولما كانت سنة (515هــــ) قام ابن تومرت في صورة امر بالمعروف ناه عن المنكر توفي سنة (524هـــ) وكان عمره احدى وخمسين سنة ، وقيل خمسة وخمسين سنة ومدة ولايته عشــرون ســنة . للمزيد ينظر : ابن الاثير ،الكامل ،ج 8،ص249–289؛المراكشــي ، عبد الواحد بن علي (ت647هـ) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد سعيد العريان ، لجنة إحياء التراث الإســلامي، القاهرة، د.ط ، ت 1963م ، ص137 ؛ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج2 ، ص398–399 .

(2) حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص86 .

(3) النويري ، نهاية الارب ، ج24 ، ص254 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص374 ؛ ابن ابي الزرع ، ابو الحسن علي الفاسي (ت726هــــ) ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب،ج2 ، ص10–11 .

(4) ابن عذارى ، البيان ، ج4 ، ص27–28 .

(5) الملثمين : هم قوم ملثمون لا يكشفون وجوههم لذلك سموا بالملثمين وهم من قبيلة البربر يقال لها لمتونه كانوا على المجوسية قبل الاسلام واسلموا بعد الفتح وموطنهم يمتد من غدامس من جنوب طرابلس الى المحيط الاطلسي ومن جبال درن في الشمال حتى مصب نهر السنغال ، وعدد قبائل الملثمين يزيد على الســبعين قبيلة وهم قوم لا يعرفون حرثاً ولا زرعاً عيشــهم على اللحوم واللبن ، وسبب تسميتهم بالملثمين تعددت الاراء حولها فقد ذكر ابن عذاري البيان ، ج4 ، ص128–129، انه تقليد موروث عن حمير الذي كانوا يتلثمون لشـدة الحر والبرد، وقد ذكر ابن الاثير ، فقيل كان ســـبب اللثام لهم ان طائفة من لمتونه خرجوا غائرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشـايخ والصـبيان والنسـاء فلما تحقق المشـايخ انه العدو امروا النســاء ان يلبســن ثياب الرجال ويتلثمن ويتخفين حتى لا يعرفن ويلبســن الســلاح ففعلن ذلك ، وتتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف العدو رأى جمعاً عظيماً فظنه رجالاً فقال هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهن قتال الموت فأخذ يجمع الغنم من المراعي ، إذ اقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم= =وبين النســـاء فقتلوا من العدو الكثير

ياســين على ان يعتزلهم ، وخرج على بلاد الســودان[1] بصــحبة يحيى بن عمر[2]، واخوه و بكر بن عمر[3] وسـرعان ما كثر اتباعه من الصــنهاجيين الملثمين الراغبين في العبادة والزهد حتى بلغوا تقريباً الف رجل ، ثم اتجه ابن ياســـين بجموع الملثمين صوب القبائل المتمردة وقاتلهم وانتصر عليهم واجبرهم على الدخول في الطاعة[4] .

واصــل عبد الله بن ياسـين جهاده ضـد قبائل صـحراء حتى اسـتشـهاده سـنة (451هـ/1059م) اثناء قتاله ضد برغواطة ، واختار المرابطين لرئاستهم أبا بكر بن عمر اللمتوني الذي توجه سنة (453هــــ/1011م) الى الصحراء الجنوب من اجل

ومنذ ذلك الوقت جعلوا اللثام سـنة يلازمونها فلا يعرف الشـيخ من الشـاب فلا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً. للمزيد ينظر : الكامل في التاريخ ، ج28 ، ص330.

[1] بلاد السودان : وهي بلاد كبيرة واسعة تمتد من المحيط الاطلسي حتى البحر الاحمر . للمزيد ينظر : المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت388هـــ) ، احسن التقاســـيم في معرفة دول الاقاليم ، تح: محمد مخزوم ، بيروت ، 1987 ، ص231 ، مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص200–201 .

[2] يحيى بن عمر : هو يحيى بن عمر بن ثلاكاكين للمتوني وهو رجل صالح شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين ، تولى امر المرابطين بعد مقتل عبد الله بن ياسين عندما حارب بلاد السوس فنصره الله على اهل السوس(برغواطة) ثم سار الى سجلماسة ، ودخلها سنة (453هــ) ثم استعمل عليها يوسف بن تاشفين ، وقد سمي امير الحق وكان يكنى ابو زكريا . للمزيد ينظر : ابن عذارى ، البيان ، ج4 ، ص7 .

[3] ابو بكر بن عمر : وهو بن عمر بن ثلاكاكين بن ترحوة بن زرياط اللمتوني ، وكنيته ابو بكر التي غلبت على اسمه كان رجلاً صـالحاً ورعاً قضــى الامير ابو بكر جميع وقته في اصــلاح امور الصــــحراء ، وهو اخو يحيى بن عمر تركه اخوه اميراً على بلاد درعه فاجتمع له جيش كثيف من لمتونه ومسوفه ولمطه ، اخذ الامير ابو بكر في الحركة الى الصـحراء ولي يوسـف مكانه وقسم الجيش بين يوسف وبينه في سنة (463هـــ) وكان قد تزوج زينب النفزاوية وعندما ذهب الى الصحراء طلقها وقال لابن عمه يوسف بن تاشفين تزوجها ، وفي سنة (465هــــ) وصــل أمير أبو بكر في الصــحراء الى مراكش فوجد يوسـف قد اسـتفرد بالمملكة وطاعت له جميع البلاد القريبة ، فعلم انه مغلوب عليه وعزم على تســـليم الامر اليه. للمزيد ينظر : ابن عذاري ، البيان ، ج2 ، ص6 .

[4] البكري ، المسالك والممالك، ص164 ؛ ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج1، ص10 .

نشر الاسلام في بلاد السودان ، وخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين[1] الذي شرع بتأسيس مدينة مراكش ، وتمكن يوسف من اخضاع مدن المغرب حتى تم سيطر على المغرب سنة (477هـ/1084م)[2] .

لم يفكر المرابطون في الاعتراف بالخلافة الفاطمية في مصر[3]، وهم الذين اعتنقوا المذهب المالكي ، والذين كانوا يكفرون ويتهمون الفاطميين بالزندقة والالحاد[4]، وهذا يتفق مع موقف الدولة العباسية التي كانوا يخطبون باسمها في المغرب ، واتخذوا السواد شعاراً لهم في ملابسهم واعلامهم ، فقد كان المرابطون ينظرون الى الخليفة العباسي على انه الخليفة الشرعي[5] ، وفي المقابل كانوا لا يعترفون بشرعية الخلافة الفاطمية[6].

---

[1] يوسف بن تاشفين : هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم الصنهاجي الحميري ، كنيته ابو يعقوب تولى قيادة المرابطين في سنة (463هـ/1071م) ، بعد عبد الله بن ياسين وابو بكر بن عمر عندما جعل من سجلماسة قاعدة جنوبية لدولته ، وبفضله صارت مركز تجمع للصنهاجيين الصحراويين الجنوبيين وخاصة قضاء اللمتونة ومسوفة وجدالة واهتم كذلك بمراكش ووسع عمرانها وجعلها عاصمة دولة المرابطين ، ثم دخل فاس سنة (464هـ) وبهذا امتد سلطان المرابطين فشمل جبل الريف ووصل الى اقليم طنجة واجتهد في حربه ضد برغواطة حتى محى معالمها ونجح يوسف بالتغلب على كل القبائل صاحبه السلطة . للمزيد ينظر : المراكشي ، عبد الواحد بن علي ،(ت647)، وثائق المرابطين والموحدين ، تح: حسين مؤنس ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1997م ، ص25-26 .

[2] مراكش : شمال اغمات وعلى اثني عشر ميلاً منها بداخل المغرب بناها يوسف بن تاشفين سنة (470هـ) وقيل سنة (459هـ) بعد ان اشترى ارضها من اهل اغمان بحمله اموال واختصها له ولبني عمه وليس حولها من الجبال الا جبل صغير يسمى ايجلين وفيها قطع الحج الذي بني فيه قصر علي بن يوسف امير دولة المرابطين ثم حكمها عبد المؤمن بن علي امير دولة الموحدين . للمزيد : ينظر : المؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص54 ، الحميري ، الروض المعطار ، ص540 .

[3] ابن عذاري ، البيان ، ج4 ، ص26 .

[4] ابن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص414 .

[5] ابن عذاري ، البيان ، ج4 ، ص27-28 ؛ الدباغ ، معالم الايمان ، ج3 ، ص21.

[6] ابن الاثير ، الكامل ، ج1 ، ص414 .

حاول الوزير الفاطمي بدر الجمالي تحسـين علاقاته مع المرابطين الا انهم لم يميلوا اليـه، وعندها امر بقتل من ظفر بـه منهم ، ولكن ابنـه الافضـــل بن بـدر الجمالي[1] نجح في استقطاب المغاربة الى بلاده ، ولحسن معاملته لهم[2] ، غير ان الفاطميين كانوا يسـيطرون على طريق حجيج المغرب والاندلس الى مكة ، وخاصــة بعد نجاح الصـــليبيين[3] في اقامة مملكة بيت المقدس والســيطرة على الكرك[4] ، فضـــلاً عن ذلك ســـيطر الفاطميين على الحجاز في فترات متقطعة[5]، مما جعل المرابطين يجنحون الى سـياسـة مسـالمة مع الخلافة الفاطمية ليطمئنوا على سـلامة حجيجهم .

---

[1] الافضل بن بدر الجمالي: تسلم السلطة الفعلية في مصر في عهد الخليفة الفاطمي المستعلي بالله (487–495هــ) ، وكانت فترة حكمه من سنة (487–515هــ) فهو الوزير وقائد الجيش والمشـرف على شـؤون القضــاء والدعوة ، اجرى بعض التغيرات في رسـوم الخلافة الفاطمية الدينية ، واخذ يميل نحو اهل الســـنة فالغى الاحتفالات بمولد النبي (ρ) ومولد ابنته فاطمة وعلي بن ابي طالب(عليهما الســلام) مما ادى الى اضـــعاف النفوذ الفاطمي ، كما اســتخدم موظفين نصــارى بكثرة . للمزيد ينظر : ابن الطوير ، ابو محمد مرتضــى عبد الســلام ، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين ، ص79 ؛ النويري ، نهاية الارب، ج28 ، ص274–280 .

[2] الهرفي ، سلامة محمد سلمان ، دولة المرابطين ، ص97 .

[3] الصـــليبيين : هي حركة قامت على يد البابا اوريان الثاني في كليرمونت في اواخر عام 488هـــ/1095م . حيث بدأ البابا بجولات دينية في بلدان الغرب الاوربي لتعبئة الرأي العام . فانتشرت دعوته في ارجاء اوربا ، وسمح لكل من حمل الصليب بالتوجه الى الاراضي المقدسة . للمزيد ينظر : قاسم عبدة قاسم ، مأهية الحروب الصليبية ، د. ط ، عين للدراسات والبحوث الاسـلامية ، 1993م ، ص11 ؛ بطرس توديود ، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ،تح: حسـين محمد عطية، د. ط، دار المعارف الجامعية، 1999م، ص62.

[4] الكرك : وهو حصـن مشـهور بناحية الشـام ومعقل للنصـارى معترض في طريق الحجاز وهو من القدس مسـافة يوم واحد ، اهلها يقطعون على المسـلمين في البر الى الحجاز وهو متصـل العمارة حاصـــره صـــلاح الدين في حربه مع الصـــليبيين . للمزيد ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص202 .

[5] سرور ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب ، ص30–36 .

يذكر لنا ســـلامة محمد ســـلمان على أنه عثر على وثيقة تؤكد لنا ان هناك علاقات بين المرابطين والفاطميين وهي عبارة عن رســـالة موجهة من قبل علي بن يوسف بن تاشفين الى الافضل بن بدر الجمالي يثني بها على الافضل وزير الدولة الفاطمية وعلى الخدمات التي قدمها للحجيج المارين في مصــــر ويوصــــيه على شخصية كبيرة من المرابطين تريد ان تحج بيت الله[1].

رابعاً – العلاقات السياسية بين دولة الموحدين بالمغرب ومصر :

ظهرت دولة الموحدين الى الوجود في سنة (541هـ/1059م) بعد ان انتهى حكم المرابطين فقامت دولة الموحدين بزعامة الفقيه محمد بن تومرت الهرغي ، فقد انتهج له منهجاً جديداً ، واخذ يوسع ملكه في شمال افريقيا فاستولى على مراكش في عام (542هـ/1060م) عندما قضى على المرابطين ثم تقدم شرقاً فبسط سلطانه على اقليمي الجزائر[2] وتونس ، وظل يتابع زحفه حتى وصـــل الى حدود مصـــر الغربية فاســـتولى على طرابلس وبرقة ، وبعد ان فتح عبد الؤمن هذه البلاد عاد ادراجه الى المغرب الاقصى وادركته الوفاة سنة (558هـ/1162م)[3] .

عمل الموحدون على نشـــر الدعاية اللازمة للخلافة الموحدية في العالم الإسلامي حيث كانوا يرون احقيتهم بالخلافة دون غيرهم من المسلمين وعدوا أنفسهم خلفاء المســلمين في الارض ، فأرســلوا الدعاة الى مصـــر الذين بلغ عددهم واحداً

---

[1] للمزيد ينظر : دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، دراسة سياسية وحضارية ، ص177 ،وملحق رقم (5) .

[2] الجزائر : هي مدينة جليلة قديمة تقع على ضـــفة البحر ، وفي جبالها قبائل البربر وزراعتهم الحنطة والشعير واكثر اموالها المواشي البقر والغنم ، ويتصل بجزائر بني مزغنا . للمزيد ينظر : البكري ، المســالك والممالك ، ص266 ؛ الادريســي ، نزهة المشـتاق، ص89 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص163 .

[3] سرور ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب ، ص363 .

وخمسين رجلاً ، إذ كانت طموحات المهدي في نشر الدعوة الموحدية في بلاد المشرق ولاسيما في مصر [1] .

بدأ ابن تومرت دعوته بمحاربة شتى انواع الفجور والفسوق حيث اخذ يمشي في اسواق المدن ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويكسر المزامير كما اخذ ينقص من المرابطين ويطعن فيهم وينسبهم الى الكفر وادعى ان قتالهم واجب[2] ، وما ان سمع علي بن يوسف المرابطي بأمر بن تومرت فدعاه الى مراكش ، واجرى بينه وبين فقهاء المرابطين مناظرات عجز من خلالها فقهاء المرابطين في محاججته ، لذا حذروا الامير علي بن يوسف من خطورته ، فأخرجه من مراكش فتوجه ابن تومرت الى مدينة يتنمل[3]، وبدأ دعوته سنة (515هـ/1121م)[4] .

عرفت دولة الموحدين فضلاً عن عبد المؤمن بن علي عدة خلفاء خلفوه في الحكم الا ان عبد المؤمن يعد من الخلفاء الفاتحين قاتل سبع سنوات حتى سنة

---

[1] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص210 .

[2] ابن القطان ، ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتابي (ت628هـ) ، نظم الجمان وواضح البيان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان ، تح : محمود علي مكي ، دار الاسلام ، بيروت ، 1990م ، ص132.

[3] يتنمل : جبل عال جداً في قلب جبال الاطلس شديد البرودة يزدحم السكان فيه في كل جهة وعلى قمته مدينة تحمل اسمه فيها مسجد جميل ، يخترقها نهر جاري وفيها دفن الداعية المهدي وتلميذه عبد المؤمن ، وسكان البلد من شر الخلق وارذال النسل يدعون بأنهم علماء، لانهم درسوا جميعاً عقيدة هذا الداعي ، يرتدون ثياباً رديئة لعدم وجود التجارة ، حيث لا يصل اليهم أي تاجر اجنبي ، يأكلون عادة الشعير وزيت الزيتون وعندهم كمية كبيرة من الجوز والتفاح والصنوبر . للمزيد ينظر : الفاسي ، الحسن بن محمد الوزان، المعروف بليون الافريقي ، وصف بلاد افريقية ، ترجمة محمد صبحي ، محمد الاخضر ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، 1983 ، بيروت ، ج9 ، ص105 .

[4] المراكشي ، عبد الواحد ، وثائق المرابطين والموحدين ، ص73 .

(542هـــ/1147م) وانتهى القتال بسقوط مراكش والاستيلاء عليها ، واصبح عبد المؤمن حاكماً للمغرب الاقصى وحتى حدود المغرب الاوسط[1].

كما قام بعمليات جريئة في اسبانيا اخضع بها الامراء الذين اعلنوا استقلالهم، وفي سنة (547هـــ/1152م) شرع بنفسه في فتح افريقية واستولى عليها سنة (553هـ/1158م) فضاع في العاصفة الموحدية كل ما تبقى من أسر صنهاجة من بني زيري وبني حماد والأسر التي اقتسمت ما بقي منها[2]. وابعد النصارى عن المهدية وروض العرب الهلالية ودعاهم للمساهمة في الجهاد المقدس وهكذا جمع عبد المؤمن كل بلاد المغرب في يده وقسمها الى مقاطعات[3].و ذكر ان الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف عزم على مصر لتطهيرها من المنكر والبدع رغم سقوط الخلافة الفاطمية في مصر[4]. فلم تسعفنا المصادر عن مدى العلاقات بين الدولة الموحدية في المغرب والفاطميين في مصر، إلاّ أنها لم تكن بأحسن حالاً من علاقات المرابطيين بالفاطميين.

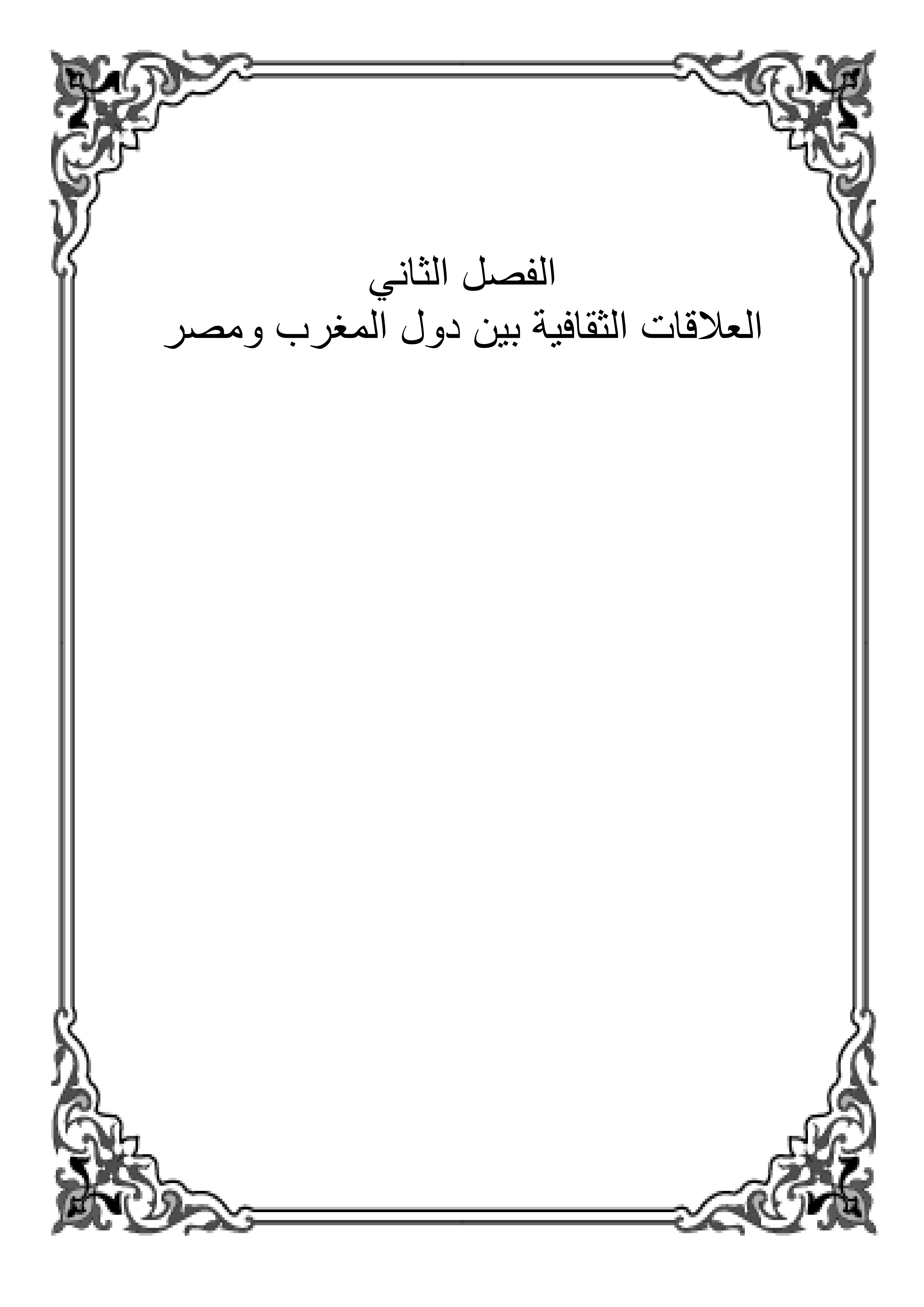
---

[1] البيذق ،ابو بكر بن علي الصنهاجي ،(توفي في القرن السادس الهجري)، اخبار المهدي بن تومرت وابتداء الدولة الموحدية ، نشر ليفي بروفنسال ،د.ط ، باريس ، 1928م ، ص27-28.

[2] جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، ص304-312 .

[3] المرجع نفسه ، ص312 .

[4] حسين خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص88 .



الفصل الثاني
العلاقات الثقافية بين دول المغرب ومصر

أولاً- المؤسسات التعليمية والثقافية في بلاد المغرب (362-567هـ)

علينا ان نذكر انه يستحيل رسم صورة كاملة عن مظاهر الحياة الثقافية في بلاد المغرب خلال فترة (362-567هـ/ 972-1117م) ، وذلك لانعدام مصادر متخصصة في هذا المجال ، وان وجدت إنما هي مصادر تراجم التي ذكر فيها بعض الأعلام ضمن تراجم أعلام آخرين أو إشارة حول المؤسسات التعليمية في كتب الموسوعات من خلالها استطعنا ان نبني صورة عن الحياة الثقافية ومن هذه المؤسسات المساجد والجوامع والرباطات والمكتبات والقصور والمدارس .

تعد المساجد من أهم المراكز الثقافية ليس في بلاد المغرب ومصر فحسب بل في الأمصار الإسلامية جميعها ، حيث كان المسلمون يحرصون على بناء المساجد الجامعة[1] عند إنشائهم المدن في الأمصار التي فتحها المسلمون ، فقد مثل المسجد اولاً مكاناً للعبادة وثانياً مكاناً للتعليم كما كان مكاناً للقضاء والفصل بين الناس وفيه يدعى للجهاد.

والمسجد يعد اللبنة الأولى للبناء الاجتماعي والديني بوصفه أداة لصهر المؤمنين بالإسلام في وحدة فكرية واحدة من خلال حلقات العلم والعبادة والقضاء وإقامة المناسبات المختلفة[2] .

امتاز النشاط الثقافي في بلاد المغرب عامة بكثرة الفقهاء والمحدثين ، كما امتازت بنقص واضح في العلوم العلمية والفلسفية ، وان كانت في الواقع لم تحرم من

---

[1] المساجد الجامعة : لغة يعني هو مكان السجود ، واصطلاحاً هو المكان المخصص لأداء الصلاة وقيام العبادات الدينية ، أما الجامع فمعناه هو المكان الذي يجتمع فيه الناس وهنا يختلف في معناه عن كلمة المسجد ، فيعتبر الجامع نعت للمسجد فقد كانوا في الصدر الأول للإسلام يفردون كلمة الجامع وكانوا يقصدون كلمة المسجد ، واخذ يطلق على الجامع الذي تقام فيه صلاة الجمعة مصطلح المسجد الجامع . لمزيد ينظر : ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ)، فهارس لسان العرب ، إعداد عبد الله على الكبير وآخرون ، القاهرة ، د. ط ، ت1984 ، ج3 ، ص240؛ البكاء ، أمين السيد خلف ، المسجد في الإسلام حتى نهاية العصر الأموي ، ط1 ، شركة الحسام للطباعة ، بغداد ، 2002م ، ص13 .

[2] الجندي ،أنور ، الإسلام وحركة التاريخ ، مصر ، د. ط ، د. ت ، ص32 .

عباقرة رفعوا شـــأنها إلى القمة في هذه الميادين ، فقد ترك كل واحد منهم طابعاً بارزاً في ميدان من ميادين الثقافة العربية في المغرب ، بل في العالم العربي كله[1].

لقد شهدت بلاد المغرب تقدماً وتطوراً كبيرين شمل معظم أوجه العلوم والمعرفة منذ اللحظة التي فتح فيها المغرب الأدنى ، بل مع المحاولات الأولى للفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري حمل الإسلام في طياته خصوصية الثقافة[2]والعلم أخذت العلوم الدينية تملأ ساحة العلم ، ولهذا كله ليس غريباً ان نقول ان افريقية بل والمغرب عموماً كانت من أوائل الأقاليم المفتوحة التي تجاوبت مع الإســـلام ومع خصوصياته العلمية[3].

---

[1] كرو، أبو القاسم محمد ، عصر القيروان ، ط1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة ، تونس، 1973م ، ص33 .

[2] الثقافة : هي محاولة المجتمع للوصـول إلى الكمال الشـامل عن طريق العلم بأحسـن ما في الفكر الإنسـاني مما يؤدي إلى رقي البشـرية ، وقيل في الدين من العناصـر التي اسـتعان بها الإنســان في محاولاته للوصـــول إلى الكمال ، ويمكن ان تعرف الثقافة هي التهذيب ومحاولة الوصول إلى الكمال وإنها جماع المعرفة الإنسانية ، ويمكن ان تعرف الثقافة هي كل شيء في حياة الشعب أي يشمل طريقة حياته وطريقة تفكيره ، ومدى هذا التفكير ونظرته إلى الحياة وما الى ذلك . للمزيد ينظر : مؤنس، حسين ، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، عالم المعرفة ، سـلسـلة كتب ثقافية يصـدرها المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، د. ط ، 1978م ، ص324-325 .

[3] حوالة ، يوســف بن أحمد ، الحياة العلمية في أفريقية (المغرب الأدنى) منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90-450هـ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، جامعة أم القرى ، ط1 ، 2000 ، ج1 ، ص86-89 .

المسجد الجامع في طرابلس :

لما فتح عمرو بن العاص (ت43هـ/663م) طرابلس سنة (20هـ/640م)ونظم أمورها بنى فيها أول مسجد إسلامي[1]، فبدأ التعليم أول الأمر بطرابلس بالمسجد الذي عرف بمسجد الناقة أو مسجد عمرو الذي شيده سنة (23هـ/643م) [2] ، فقد كان جامعاً صغيراً يقع في قلب المدينة فعدت طرابلس القلعة الأولى التي فتحت في المغرب[3].

كان تشييد المساجد الجامعة في الإسلام أساس العمران والثقافة ، وهذا يفسر لنا موقع طرابلس ودورها الثقافي من خلال مراكز الثقافة فهي تتصل بمصر فثقافتها مصرية ، من هذا المنطلق امتدت جذور الثقافة المصرية إلى طرابلس[4] .

استمر التعليم في جامع الناقة أو جامع عمرو بطرابلس مقتصراً على حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية حتى بنى الاغالبة[5] الجامع الكبير بطرابلس في

---

[1] راسم رشدي ، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر ، ط1، طرابلس ، ليبيا ، سنة 1953م ، ص233 .

[2] الحميري ، الروض المعطار ، ص389-390 .

[3] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص184 . .

[4] المرجع نفسه ، ص185.

[5] الاغالبة : حكم الاغالبة المغرب الأدنى للفترة من (184-296هـ) ، فقد منح الخليفة العباسي هارون الرشيد الإمارة إلى إبراهيم بن الأغلب نضير جزية سنوية قدرها 40 ألف دينار ، وقد اتخذ القيروان عاصمة لهم واخذ يحكمها عدد من الأمراء الاغالبة واستطاعوا ان ينشروا بذور الحضارة الإسلامية في المغرب وتمكنوا من تأسيس اسطولاً عظيماً فتحوا به جزر عدة منها مالطة وسردانية ، وحاولوا ان يفتحوا روما ، سقطت هذه الدول على يد الفاطميين في سنة 296هـ . للمزيد ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص321 -237 ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص135-136 ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج2 ، ص172-177 ؛ سالم السيد عبد العزيز ، دراسات تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ، مؤسسة شباب. الجامعة ، ط1 ، الإسكندرية ، ج1 ، ص131 ؛ سعد زغلول ، تاريخ المغرب الكبير ، ج1 ، ص101-103 .

القرن الثالث الهجري والتحق العلماء فيه للتدريس ، وكان يغلب عليه المذهب الحنفي[1] .

وبقيام الدولة الفاطمية في المغرب سنة (296هـ/908م) فقد اهتمت به وعملت على توسـيعه وأحدثت فيه التعليم الشـيعي ، فصـار التعليم في ذلك الجامع تابع لمذهب الدولة الجديدة[2].

ونشطت الحركة الفكرية في ذلك المسجد بفضل موقع طرابلس التي تربط بين القاهرة وبين القيروان والأندلس ، فقد كان العلماء والأدباء من أعلام الفكر في ذلك الوقت يرتحلون في طلب العلم ما بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي[3].

هذا وقد أشار التجاني في رحلته إلى وجود بعض المساجد خارج سور مدينة طرابلس مثل مسجد الشعاب سمي نسبة إلى منشأ عبد الله الشعاب[4] ، ومسجد الجدة الذي أصبح يسمى فيما بعد بمسجد البارزي[5] ، وهو خارج طرابلس مشرف على المقابر [6].

---

[1] حسين خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص184-185.

[2] المرجع نفسه ، ص185 .

[3] التجاني ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد (ت717هـ) ، رحلة التيجاني ، تعليق حسن حسين عبد الوهاب ، د.ط، دار العربية ، ليبيا ، ت1981م ، ص237 .

[4] ابو محمد عبد الله شعاب ، ولد بطرابلس ، وهو من كبار الصوفية واحد الزهاد الورعين كان نجاراً ، ولا يأكل الا من كسب يده ، نسب له مسجد الشعاب لأنه هو الذي اتمه ولزم السكنى له ، توفي سنة (234هـ) . للمزيد ينظر : الأنصاري ، احمد بن الحسين النائب ، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الاعيان ، تعليق محمد زيهم محمد عرب، دار الفرجاني ، د. ط ، د. ت ، ص69-70 ؛ التجاني ، رحلة التجاني ، ص247 .

[5] مسجد البارزي : هو المسجد المعروف بمسجد الجدة لان احد جدات بني الاغلب ولاة افريقية شيدته وهذا ما عرف بالقديم ثم عرف فيما بعد بمسجد البارزي لسكنى أبي الحسن البازي به ، واشتهر هذا المسجد بسكنى ابي عثمان سعيد بن خلفون الحساني المعروف بالمسجاب واصلة من قرية حسان من قرية طرابلس . للمزيد ينظر : التيجاني ، رحلة التيجاني ، ص249 .

[6] إدريس ، الهادي ردجي ، الدولة الصنهاجية ، ج2 ، ص68 .

وكان لموقع طرابلس وانفتاحها على علوم الفسطاط[1]، والقاهرة اثر في ازدهار الثقافة فيها وأصبحت تأج بالأدباء والعلماء والشعراء ،وفي عهد الدولة الزيرية نضج التعليم بالجامع الكبير وتكاثرت حلقاته وتعددت علومه ، فلم يقتصـــر على العلوم الإسلامية بل اشتمل على العلوم الرياضية[2].

جامع القيروان :

كانت القيروان مركز الإشعاع الثقافي الديني كما كانت عاصمة سياسية[3] وقال في شأنها عقبة بن نافع لاصحابه : " فأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر"[4] ، لذلك أسس جامع القيروان في سنة (51هـ/671م) [5] فجعله عقبة ثكنة عسكرية ومدرسة ومسجداً لعبادة الله وتعليم أمور الدين الإسلامي حتى أصبح الجامع مركزاً ثقافياً يؤدي رسالة فكرية وثقافية حتى سنة (555هـــ/1160م) [6] ، وبذلك كان مسجد القيروان مهد الحركة الفكرية والثقافية في المغرب العربي الذي خرج منه العلماء والفقهاء الذين يفتخر بهم العالم الإســـلامي على مر العصور[7] .

لقد أدت المســـاجد دوراً كبيراً في تطور الحركة الفكرية والثقافية في المغرب العربي ليس في مدينة القيروان فحســب ، إلاّ ان المســجد الجامع في القيروان الذي

---

[1] الفسطاط : هي حاضرة بلاد مصر سميت بذلك قيل ان عمرو بن العاص حين دخل مصر ضرب فسطاطة بذلك الموقع فلما أراد التوجه إلى الإسكندرية للقاء من بها من الروم أمر بنزع الفسطاط فإذا به طير يمام قد خرج فقال عمرو لقد تحرم هذا منا بحرم . للمزيد ينظر: المؤلف مجهول ، كتاب الاستبصار ، ص81 .

[2] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص186 .

[3] كرو ، ابو القاسم محمد ، عصر القيروان ، ص32 .

[4] ابن عذارى ، البيان ، ج1 ، ص19 .

[5] البلاذري ، فتوح البلدان ، ط1 ، 1657 ، ج1 ، ص313-320 .

[6] الجزنائي ، ابو الحســن علي،(توفي اواخر القرن الثامن الهجري) ، جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تح : عبد الوهاب بن منصـــور، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1991م، ص33 ؛ كرو ، أبو القاسم ، عصر القيروان ، ص32 .

[7] مؤنس ، حسين ، المساجد ، عالم المعرفة ، الكويت ، د. ط ، 1981 ، ص171 .

انشأ سنة (221هـ/836م) ، كان يقدم الدور نفسه الذي اضطلع به مسجد عمرو بن العاص في مصر ، استمر المسجد يؤدي دوراً كبيراً في تفقيه المسلمين مما كان له اكبر الأثر في انتشار الإسلام بين أهل القيروان. فأخذ جامع القيروان يواصل رسالته الثقافية إلى جانب رسالته الدينية ، فكانت تدرس فيه العلوم الدينية من تفسير وحديث[1]، وظهرت الرحلات في طلب العلم فكانت مصدرا مهماً لتطور الحركة الفكرية ، فقد كانت افريقية مفتقرة إلى العلماء في أوائل القرن الثاني ، فعندما حررت منطقة الشمال الأفريقي وبنيت مدينة القيروان قام طلاب العلم في المغرب بألارتحال إلى المشرق كي يتلقوا العلم من مناهله والمعرفة من معينها، وكانوا يعانون الصعاب في سبيل الحصول على العلوم في المشرق[2].

وصار جامع القيروان كعبة العلم بالديار المغربية ، والأندلسية ، وصقلية ، فكان للجامع جناحان للتعليم جناح للرجال ، وجناح للنساء ، وكان المذهب السائد في ذلك الوقت هو المذهب المالكي ، ومن أشهر من درّس فيه هو القاضي سحنون[3]، فأخذ يدرس الرجال وكانت ابنته تدرس بجناح النساء[4].

وانتشر في القيروان رواة ثقات واستوطنوها فأخذ الناس عنهم ما كانوا يحملونه ، وازدهرت بالقيروان علوم الفلك والرياضيات بتشجيع الأمراء الاغالبة وحرصوا على

---

[1] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص186-187 .

[2] الدليمي ، منذر عطا الله شيحان ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في مدينة القيروان حتى نهاية العصر الاموي (50-132هـ) ، رسالة ماجستير ، كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد ،غير منشورة، 2004م ، ص145 .

[3] القاضي سحنون : هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي واسمه عبد السلام إلاّ انه غلب عليه لقب سحنون ولد سنة 160هـ ، وتوفي في رجب من سنة (240هـ) وقيل لما مات سحنون رجفت القيروان لموته ، ولاه الأمير احمد بن الأغلب القضاء ، وهو أول من جعل إماماً يصلى بالناس بالجامع . للمزيد ينظر : المالكي ، ابن فرحون ، (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، تح : محمد الاحمدي أبو النور ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط2 ،ت 2005م ، ج2 ، ص24 ؛ الدباغ ، معالم الإيمان ، ج2 ، ص42 ؛ اليافعي ، أبي محمد عبد الله بن اسعد (ت768هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، تح : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1997 ، ج2، ص98-99 .

[4] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص187 ؛ السائح ، الحسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب ، ط2، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986م ، ص124 .

استقدام العلماء المختصين في تلك العلوم من العراق ومصر ، وبذلك أصبحت مدينة القيروان دار ملك المغرب[1].

وفي عهد المعز بن باديس الصنهاجي (406-453هـ) بلغت الحضارة والثقافة في القيروان مبلغاً عظيماً ونبغ عدد كبير من العلماء والادباء ، وكان البلاط الصنهاجي زاخراً بكثير من نبغائهم كما كان من قبل البلاط الفاطمي في المهدية يعج بالشعراء المادحين[2] .

ظل جامع القيروان مركزاً ثقافياً يشع بالفكر والمعرفة[3]، واستمر ازدهار الحضارة وتقدم العلوم والأدب في المغرب إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[4]، حيث استقطب النشاطات الفكرية وأصبحت القيروان تعج بالأندلسيين ، وظلت الرحلات إلى المشرق مستمرة وكان الطلبة المغاربة يفتخرون بالاستماع إلى علماء الشرق والتلمذة على أيديهم[5].

إلاّ ان هذا الازدهار لم يدم ، فعندما اعلن ابن باديس الصنهاجي انفصاله عن الخلافة الفاطمية سنة (435هـ/1043م) وارتباطهم بالعباسيين ، فلم يستطع المعز ان يثبت أمام زحف القبائل العربية الهلالية التي أرسلها الخليفة المستنصر إلى المغرب حيث اسقطوا القيروان سنة (449هـ/1057م)[6].

فأحدث ذلك فاجعة في النهضة الثقافية وبالأخص الأدب في المغرب[7]، ونتيجة لذلك تفرق علماء القيروان فمنهم من قصد مصر ومنهم من قصد صقلية والأندلس ، ومنهم من قصد أقصى المغرب حيث نزلوا مدينة فاس[8].

جامع الزيتونة :

---

(1) ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص204 .

(2) كرو ، ابو القاسم محمد ، عصر القيروان ، ص21 .

(3) حسن خضيري ، خلافات الفاطميين ، ص188 .

(4) كرو ، أبو القاسم محمد ، عصر القيروان ، ص21 .

(5) حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص189 .

(6) كرو ، أبو القاسم ، عصر القيروان ، ص54 .

(7) كرو ، أبو القاسم ، عصر القيروان ، ص24 .

(8) المراكشي ، المعجب، ص441 .

مما تجدر الاشارة له ان هناك جامعين يدعيان بجامع الزيتونة فكان الاول هو المسجد الكبير الجليل في القيروان ، بني سنة (93هـــ /711 م) بناه إسماعيل بن عبيد الأنصاري الذي عرف بتاجر الله (ت107هـــ/725م) [1] ، ويعد الجامع الثاني الذي أســـهم في بناء القاعدة الثقافية في القيروان بعد جامع عقبة بن نافع (جامع القيروان)، ويسـمى المسـجد الكبير ، كان أهل القيروان يجتمعون للصــلاة فيه عندما كان يرمم جامع عقبة[2]. اما الثاني فهو جامع تونس او جامع الزيتونة فكانت تونس تأتي بالمرتبة الثانية من الاهمية العلمية بعد القيروان ، فان جامع الاعظم او الزيتونة حيث يعود تأسيسه الى عبيد الله بن الحبحاب (116-123هـ) وقيل ان من اقامه هو القائد حسان بن النعمان الغساني[3] الذي وسعه وجدده عبيد الله بن الحباب[4] ، ولان تعثرت خطوات جامع القيروان العلمية بعد تأثرها بالواقع السـياسـي الناتج عن الزحف الهلالي على افريقية فان جامع الزيتونة بات منفرداً بالاضـــطلاع بالدور الثقافي والعلمي فغدا محطاً للانظار[5]، الا ان جامع الزيتونة لم يقدر له ان يتصـــدر المكانة العلمية الكبرى الا متأخراً . فمدينة تونس وجامعها لم يحظيا من اهل المغرب الادنى بنفس الحظوة التي بلغت القيروان وجامعها العتيق فضلاًعن ان تونس لم تتسنم دورها السـياسـي كعاصـمة الا بعد انهيار المغرب الادنى اثر الزحف الهلالي الذي قلص

---

[1] الدباغ ، معالم الإيمان ، ج1 ، ص58 .

[2] عبد الوهاب ، حسـن حسـني ، بسـاط العقيق في حضـارة القيروان وشـاعرها ابن رفيق ، ط2، مطبعة المنار ، تونس ، 1970م ، ص18 .

[3] حســان بن النعمان :هو حســان بن النعمان بن عدي بن بكر بن عامر بن الازد،حكم افريقية سنة(78هـــ/679م) من قبل عبد الملك بن مروان، كان يسمى بالشـيخ الامين،وكان كثير الغزوات ،عزل من ولاية افريقية من قبل عبد العزيز بن مروان ،توفي في حدود ســنة (90هـ/708م) للمزيد ينظر:ابن عبد الحكم،ابي القاسم عبد الرحمن ، (ت257هـ)، فتوح مصر والمغرب ، تح : عبد المنعم عامر ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، د.ت ، ج1، ص69 ؛ ابن عذاري ،البيان ،ج1 ، ص38-39.

[4] ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص16-17 ؛ سعد زغلول ، المغرب الكبير ، ج2 ، ص102 .

[5] المعموري، طـاهر ، جـامع الزيتونـة ومـدارس العلم في العهدين الحفصــــي والتركي،تونس ، 1973م ، ص3 .

الدولة الصــنهاجية وحجمها ، الا ان النشــاط العلمي لجامع الزيتونة لم ينل حقه من الاشارة منذ القرن السابع الهجري[1].

جامع القرويين وجامع الأندلسيين بفاس :

اســتمرت مدينة فاس دار فقه وعلم وإصـــلاح ودين ، وعدت قاعدة المغرب الأقصى الثقافي ، لما كثر العرب الوافدون فيها وشعت منها أنوار الثقافة الإسلامية، فكان بناء جامعي القروين والأندلســيين في مدينة فاس حدثاً ثقافياً وفكرياً متميزاً في المغرب الأقصى .

إذ قامت إحدى القيروانيات وتدعى فاطمة[2] بإقامة أول قلعة علمية تمثلت في جامع القرويين[3]، الذي أصـبح أول واكبر جامعة علمية ذات صـبغة دينية أسـاسـية فصــار بعد ذلك مركزاً للإشــعاع الثقافي، يؤمه العلماء والأدباء ، ويأتي إليه الطلاب من أطراف أوربا[4]، واخذ يدرس فيه علوم التفســير والحديث والتوحيد وأصــول الفقه والعلوم الرياضية[5].

شرع في بنائه سنة (245هــ/859م) ، وكان لخراب القيروان الأثر الكبير في ازدهار جامع القرويين ، فقد رحل كثير من العلماء والفضـلاء من كل طبقة إلى مدينة فاس حتى أطلق عليها بغداد المغرب[6]، وكان اول من افتتح فيه باب المقام للشـعراء

---

(1) حوالة ،يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص217.

(2) فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري المدعوة بأم البنين ، حيث ترك والدها ميراث فرغبت في هي واختها مريم الفهرية بصــــرف ميراثهن في وجوه البر فعلمتا ان الناس احتاجوا إلى جامع كبير في كل عده من فاس ليضيف الجامعين القديمين مثل جامع الاشياخ والشرفاء ، فشرعت فاطمة في بناء جامع عدده القروين واما مريم فشـــرعت في بناء جامع الأندلســـيين . للمزيد ينظر : الجزنائي ؛ جنة زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، ص24 .

(3) التليســي ، بشــير رمضــان ، الاتجاهات الثقافية في المغرب الاســلامي خلال القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ،ط.1،دار المدار الاسلامي ،بيروت ،2003م ، ص219 .

(4) الجزنائي ، جنى زهرة الأس ، ص45 .

(5) حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص197 .

(6) المراكشي ، المعجب ، ص443 .

احمد بن يحيى الخزرجي[1] ، وعندما دخل الموحدون المدينة قدموا الفقيه علي بن عطية للخطبة في ذلك الجامع فخطب به الى ان توفي سنة (558هـ/1162م) [2] .

أما جامع الأندلسـيين الذي بني في العدوة الشـرقية من فاس المعروفة بعدوة الأندلسيين ، فقد ابتدأ البناء فيه سنة (245هـ/859م) ، وقد ساهم في بناء هذا الجامع جماعة من الأندلسيين الساكنين في العدوة ، ونقلت الخطبة إليه بعدما كانت في جامع الاشياخ ، وفي عهد الموحدين زاد عليه الخليفة الموحدي الناصر لدين الله الموحدي[3]، فقد قصده جملة من العلماء واخذوا يدرسون العلم في مواضع من هذا الجامع [4].

وبذلك أصبحت مدينة فاس مركزاً من المراكز العلمية الكبيرة حيث اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة[5] ، ففي عهد المرابطين والموحدين ازدهرت الحركة العلمية للمدينة فاس وازداد الدور الحضاري لها ، فقد أصبحت كعبة العلماء[6] فإليها تشد الركائب وتقصد القوافل[7].

لم يكن جامع عقبة بن نافع بالقيروان وجامع القرويين والأندلسـيين في مدينة فاس فقط المراكز التي اضـطلعت بالدور او النشـاط الثقافي الريادي في افريقية ،

---

[1] احمد بن يحيى الخزرجي :هو احمد بن يحيى بن عبد الله بن عبد المناف الخزرجي الفقيه الأدب والكاتب من أهل فاس (ت792هـ) . للمزيد ينظر : الجزنائي ، جنى زهرة الاس ، ص448 .

[2] الجزنائي ، جنى زهرة الأس ، ص93 .

[3] الناصر لدين الله :أبو عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويع يوم وفاة والده ، لقب الناصر لدين الله ، واجه خلال حكمه بعض الفتن حيث وصل الى اسماعه وهو في مراكش خروج احد الثائرين في افريقية المدعو ابن غانية وذلك سنة (601هـ) ، توفى يوم الثلاثاء من شعبان سنة (610هـ) وكان سبب وفاته هو ان كلب عضّه في رجله فكانت خلافته خمسة عشر سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً وكان له ولدان هما يوسف ويحيى . للمزيد ينظر : الزركشي ، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ،(894هـ)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ط2 ، د. ت ، ص17-19 .

[4] الجزنائي ، جنى زهرة الاس ، ص93 .

[5] المراكشي ، المعجب ، ص443 .

[6] الجزئاني ، جنى زهرة الاس ، ص30 .

[7] البكري ، المسالك والممالك ، ص111-112 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص334 .

وإنما كانت معظم المساجد والجوامع تشاركهم في بث ذلك الاشعاع العلمي ، فمن الخصائص التي تميز بلاد المغرب هي ظهور المساجد الخاصة وكثرتها .

لقد كان الهدف الرئيس في تأسيس تلك المساجد هي العبادة الى جانب ذلك فقد اتخذ المسجد لتدريس العلوم والمعارف الدينية ، فلم تقتصر هذه المساجد على المدن الكبيرة ، وإنما أخذت تنتشر في مدن افريقية جمعاً ، فنجد مدينة طرابلس ازدحمت بالعشرات من المساجد الخاصة ، فضلاً عن الجوامع الكبرى التي عدت مقراً للعلم[1]

والى جانب ذلك نجد ان الفاطميين إبآن فترة حكمهم أنشأوا جامع طرابلس الأعظم الذي بناه احد رجال الدولة الفاطمية ، وهو خليل بن إسحاق[2]، وينسب مسجد آخر إلى المعز لدين الله الفاطمي حيث بناه في طرابلس أثناء مروره بطرابلس خلال رحلته إلى مصر [3]، فضلاًعن ذلك هناك مساجد خاصة تنسب إلى عدد من علماء وفقهاء طرابلس[4].

وكذلك نجد جامع تلمسان الذي بناه موسى بن نصير سنة (89هـ/707م) على الحدود بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى يضاهي جامع القيروان واستمر

(1) عمر ، احمد مختار ، النشاط الثقافي في ليبيا ، منشورات كلية التربية ، طرابلس ، ط1 ، د. ت ، ص105-106 .

(2) خليل بن إسحاق : بن موسى بن شعيب المالكي المعروف بالجندي ضياء الدين ، أبو المودة فقيه مشارك في علوم العربية والحديث والفرائض والأصول والجدل أقام بالقاهرة وجاور مكة توفي في ربيع الأول سنة (767هـ) ، من تصانيفه في فروع الفقه المالكي مناسك الحج، وآداب السلوك . للمزيد ينظر : ابن حجر ، شهاب الدين احمد العسقلاني (ت852هـ) ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ،د.ط، دار الجيل ، ج2 ، ص86 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ) ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، تعليق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت،د.ت، ج1 ، ص262؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلتين تراجم مصنفي الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة،د.ت ، ج1 ، ص680 .

(3) كرو ، ابو القاسم ، عصر القيروان ، ص50-59 .

(4)حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص224-254 .

هذا الجامع ليقوم بدوره كمركز من مراكز الثقافة في المغرب الأوســـط خلال القرون المتعاقبة[1] .

والى جانب جامع تلمســـان شــيد بني حماد الكثير من المســاجد في القلعة ، وكان من أهمها الجامع الأعظم الذي يعد من أهم مباني القلعة ، فقد كان كثير الشبه في تخطيطه بمسجد القيروان[2] ، وانتشرت المساجد في قلعة بني حماد ومدينة بجاية وبرزت ظاهرة التنافس الثقافي وأخذت بجاية تزاحم القاهرة وبغداد وقرطبة ، واجتمع فيها رجال الدين والعلم والأدب ما لم يجتمع مثله أبداً في المغرب الاوســـط[3]، وقد ســاعد على نجاح هذا التنافس بالنســبة للحماديين هو رعايتهم وتشــجيعهم للعلماء والمفكرين[4].

كان أمراء بني حماد يفضـــلون العلماء على ســـائر الطبقات ويقدمونهم في الدولة ويجودون عليهم بالعطاء ، ونجد ذلك في الناصر بن علناس (454-4814هـ) فهو أطول الملوك الحماديين باعاً في هذا المضمار ، فقد كان يؤمه الأدباء ويقصده الشعراء[5]، ولا يفوتنا ذكر الأمير المنصور بن الناصر علناس (481-498هـــ) فقد جدد قصور بجاية وجدد جامعها[6]، فكان المنصور ممن يكتب ويشعر واخذ يشجع الأدباء والشعراء[7].

---

[1] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص193 .

[2] العربي ،اسماعيل ، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر، د. ط ، 1980م ، ص124 .

[3] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص193 .

[4] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص249 .

[5] المرجع نفسه ، ص249-250 .

[6] ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص206-207 .

[7] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص250 .

ويمكن ان نقول ان الذي ساعد في ازدهار الحركة العلمية والادبية في مراكز الثقافة الحمادية هي العلاقات الطيبة بين الخلافة الفاطمية والدولة الحمادية الامر الذي ساعد على انتقال الطلاب والعلماء بين البلدين[1].

لقد استفادت دولة بني حماد مما لحق بالقيروان من خراب عقب نكبتها على يد بني هلال ، فقد رحل جميع العلماء اليها تاركين القيروان ، وهذا الأمر انعكس على النهضة الثقافية سواء في مساجد الدولة ، أو في قصور الأمراء[2]، لقد تركت الحضارة الحمادية آثارها في مجالات شتى ، وكانت القلعة ثم بجاية مرفأ امناً تتلقى الباحثين عن المعرفة وفيها لقي ابن حمديس الصقلي[3] ، كل الترحيب والتكريم ومدح المنصور بن الناصر[4].

أما في عهد المرابطين فقد ظل المسجد هو المكان المخصص للدراسة فلم يكن لديهم مكان خاص لتلقي العلم كما كان في المشرق ، فإن لم يكن المسجد فبيت الأستاذ نفسه[5]، هذا وقد اهتم يوسف بن تاشفين بالفقهاء ، وعظم العلماء ، وصرف الأموال إليهم ، واخذ برأيهم[6] ، وقد بنى يوسف جامعه الكبير بمراكش وجلب إليه علماء الأندلس للتدريس[7]، وفي عهد ولده علي بن يوسف(اخذ يشجع على بناء

---

(1) حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص194 .

(2) جورج مارسية ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق ، ص104 .

(3) ابن حمديس الصقلي : هو ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر بن حمديس الازدي الصقلي ، وهو أبو محمد الصقلي، امتدح ملوك الأندلس بعد سنة (447هـ) واختص بالمعتمد وامتدح بعد ذلك ملك افريقية يحيى بن تميم ، توفي سنة (516هـ) . للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ج3 ، ص212–215 ؛ ابن بسام ، الذخير في محاسن أهل الجزيرة ، ج4، ص320–342 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج18 ، ، ج18 ، ص25 وما بعدها .

(4) عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص285 .

(5) دندبش ،عصمت عبد اللطيف ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510–546ه) ، دار الغرب الإسلامية ، بيروت ، ط1 ، 1988 ، ص370

(6) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص82 .

(7) حسين خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص198 .

المدارس والمســـاجد لنشـــر الوعي والثقافة بين الرعية واقبلوا على بناء المســـاجد يعمرونها ويكثرون فيها[1].

أما في عهد الموحدين فقد اتخذوا مراكش عاصــمة لهم فشــهدت عهداً ثقافياً جديداً ، فكان ملوك الموحدين يعنون قبل كل شــيء بالعلوم والفنون الضــرورية التي يمكن الانتفاع بها في الحياة أكثر من عنايتهم بالعلوم النظرية الخاصة ، فقد ازدهرت الحركة الثقافية في عهد عبد المؤمن بن علي بفضــل تشــجيعه للعلم والعلماء ، وغدا قصره مركزاً ثقافياً يعج بالعلماء[2].

الرباطات :

تأتي الرباطات[3] في المرتبة الثانية من الأهمية في تسلسل المؤسسات العلمية والثقافية في افريقية بعد المساجد ، ومن خلال تلك الرباطات انتشرت علوم ومعارف دينية كان لها الدور الكبير في الحياة العلمية في المغرب آنذاك[4].

---

[1] محمود ، حســن احمد ، قيام دولة المرابطين صــفحة مجيدة من تاريخ المغرب في العصــور الوسطى ، القاهرة ، د. ط، 1957 ، ص451.

[2] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص196 .

[3] الرباطات : مفرده رباط ، فمعناه اللغوي هو ما ربط به وجمع ربط أو المواظبة على الأمر وملازمة ثغر العدو ، هو مكان اجتماع الفرسان تأهباً لرد الحملات التي تشن على الثغور وهو في الأصــل مكان ديني حربي ويحتوي البعض منها على بيوت للسـكن ، ومسـتودعاً للسـلاح والمؤنة ، وبرجاً للارشاد . عرف الفقهاء الرباط انه احتباس النفس في الجهاد والحراسة ، وعرفه المتصـوفة بأنه الموضـع الذي تلتزم فيه للعبادة ، أما عن تكوينها فهي ثكنة تتكون من صـحن وعشرات الغرف الانفرادية حول الصـحن وينتهي بجامع كبير وصـومعة مستديرة للآذان وإقامة العلامات النارية بالليل . للمزيد ينظر : الزبيدي ، محب الدين ابو الفيض الســيد محمد بن مرتضى الواسطي (ت1205هـ) ، تاج العروس في جواهر القاموس ، ط1 ، مطبعة الخيرية ، القاهرة ، ج16 ، ص228 –305.

[4] حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، س207 .

فكان أول رباط انشأ في المغرب هو رباط طرابلس ثم جاء بعده رباط المنستير [1] الذي بناه والي افريقية من قبل الخلافة العباسية هرثمة بن اعين[2] في عام (181هـ/786م) [3]، وقد أدى رباط المنستير دوراً مؤثراً في تاريخ تونس السياسي والعسكري والثقافي ، وعد هذا الرباط من أشهر وأبرز الرباطات في المغرب كله ، فقد قام بواجبه الجهادي منذ تأسيسه وكان يؤمه العلماء والطلبة من كل حدب وصوب[4].

فضلاًعن دور الرباط العسكري والثقافي ، فكان ملجأ يؤمه السكان المسلمون المجاورون في حالة هجوم العدو عليهم[5]، وفوق هذا فقد اتخذ منه معهداً لصناعة الحبر والورق ودار استنساخ للمصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه ، فالمؤلفون يحبسون تصانيفهم التي كتبت بخطوط أيديهم على الاربطة لتكون منه النسخة الأم التي يرجع إلى نصها الصحيح ويتولى المرابطون في تلك الاربطة نسخ الكتب وتوزيعها على طلاب العلم بالمجان[6].

---

[1] المستنير : مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر ، تبعد عن سوسة بنحو 12 ميلاً ، وفيها رباط المستنير ، وهذه المدينة تحيط بها أسوار متينة عالية البناء ودورها مبنية من الداخل بعناية وقربها ملاحة عظيمة شحن فيها السفن بالملح إلى البلاد وبقربها محارس ضخمة متقنة البناء . للمزيد ينظر : البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص209–210 .

[2] هرثمة بن اعين : ولاه هارون الرشيد على افريقية ، فقدم القيروان غرة ربيع الاخر حيث نزل بتهرت فخرج إليه ابن الجارود واقتتل معه فهزم ابن الجارود وطاعت البربر لهرثمة وانصرف راجعاً إلى القيروان وهو الذي بنى القصر الكبير المعروف بالمنستير ثم طلب الاستعفاء بعد سوء طاعة أهل افريقية له ، فكتب إليه الرشيد بالقدوم إليه فرجع إلى المشرق. للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص78 ؛ الموسوعة العربية ، مج 21 ، ص426 .

[3] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج5 ، ص96 ؛ البكري ، المسالك والممالك ، ص36 .

[4] حواله ، يوسف ابن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص246 .

[5] الفردبل ، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، منشورات دار ليبيا ، بنغازي ، ليبيا ، 1969م ، ص99 .

[6] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص203 .

وظهر رباط ســـوســـــة[1] المعروف بقصـــر الرباط ، والذي يلي رباط المستنير في الشهرة والأهمية ، وكان مؤسسه الأمير زيادة الله إبراهيم بن الأغلب[2] مؤسس الدولة الأغلبية ويعد هذا الرباط مفخرة معمارية من مفاخر الدولة الأغلبية[3].

هذا فقد تعددت الرباطات في المغرب الإســلامي كله وأصــبح مجموعها ألف رباط تمتد من سبتة في المغرب الأقصى إلى مشارف الاسكندرية في مصر[4].

---

[1] سوسة : مدينة قديمة على ساحل البحر من القيروان إلى مدينة سوسة ما يقارب 36 ميلاً، احاط بها البحر من ثلاثة نواحي الشمال والجنوب والشرق ، سورها صخر منيع متقن البناء، يضـــرب فيه البحر ، وفيها بنيان عظيم يســـمى الملعب وهو من اغرب البنيان ، لها أســـواق عظيمة ، كان يحكمها قبل الفتح الإســـــلامي النقفور من بطارق الروم حتى جاء عبد الله بن الزبير وطرده هو وجيوشـــه . للمزيد ينظر : البكري ، المســـالك والممالك ، ج2 ، ص207 ، مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص119.

[2] زيادة الله إبراهيم بن الاغلب تولى الحكم سنة (201هـ) بعد أخيه عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب ، كان والده يختار له العلماء لتعليمه العربية ويختار له رواة الشـــعر ، فجاء أفصـــح أهل بيته لساناً وأكثرهم أدباً ، ولم ينصرف عن الدعاء للمأمون بن الرشيد أيام توثب على الخلافة إبراهيم بن المهدي فلما خلصت الخلافة إلى المأمون شكى له ذلك ، وأمر المأمون ان يدعوا إلى عبد الله بن طاهر، فلم يرض بذلك زيادة الله ، وقال يأمرني بالدعاء لعبد خزاعة ؟ هذا ما لا يكون أبداً ، توفي يوم الثلاثاء لأربع عشر ليلة خلت من رجب سنة 223هـــــ وهو ابن 51 سنة . للمزيد ينظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج6 ، ص156؛ لســـان الدين ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج2 ، ص299 .

[3] السائح ، الحسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب ، ص134 .

[4] حواله،يوسف ابن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص246 .

المكتبات :

منها المكتبات العامة والمكتبات الخاصـة ، وهي تعد من أهم الوسـائل الثقافية التي أسهمت في نشر الثقافة والعلوم في الدولة الإسلامية ، وقد لقيت المكتبات على يد المســـلمين من الحظوة والمكانة واهتماما فاق ما كان للشـــعوب الأخرى ، ان المكتبات سـواءأ كانت عامة أوخاصـــة قد اسـتمدت مكانتها من الوعاء الذي شـمل المعرفة والعلم.

فقد اعتنى المســـلمون بالكتب والمكتبات لان الإســـلام جاء بكتاب وثقافة للمسـلمين ، ومحصـلتهم العلمية إنما هي ثقافة كتاب وفي البدء كان القرآن الكريم ، ولم تكن بلاد المغرب اقل اهتماماً بالكتب من غيرها من الأمصـــار والأقاليم ، فقد كانت المكتبات هي المظهر المادي للنهضـــة العلمية الثقافية ليس في بلاد المغرب فحسب ، وإنما في كل العالم الإسلامي[1].

كانت بلاد المغرب تتميز بكثرة علمائها مما جعل غزارة بالتأليف ، وكذلك كان المغرب يقتفي اثر المشـرق في كل اتجاهاته ، فقد كان الاهتمام بالمكتبات وانشـائها من ابرز سمات المشرقيين الذين عاشوا في بلاد المغرب ، فضـلاًعن رغبة الأمراء والخلفاء ، الذين حكموا بلاد المغرب في مجارات أقرانهم في المشرق[2].

فمن المكتبات التي أدت دوراً علمياً تلك التي أنشـــأها الاغالبة في مدينة رقادة[3]، فقد حفلت تلك المكتبة بأمهات المصـنفات والتراجم التي صـنفت في بغداد، في الوقت الذي كانت دولة بني الاغلب امتداداً للدولة العباسـية اشـتهرت مكتبة بيت

---

[1] حواله، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص252 .

[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص252 .

[3] رقادة : وهي من القيروان على أربعة أميال أكثرها بسـاتين ، بنى هذه المدينة إبراهيم بن احمد وانتقل اليها من مدينة القصـر الجديد وبنى بها قصـور عجيبة وذكروا ان ابتداء تأسـيس هذه المدينة سنة (263هـ) ولما انتقل عنها عبد الله إلى المهدية دخلها الوهن ولم تزل تخرب إلى ان ولي معد بن إســماعيل ، ولما بناها إبراهيم اباح بيع النبيذ بها ، ومنعه في المدينة القيروان . للمزيد ينظر : البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص200 .

الحكمة التي أسسها الأمير إبراهيم بن احمد الاغلبي[1] الذي كان يحرص على اقتناء الكتب العلمية من بغداد في مختلف العلوم المترجمة في الطب، والهندســـة والنجوم والتاريخ والأدب ، وكذلك حضر العلماء والأطباء من بغداد ومصر وغيرهما[2].

ولما أســس الفاطميون مدينة المهدية نقلوا إليها بيت الحكمة الذي كان برقادة، ولما انتقل إلى القاهرة حملوا معهم النفائس العلمية لتلك المكتبة ، فمكتبة رقادة تعد النواة الأولى لمكتبة الفاطميين بالقاهرة[3]، وكان الفاطميون شـغوفين بالعلم والمعرفة ، فقد حرص المعز لدين الله الفاطمي على إنشـاء مكتبة عظيمة بمدينة المنصـورية ، وكانت تلك المكتبة ضـخمة تدل ضـخامتها على مقدار ثقافة وغزارة علمه[4]، وقد بلغ من شـغفه بهذه المكتبة ، انه كان يعرف مواضـع ما فيها من الكتب وما تحويه من معلومات ، وذكر النعمان " انه أمر مرة خازنه أن يحضـر له كتاباً فلم يحضـره على الفور ، فقام وبحث عن هذا الكتاب بنفسه ثم قرأه.." وكان يقول : " ما تلذذت بشـيء تلذذي بالعلوم والحكمة "[5].

لقد وصل الاهتمام بالكتب والمكتبات أرقى مستوى بسبب النهضة العلمية التي بلغتها افريقية في عهد الزيريين ، وينسـب إلى الأمير الزيري المعز بن باديس فضـل

---

[1] ابراهيم بن احمد الاغلبي : هو أبو إسـحاق إبراهيم بن احمد بن الاغلب بن إبراهيم بن الأغلب بن تميم الاغلبي القيرواني بن أمراء القيروان ولي سـنة (261هـــ) كان حاكماً حازماً صـارماً مهيباً في عهده تسير التجار من مصـر إلى سبتة يأملن لا احد يتعرض لهم ولا يروعنهم ابتنى حصـوناً ومحارساً توقد بالنار وتتصـل في ليلة إذا حدث أمر من سبتة الى الاسكندرية ، توفي غازياً بصـقلية في ذي العقدة سنة (289هـــ) . للمزيد ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج13 ، ص487 .

[2] التليسي ، بشير رمضان ، الاتجاهات الثقافية في المغرب الاسلامي ، ص81–83 .

[3] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص204 .

[4] حسن ،ابراهيم حسن ؛ المعز لدين الله ، ص256 .

[5] القاضــي النعمان : المجالس والمسـايرات ، ص103 ، عارف ثامر ، المعز لدين الله الفاطمي واضـــع أســـس الوحدة العربية الكبرى ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط1 ، ســـنة 1982 ،ص196 .

تأسيس وإنشاء مكتبة عامرة كانت تضم عشرات الآلاف من الكتب الثمينة[1]، وقد أهدى هذا الأمير إلى أبي بكر عتيق السوسي[2] ، تسعمائة الف مجلد من نفائس أرسلها إليه عقب مجلس علمي استحسن فيه الأمير آراء هذا الأديب[3].

أما فيما يخص المكتبات في قلعة بني حماد فإنه كانت هناك مكتبات عامة التي تتجسد في مكتبة جامع المنار ، والتي هي عبارة عن مكتبة مليئة بالكتب المحمولة إليها من أقطار المغرب وبلاد المشرق والأندلس[4].

أما في عهد المرابطين فقد اهتم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (453-500هـ) اهتماماً بالغاً بالمكتبات الخاصة فاشتهرت مكتبة الأمير علي بن يوسف في مراكش وطالت سمعتها ، ومن المكتبات المشهورة أيضاً مكتبة ابن الصقر في مراكش وهي من إنشاء أبي العباس احمد بن عبد الرحمن الخزرجي الغرناطي ، وكانت هذه المكتبة كبيرة مملوءة بالذخائر ، وقد نهبت عندما دخل عبد المؤمن بن علي الموحدي(524-558هـ) إلى مراكش ، وليس ثمة شك انه هناك العديد من المكتبات الخاصة في المغرب في عهد المرابطين[5].

وانتشرت المكتبات العامة والخاصة في عهد الموحدين وقد ساعد على ذلك تشجيع الخلفاء حركة التأليف وشراء الكتب ، ففي مراكش وجد ما يقارب مائتي متجر

---

[1] حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص256 .

[2] أبي بكر عتيق السوسي : كان جمع العلم والعبادة حيث كان حافظاً للفقه والحديث عارفاً بمعانيه عالماً بالنحو واللغة مع دين متين ودرع حاجز ، صلى على ابي عمران الفاسي ، كان فقيراً لا يملك سكناً له ، ولما علم المعز بذلك أرسل له مالاً ليشتري به داراً ، إلا ان أبو بكر رد الرسول وقال : " يدفعها لاربابها فان لم يعلم أربابها تصدق بها على الفقراء" حتى قيل عندما أرسل له الكتب قد رفضها أبو بكر فقال لرسول المعز " اكتب على كل جزء نفقها حبس على طلبة العلم ". للمزيد ينظر : الدباغ، معالم الأعيان ، ج3 ، ص184 .

[3] حواله، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص256 .

[4] عويس ، عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص323-324 .

[5] الهرفي ، سلامة محمود ، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف ، ص314-315 .

لبيع الكتب ، الى جانب هذه المراكز الثقافية في المغرب هناك الكثير منها في مدن متفرقة في بلاد المغرب[1] .

ثانياً – المراكز الثقافية في مصر :

المؤسسات التعليمية والثقافية في مصر :

المساجد الجامعة :

تعد المساجد من أهم المراكز الثقافية في مصر شأنها شأن البلدان العربية الإسلامية الأخرى ، وأخذت تمثل هذه المساجد في العصر الفاطمي مركزاً مهما لنشر الثقافة ولاسيما تعليم القرآن الكريم ، ونشر وتعليم مبادئ المذهب الاسماعيلي، لذلك اخذ الخلفاء الفاطميون بناء المساجد ورعايتها من جميع الجوانب[2].

إلاّ أن هذا لا يعني ان بلاد مصر كانت خالية من المساجد بل العكس ، فقد كان جامع عمرو بن العاص ، أو ما عرف بجامع مصر أو مسجد أهل الراية أو الجامع العتيق ، شهد هذا المسجد منذ نشأته حياة علمية مزدهرة . وقد حظي هذا المسجد باهتمام الخلفاء الفاطميين عند دخولهم إلى مصر ، فقد أعلن من خلاله مولد الدولة الفاطمية في مصر ، وفيه أقيمت صلاة الجمعة في سنة (358هـ/968م) بعد استيلاء جوهر على الفسطاط .

وفي عهد الخليفة العزيز الفاطمي(365-386هـ) زاد في جامع عمرو بن العاص ، وذلك في سنة (378هـ/988م) ، ثم انزل من القصر الفاطمي إلى هذا الجامع مصاحفَ من أجزاء مختلفة يقدر عددها ألف ومئتين وثمانية وتسعين مصحفاً كتب قسم منها بالذهب وسمح للناس بالقراءة في هذه المصاحف[3].

وقد كان لجامع عمرو بن العاص الدور الكبير في مزج الثقافات ففي سنة (442هـ/1050م) نجد ان الفقهاء اخذوا يعضون الناس وأخذت تتلاقى الآراء وتمتزج

---

[1] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص206 .

[2] عطا الله ، خضر احمد ، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ، دار الفكر العربي ، ط1 ، القاهرة ، د. ت ، ص164 .

[3] المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص250 .

الثقافات وتصبح متشابهة لا فرق بين أندلسي ومصري ومغربي[1]، ومنذ ان أصبحت مصر جزءاً من الدولة الفاطمية ، بل أصبحت قلب الدولة الفاطمية ، ولاسيما منذ ان انتقل إليها الخليفة المعز لدين الله ، وبذلك أصــبحت مصـــر تحتل مكاناً مرموقاً في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بين الدولة الإسلامية ، فقد أصبحت على يد الفاطميين مقراً للعلم والعلماء وطلاب العلم ، وامتدت رقعتها إلى كثير من أقطار العالم الإسلامي في الشرق[2]، لقد حرص المعز لدين الله على إنعاش الدولة الفاطمية ثقافياً سواءاً كانت في بلاد المغرب أو في الديار المصرية ، فلم يكتفِ بما سنه من نظم إدارية ، بل نهض بالناحية العلمية والثقافية المذهبية حتى أصـبحت المنصـورية في بلاد المغرب والقاهرة في مصر كعبة العلماء ، وطلاب العلم والدعاة[3].

جامع الأزهر[4] :

يعد هذا الجامع من أهم المعالم في تاريخ الدولة الفاطمية ، ليس في القاهرة وحدها بل في مصر كلها ، فقد انشأ الأزهر ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية في حاضرتها الجديدة في القاهرة ، ومقراً لدعوتها الدينية ورمزاً لسيادتها الروحية، بني هذا المسجد في الجنوب الشرقي لمدينة القاهرة على مقربة من القصر الكبير الشرقي[5].

---

(1) ابن عذاري ، البيان ، ج1 ، ص404 .

(2) الخربوطلي ،علي حسن ، العزيز بالله الفاطمي ، ص20 .

(3) عطا الله ،خضر احمد ، الحياة الفكرية في مصر ، ص62 .

(4) جامع الازهر : شرع جوهر الصقلي في البدء في بنائه في يوم السبت في جمادي الأول سنة (359هـــ/969م) واكتمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة (362هـــ/971م) وافتتح من قبل المعز لدين الله ، إذ أقيمت صـلاة عيد الفطر فيه وقد سمي هذا الجامع في بادئ الأمر بجامع القاهرة ثم غير اسـمه إلى الجامع الأزهر ، وقد ذهب المؤرخون على أن تسـميته بالأزهر تعود لأسـباب عديدة منها أنه سـمي بهذا الاسـم تيمناً باسـم فاطمة الزهراء البتول (عليها السـلام) ، ومنهم من قال انه سمي بذلك نسبة إلى كوكب الزهرة للتفاؤل وقيل تسميته جاءت من مجموعة قصـور الزاهرة المحيطة به ولانه كان اكبر الجوامع فخامة وروعة . للمزيد ينظر: القلقشـندي ، صـبح الاعشـى في صـناعة الانشـا ، ج3 ، ص464 ؛ المقريزي ، الخطط، ج2 ، ص237 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص251 ؛ هيفاء عاصم ، مدينة القاهرة ، ص307 .

(5) الطيار ، هيفاء عاصم ، مدينة القاهرة ، ص113 .

يعد هذا الجامع أرقى جامع في مصر ، ولم ينشأ في الأصل ليكون جامعة أو معهداً للدراسة وإنما أنشأه الفاطميون ليكون مسجداً رسمياً للدولة الجديدة ورمزاً لدعوتها المذهبية[1]، ورمزاً لظفرهم وانتصارهم على الخلافة العباسية[2].

وكان الخليفة العزيز الفاطمي هو أول من حول الأزهر من مسجد تقام فيه الصلاة الى جامعة تدرس فيها العلوم ، كان العزيز رجلاً عالماً محباً للعلم والعلماء وكان شاعراً ، وقد اعتمد العزيز في تحويل الأزهر من جامع إلى جامعة على وزيره يعقوب بن كلس في نشر المذهب الفاطمي إذ قام يعقوب بن كلس بنشاط كبير في تحويل الجامع الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم النقلية والعقلية ، وكان بنفسه يلقي المحاضرات في بعض ما كتبه في أصول المذهب الشيعي والرسائل الوزيرية ومختصر فقه الشيعة[3].

إلاّ ان المقريزي يذكر لنا ان في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي استخدم الجامع الأزهر كحلقة دراسة حين جلس قاضي القضاة ابو الحسن علي بن النعمان[4]، وأملى مختصر أبيه في فقه آل البيت ، وكان في هذه الحلقة حضوراً عظيماً واخذ يثبت أسماء الحاضرين فيها وكان في ذلك الحضور حصة للنساء فقد ألقي عليهن شيئا من علوم آل البيت[5].

لقد سمح الفاطميون لأصحاب المذاهب الأخرى ، بإلقاء تعاليمهم بجانب ما كان يلقى من تعاليم فاطمية ، وقد كان الهدف من ذلك هو ان تقام مناظرات بين

---

[1] العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص255 –257 ؛ خفاجي ، محمد عبد المنعم ، الأزهر في ألف عام ، عالم الكتب ، بيروت ، ط2 ، 1988 ، ج1 ، ص27 .

[2] عنان ، محمد عبد الله ، تاريخ الجامع الازهر ، ص18 .

[3] العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص286–282.

[4] على بن النعمان : هو اكبر ابناء القاضي النعمان ، وبعد وفاة والده تولى القضاء في الخلافة الفاطمية ، فقد اشترك مع القاضي أبي الطاهر محمد بن احمد فكان يقضي كل منهما في داره ، تولى القضاء في سنة (374هـ) وكان يحضر إلى الجامع الأزهر ويملي مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت ثم تولى بعد ذلك القضاء في عهد الخليفة العزيز فكان أبو الحسن عالماً وفقيهاً للمزيد ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج1 ، ص227 .

[5] المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص321 .

علماء الفاطميين ودعاة المذاهب الأخرى حتى تبين للحضـــور بعض المآخذ على المذاهب الأخرى ويقتنعوا بحجة الدعاة الفاطميين ، وبذلك يجذب عدد كبير من الناس إلى الدعوة الفاطمية[1].

ونجد ان الوزير يعقوب بن كلس كان له الدور الكبير في جعل الجامع مكاناً الدراســـة ، فقد طلب من الخليفة العزيز ان يعنى بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس وان يبنى دار للعلماء وطلاب العلم الذين يدرسـون في الأزهر وان يطلق لكل واحد منهم كفايته من الأرزاق ويخصــص لهم راتب وكذلك ان تخلع عليهم الكســاوي في الأعياد ، وان ينفق على طلاب الأزهر ، وكان هذا اول حدث فريد من نوعه في تاريخ مصر الإسلامية[2].

وكذلك حصــلت توســعات وإضــافات على الجامع في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله[3]، فقد أمر الخليفة الآمر بعمل محراب للجامع من الخشــب وكان مزين بالنقوش الجميلة ، أما في عهد الخليفة الحافظ لدين الله[4]، فقد أضـــاف إلى

---

[1] حسين ، محمد كامل ، أدب مصر الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1963م، ص43 .

[2] القلقشندي ،صبح الاعشى ، ج3 ، ص363–366 ؛ المقريزي، الخطط ، ج2 ، ص363 .

[3] الآمر بأحكام الله : ابو علي المنصـور بن المستعلى بالله أبي القاسم احمد بن المنتصـر بالله أبي تميم معد (495–524هـ) من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر ، ولد في القاهرة وبويع له بعد وفاة أبيه سنة (495هـ) وعمره خمس سنين ولم يكن في من تسلم الخلافة اصغر منه فقام وزير أبيه الأفضـل بن بدر الجمالي بشـؤون الدولة وفي أيامه اسـتفحل أمر الصـليبيين في السـاحل الشـــمالي ، وعندما كبر الآمر بأحكام الله عمد على التخلص من وزيره الأفضـــل ، وولى ابنه البطائحي إلاّ انه قام بقتله والتخلص منه واسـتمر في الخلافة 29 سـنة ، ومات مقتولاً على يد جماعة من الباطنية . للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2 ، ص184 ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج1 ، ص62 . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص164–165 .

[4] الحافظ لدين الله : أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسـم محمد بن المسـتنصـر بالله أبي تميم معد (524–544هــــ) من خلفاء الفاطميين ولد بعسقلان تملك الديار المصرية سنة 524هـــ بعد موت الامر بأحكام الله ، كان كثير الفتك بوزرائه ، وتولى في عهده خمسة وزراء هم احمد بن الفضـل الجمالي ، ثم أبو الفتوح يانس الحافظي ثم فوض الأمر إلى ابن له يدعى سليمان ، فمات لشهرين وبعده أقام ابن اخٍ له هو حسن فرفع به وشاية فقتله بالسم وذلك سنة

صـــحن الجامع الأزهر الإيوان المغربي ، وكذلك أمر ببناء مقصـــورة لطيفة تجاور الباب الغربي التي عرفت بمقصـــورة فاطمة الزهراء[1]، وتعد هذه الإضـــافات التي أضـــافها الخليفة الحافظ احد التأثيرات الإســـلامية التي دخلت إلى مصـــر من بلاد المغرب لأنها كانت موجودة في مســـجد عقبة بن نافع في القيروان ، وفي الجامع الكبير في سوسة وجامع الزيتونة في تونس[2] .

ومما يجدر ذكره ان هناك كثيراً من العلماء الذين درســـوا في الجامع الأزهر مثل علي بن النعمان القيرواني ، وكذلك يعقوب بن كلس وزير العزيز ، وكذلك ابن الهيثم[3] الذي كان عالماً في الرياضيات والطبيعيات والفلسفة .

ومهما يكن من أمر فقد اســـتطاع جامع الأزهر ان يكون جامعة علمية جليلة القدر إلى جانب جامع عمرو بن العاص ، وقد تغير الجامع الأزهر عن غيره من الجوامع حتى أصبح قبلة للطلاب في شتى أنحاء العالم الإسلامي[4].

(529هـ) ثم استوزر أمير أرمينيا يدعى بهرام ثم قتله وبعد ذلك باشر هو بنفسه امور الدولة فلم يولي الوزارة احد الى ان مات بمصر توفي سنة (544هـــ) كان مدة حكمه 19 سنة. للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص309 ؛ ابن العماد ، شهاب الدين ابن الفلاح (ت1089هـــ) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تح: عبد القادر الارنؤط ، ط1 ، دار كثير ، بيروت ، 1989م ، ج4 ، ص138 ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج1 ، ص64 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج2 ، ص229-230 .

[1] الطيار ، هيفاء عاصم ، مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية ، ص312-314.

[2] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص64 .

[3] ابن الهيثم هو أبو علي بن الحسن بن الهيثم أصله من البصرة انتقل إلى الديار المصرية وأقام بها إلى آخر عمره ، كان فاضـــل النفس قوي الذكاء متفنناً في العلوم لم يماثله احد من اهل زمانه في العلم الرياضـــي ، كان وافر التزهد ومحباً للخير ، وقد لخص كثيراً من كتب ارسطو طاليس وشرحها وكذلك لخص كتب جالينوس في الطب ، كان حسن الخط جيد المعرفة بالعربية ، قام بالقاهرة في الجامع الأزهر إلى ان مات في حدود (430هـ) . للمزيد ينظر : ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد الخزرجي (ت668هـ) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تح: محمد باســـل عيون الســـود ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1998م ، ص550-560.

[4] المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص195-196 .

لقد شـهد العصـر الفاطمي حركة واسـعة في بناء المسـاجد التي غدت بمثابة مراكز للثقافة والعلوم ، فكان مسجد الخليفة العزيز بالله في سـنة (380هـــ/990م) الذي اشرف على بنائه وزيره يعقوب بن كلس سمي في البدء بجامع الخطبة ثم أطلق عليه جامع الحاكم بأمر الله وذلك بعد وفاة الخليفة العزيز بالله قام الخليفة الحاكم بإتمامه ، حيث اكتمل بناؤه سنة (394هــــ) ، وكتب اسمه عليه وأطلق عليه أيضـاً جامع الانور ، وكان هذا الجامع من المراكز الثقافية منذ نشـــأته ، فقد التحق به الفقهاء الذين كانوا يلتحقون في الجامع الأزهر[1].

كما أسس الحاكم بأمر الله مسجداً آخر عرف بمسجد راشدة[2]، وذلك في سنة (394هــ/1030م) ، ويقع هذا الجامع بين الفسطاط ودير الطين ، وقد اكتمل العمل فيه سنة (395ه/1004م) ، وعد من المراكز العلمية[3].

ظلت المســاجد طوال العصــــر الفاطمي مراكز للثقافة وقبلة للعلماء وطلاب العلم ، لاسيما المغاربة الذين أصبحت تعج بهم حلقات العلم في مساجد مصر طلاباً وأساتذة ، مما عمق أواصر العلاقات الثقافية بين البلدين ، هذا فضلاًعن الإسكندرية التي تميزت هي الأخرى بعدد من المساجد ، فقد وفد اليها كثير من الطلاب والعلماء

---

(1) القلقشـــندي ، مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تح : عبد الســـتار احمد تراج ، عالم الكتب ، بيروت ، ج1 ، ص322 ؛ ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج4 ، ص177 ؛ الطيار ، هيفاء عاصم ، مدينة القاهرة ، ص314 .

(2) مسجد راشدة : بني هذا المسجد بأمر من الخليفة الحاكم بأمر الله وابتدأ العمل به في 17ربيع الآخر من سنة (393هـ) وكان مكانه في الأصل كنيسة وحوله مقابر لليهود والنصارى ، فأمر الخليفة بهدمها وبناء الجامع واكتمل بناؤه في سنة (395هــــ) ، يقع هذا الجامع بين الفسطاط ودير الطين . للمزيد ينظر : ابن دقماق ، الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر ، بيروت ، ج1 ، ص79 ؛ ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج2 ، ص166 ؛الطيار ، هيفاء عاصم ، مدينة القاهرة ، ص320 .

(3) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج4 ، ص177.

المغاربة فقد حوت مساجد الإسكندرية كثيراً من أضرحة علماء المغرب الذين توافدوا عليها في العصر الفاطمي وذلك لقربها من المغرب[1] .

ب- قصور الخلفاء والوزراء :

لقد كانت قصـــور الخلفاء الفاطميين ووزرائهم مراكز للحياة الثقافية في مصر[2]، فهم كانوا ذا ميل شديد إلى العلم والعلماء ، ومن هنا كانت قصور الخلفاء وكبار رجالات الدراســـة[3] ، منتدى للعلماء يتجادلون فيها ويعقدون المجالس للمناظرات ، وكان الخلفاء ووزرائهم يحضـــرون إلى مجالس المناظرات ، وفي بعض الأحيان يشارك بعضهم فيها ، لقد كانت هذه المناظرات والندوات الحافز على البحث العلمي وعاملاً في التقدم والازدهار الذي حدث في أيام المعز لدين الله الفاطمي وما جاء بعده من الخلفاء الفاطميين في مصر[4].

كان الخليفة المعز على درجة عالية من الثقافة والعلم حيث كان يتقن لغات عدة منها البربرية والرومية والصقلية والسودانية[5] ، فقد كان المعز وابنه العزيز بالله حريصين على إعداد المناظرات في قصر الخلافة ، وكانت هذه المجالس يحضرها أهل الفقه والأدب والشـــعر والطب ، وتلقى فيها محاضـــرات في أصـــول المذهب الاسماعيلي[6]، ومما ساعد على ازدهار هذه المجالس هو شغف المصريين بالعلم وتنافس العلماء الذين يريدون الحصول على الحظوة لدى الخلفاء، أو لمن يريد شغل منصب أو العمل مربياً أو معلماً لأبناء الخلفاء ، هذا فضلاًعن إقبال الأدباء والشعراء على هذه المناظرات طمعاً في الهبات والعطايا التي يقدمها الخليفة إليهم[7].

---

[1] الشـــيال ، جمال الدين ، تاريخ مدينة الاســـكندرية في العصـــر الإســـلامي، القاهرة، ص420-530.

[2] عطا الله ، خضر احمد ، الحياة الفكرية في مصر ، ص122 .

[3] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص174 .

[4] عطا الله ، خضر احمد ، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ، ص122 .

[5] المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص354 .

[6] أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج2 ، ص214.

[7] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج3 ، ص493 .

ولاشك ان تلك الاهتمامات بالثقافة جاءت من اهتمام الخلفاء الفاطميين الأوائل الذين حكموا بلاد المغرب وقبل انتقالهم النهائي إلى مصـر ، وكان من ابرز من عقد هذه المجالس في بلاد المغرب هو أبو عبد الله الشـــيعي[1] ، وبوفاته توقفت هذه المجالس ولم تعقد حتى انتقل الخليفة المهدي إلى مدينة المهدية [2].

وفي أعقاب فتح الفاطميين لمصر لم تطرأ اختلافات على طريقة عقد المجالس التي اشتهر القاضي النعمان بعقدها ، وكانت تعقد أول الأمر يومين في الأسبوع هو الخميس والجمعة وسمي المكان الذي تعقد فيه هذه المجالس في القصر بـ (المحول) [3] ، وأخذت هذه المجالس طابعاً خاصاً في مصر[4]، فكان هدفها الأول هو تحويل كبار موظفي الدولة إلى المذهب الاســـماعيلي[5]، هذا وكان يطلق عليها مجالس الحكمة أو مجالس الدعوة[6].

---

[1] ابو عبد الله الشـــيعي : هو ابو عبد الله الحســين بن احمد محمد بن زكريا ، اشــتهر بالذكاء والتدبير وعرف بألقاب كثيرة منها الشيعي والصنعاني والمحتسب والمشرقي والصوفي والمعلم ، وهو من اكبر دعاة الفاطميين في المغرب العربي وعلى أكتافه قامت الدولة الفاطمية ، اختلف المؤرخون في نســـبه فمنهم من رده إلى العراق ومنهم من قال انه من صـــنعاء اليمن ، توفي مقتولاً على يد عبيد الله المهدي وذلك في سنة (297هـــ) . للمزيد ينظر : القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، مؤسسة الاعلى للمطبوعات ، بيروت ، 2005م، ص59–61 ؛ مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تح : نبيلة عبد المنعم داود، ج4، ص217–218؛ العبادي، احمد مختار، التاريخ العباسي والفاطمي ، ص224.

[2] الخشني ، محمد بن الحارث بن اسد (ت361هــ) ، طبقات علماء افريقية ، تح: محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د. ط ، د. ت ، ص199–363 .

[3] المحول : وهو قاعدة موجودة في القصر الفاطمي وخصصت لعقد المجالس ونشر الدعوة ، فكان المحول في العصر الفاطمي أشبه بقاعات المحاضرات وكان يؤمه الخاصة وشيوخ الدولة وخدم القصـــر والوافدون إلى مصـــر وعامة الناس . للمزيد ينظر : المقريزي ، الخطط، ج2، ص225 ،كياش.غنية ياسر ،المكونات الثقافية للخلافة الفاطمية ،اطروحة دكتوراه، ص103.

[4] المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص626.

[5] ماجد ،عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية ، ص330 .

[6] المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص229 .

لم يقتصـــر الأمر في تشـــجيع العلماء على مجالس الخلفاء ، بل تعدتها إلى رجال الدولة وعلى رأسـهم الوزراء حيث كان لهم دور كبير في ازدهار الثقافة والعلم ، حيث كانت تعقد في دار الوزراء المجالس العلمية ومن أشـــهر الوزراء الذين نهجوا نهج الخلفاء هو الوزير يعقوب بن كلس(ت380هـــ/990م) ، فقد خصص في داره مكاناً لنســـخ القرآن الكريم والكتب الأدبية والعلمية[1]، وكذلك نذكر من الوزراء الذين كانوا على درجة عالية من الثقافة والشـــغف بالأدب هو الوزير أبو محمد الحســـن اليازروي (ت450هـــ/1058م) ، كان وزير الخليفة المستنصر[2]، أحب العلم كثيراً واخذ يجمع في مجالســـه جهابذة العلماء والأدباء ويســـتشـــيرهم في شـــؤون الدولة، ويناظرهم ، فضلاً عن شغفه بفن الرسم[3].

المكتبات أو خزانة العلم في مصر :

ان صفحات التاريخ تدل على مدى اهتمام الفاطميين بالمكتبات فقد كانت تلك المكتبات هي نتاج الحركة العلمية والثقافية التي أقامها الخلفاء الفاطميين في مصر ، فقد ابهرت تلك المكتبات المؤرخين بكثرة ما تحويه من نوادر الكتب ونفائسها[4].

لقد أدت هذه المكتبات دوراً جليلاً لطلاب العلم الذين اتجهوا صوب مصر[5]، فقد عنى الفاطميون بجمع اكبر عدد من الكتب واقتناء أندر المؤلفات ، والحصـــول على العديد من النســـخ للكتاب الواحد[6]، فأصـــبحت المكتبات بالقاهرة تتوهج بهجة وضياءً في ميادين العلم فتمحي آثار الجهل من عقول الناس[7].

كان الخليفة المعز من أكثر الخلفاء الفاطميين اهتماماً بالعلم واقتناء للكتب ، وعندما رحل إلى مصـــر تاركاً بلاد المغرب نقل مكتبته التي أقامها في المنصـــورية

[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج7 ، ص29 ؛ ابن الصيرفي ، الإشارة ، ص47-52.

[2] المنياوي ، محمد حمدي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص113-114 .

[3] المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص243-244 .

[4] ابو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـــ) ، الروضتين في أخبار الدولتين ، تح : محمد حلمي احمد ، د. ط ، القاهرة ، 1862م ، ص50 .

[5] حسن ، زكي محمد ، كنوز الفاطميين ، ص28-31 .

[6] المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص408 .

[7] الاعظمي ، محمد حسن ، أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي ، ص211 .

معه مثلما نقل قبور آبائه ومن هنا نســـتدل على مدى اهتمام المعز الفاطمي بالعلم والكتب العلمية ، وفضلاًعن إلى ذلك ذكر صاحب كتاب المجالس والمسايرات[1] ان المعز هو أول من اخترع قلم الحبر ، ففي قول المعز : " نريد ان نعمل قلماً يكتب به بلا اســتمداد من دواة ، ويكون مداده داخله ، فمتى شــاء الإنســان كتب به فأمده ، ومتى شــاء تركه ، فيكون آلة عجيبة لم نعلم انا سـبقنا إليها ودليلاً على حكمة بالغة لمن تأملها..." .

وكان الخليفة المعز يمضــــي كل وقته بين خزانة الكتب ، وكانت مكاتب الفاطميين تحتوي على كتب نادرة يقدر عددها بثمانية عشــــر ألف كتاب[2]. لقد انتشــرت هذه المكتبات في المســاجد وقصــور الخلفاء وبيوت الوزراء[3]، ويذكر ابن تغري بردى ان الخليفة العزيز عني بإنشــاء مكتبة في القصــر كان بها ما يزيد على مائة ألف مجلد ، وكان أمين المكتبة هو علي بن محمد الشــابشــتي ، وكانت مكتبة القصر تقع في أجمل ناحية من القصر[4].

والى جانب مكتبة القصـور كانت هناك مكتبات ضـخمة يحتفظون بها الوزراء امثال الوزير يعقوب بن كلس ، فضـــلاً عن مكتبات الجوامع فقد حمل الخليفة المعز

---

[1] القاضي النعمان ، ص319-320 .

[2] عطا الله ، الحياة الفكرية في مصر ، ص163 .

[3] حسن،زكي محمد ، كنوز الفاطميين ، القاهرة ، 1948م ، ص28-29 .

[4] ابن سعيد ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ص58 .

كثيراً من الكتب الخاصة بالقصور ونقلها إلى مسجد القاهرة والى جامع ابن طولون[1] والى جامع عمرو بن العاص وبذلك أصبحت الجوامع زاخرة بالكتب[2].

دار العلم او دار الحكمة :

من بين المراكز الثقافية التي ذاع صيتها في العصر الفاطمي خلال حكم الخليفة الحاكم بأمر الله الدار المعروفة بدار العلم وسميت أيضاً بـ (دار الحكمة) التي تم انشاؤها في عام (395هـ/1005م) [3] ، كانت جزءاً من قصوره وقد عنى بنقوشها وزخرفتها ، فحمل إليها خزائن كتب القصر مجموعات عظيمة من الكتب في مختلف العلوم والآداب[4].

انفق الحاكم على هذه الدار أموالاً ضخمة حتى قيل انه في كل عام يصرف (257) ديناراً ، وعين بها أميناً للكتب وفراشين ، ووفر ما يحتاج إليه طالب العلم من الحبر والأوراق والأقلام ، وأباح الحضور إلى دار العلم لجميع الراغبين على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم[5].

---

[1] جامع ابن طولون : بني ابن طولون مسجده سنة 263هـ/876م) ، وهو اكبر المساجد الاسلامية الذي شيد في مصر بعد جامع عمرو بن العاص ، شيد في الطرف الجنوبي لمدينة القطائع التي كانت في الشمال الشرقي من مدينة العسكر لتكون عاصمة له ، فشيد مسجده فوق الربوة الصخرية المعروفة بجبل ينكر ، وهي بقعة مباركة اذ نادى موسى (υ) ربه عليها ، حيث بدأ العمل في سنة 263 هـ وانتهى منه في شهر رمضان سنة 265هـ وهو اكبر مسجد في مصر الاسلامية حيث بلغت مساحته ما يقرب من ستة افدنة ونصف صمم على شكل مربع . للمزيد ينظر : ابن دقماق ، الانتصار بواسطة عقد الامصار ، ج5 ، ص319؛ فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر ، ص267 .

[2] إبراهيم جلال ، المعز لدين الله الفاطمي ، ص96 .

[3] المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص56 ؛ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص458-459 .

[4] ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص60 .

[5] يحيى بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ص188 ؛ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص429 .

لقد كانت مكتبة دار الحكمة مكتبة عامة والى جانب ذلك كانت جامعة علمية للتعليم وكثيراً ما كانت تقام بها المناظرات بين علمائها[1]، فعين الحاكم بأمر الله للإشـــراف على دار العلم قاضـــي القضـــاة وداعي الدعاة عبد العزيز بن محمد بن النعمان ، وبذلك أصـــبحت الدار مركزاً للدعوة الإســـماعيلية ، يجتمع فيها فقهاء المذهب الاســـماعيلي ، فضـــلاً عن الطلاب الذين يقبلون على دراســـة الفقه الاسماعيلي[2].

ومن أشـــهر العلماء الذين القوا بعلومهم في دار العلم هو العالم النحوي أبو الفضـــل جعفر ، جاء إلى مصـــر فأعجب به الخليفة الحاكم وخلع عليه ولقب بعالم العلماء وجعله يجلس في دار العلم يدرس النحو[3]، كما ازدهرت في هذه الدار علوم الفلسـفة والرياضـيات والطب وعلوم الدين والأدب[4] ، فكان الطلاب يتلقون فيها إلى جانب علوم آل البيت وفقه الشـــيعة العلوم العقلية والنقلية ، وهكذا اختلفت مناهج التعليم في هذه الدار عن مناهج التعليم في المساجد الأخرى ، إذ يغلب عليها الطابع الأكاديمي ذو الصـــبغة العلمية بينما نجد مناهج المســـاجد تغلب عليها الصـــبغة الدينية[5].

إلاّ ان هذه الدار لم يقدر لها ان تستمر في مسيرتها العلمية طويلاً فقد تطرق الضـعف إليها وسرعان ما اضـطربت شؤونها ، حيث وقف العمل فيها واغلقت سـنة (515هـــ/1116م) من قبل الوزير الأفضـل بن بدر الجمالي ، وذلك بسـبب ظهور الدعوة الإلحادية التي انتشرت بين الطلاب الوافدين إلى مصر ، حيث ادعى البعض منهم الإلوهية ، فاضطر الوزير الى غلق هذه الدار[6].

---

[1] حسن ،محمد كامل ، في أدب مصر الفاطمي ، ص31 .

[2] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج3 ، ص362-483 .

[3] الكندي ، كتاب الولاة والقضاة ، ص610 .

[4] المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص459 .

[5] عطا الله ، الحياة الفكرية ، ص171 .

[6] المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص459 ؛ ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص95 .

وعند مجيء الخليفة الآمر بأحكام الله أعاد فتح الدار ، وقيل انه بنى داراً جديدة للعلوم بجوار القصر الكبير الشرقي ، وذلك في عام (517هـ/1123م) وجعل وزيره المأمون البطائحي[1] على رأسها وشرط ان يتولاها رجل دين أو داعٍ، ففتحها الوزير ابن البطائحي ، ولكن لم يقدر لهذه الدار ان تعمر حيث زالت بزوال الدولة الفاطمية[2].

المدارس في مصر :

انتقلت مجالس العلم وحلقات الأدب والاجتماعات العلمية من قصور الخلفاء والمساجد ودور الوزراء إلى المدارس ، فلم تعرف مصر بناء المدارس إلاّ في أواخر عصر الخلافة الفاطمية ، ففي عام (532هـ/1137م) انشأ وزير الخليفة الحافظ لدين الله مدرسة بالإسكندرية ، فقد أصبحت في ذلك الوقت مركزاً علمياً وثقافياً ، وكثر عليها الوافدون من المغرب من الطلاب والعلماء ، وزخرت كتب التراجم باسماء العلماء المتصدرين للتدريس فيها[3] .

كان السبب الرئيس في قيام هذه المدارس هو ان ازدياد إقبال الطلاب والعلماء إلى مصر ، مما احدث الضوضاء والضجة في المسجد فأصبح من الصعب

---

[1] هو أبو عبد الله المأمون بن البطائحي ، وزير الديار المصرية ، نشأ المأمون فقيراً صعلوكاً حيث كان أبوه صاحب خير بالعراق للمصرين عمل حمالاً في السوق بمصر ، استخدمه الأفضل أمير جيوش الفاطميين فراشاً مع جماعة من العمال ، فتقدم وتميز حتى رقي إلى الملك ، فقد ساعد الخليفة الفاطمي الآمر بالله على الاقتتال بأمير الجيوش الأفضل ، وولي منصبه وكان شهماً مقداماً سفاكاً للدماء ، إلا انه تفق مع أخو الخليفة الآمر على قتل الأمر ، فعرف بذلك الأمر لأحكام دين الله فقبض عليه وصلبه في سنة (529هـ) ويعد اول من عمل على احصاء سكان البلاد وتدوينها في قوائم خاصة ووضع ادوات السفر للداخل الى البلاد والخارج منها. للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص598 ؛ ابن الصيرفي ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص64 ؛ الداوررداري ، أبي بكر عبد الله،(ت736هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر في اختيار الدولة الفاطمية ،تح: صلاح الدين منجد، القاهرة ، 1961م، ج6 ، ص448 ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج9 ، ص553.

[2] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج3 ، ص362 ؛ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص460 .

[3] القفطي ، أنباء الرواة ، ج2 ، ص191–192 .

استعمال المسجد للتدريس والصلاة ، فترك الأزهر للتدريس ولم تكن تقام به إلاّ صلاة الجمعة ، إلاّ ان المعارف ازدادت وأزدادت أسباب الجدل في التدريس، ولم يكن يتفق مع مهابة المســـاجد[1]، فدعا ذلك بناء مدارس ألحقت في بادئ الأمر بالمســـاجد ثم انفصـلت واسـتقلت لتصـبح مدارس نظامية تدرس بها علوم الدين واللغة والتاريخ إلى جانب العلوم العقلية مثل الطب والرياضـيات والفلك ، وبذلك استمرت المساجد تؤدي رسالتها الدينية[2] .

لم تقتصر وجود المراكز الثقافية والمؤسسات العلمية على القاهرة فحسب ، بل كانت هناك العديد من المدن المصرية مثل الفسطاط والإسكندرية واسوان[3] ، وأخذت مراكز العلم والثقافة تنتشـر في كل مكان من مصـر فهناك الزوايا والأسـواق وحوانيت الوراقين كلها كانت مؤهلة للتدريس[4].

ثالثاً – الصلات الثقافية :

ان دراســة مكونات الثقافة الإســلامية لبلاد المغرب وبلاد مصــر خلال الحكم الفاطمي جزء لا يتجزأ من الحركة الفكرية والثقافية السائدة في العالم الإسلامي ، وان العلاقات القائمة والتأثيرات المتبادلة بين دول المغرب بمؤســســاتها ومراكزها الثقافية في تلك الفترة مع الدولة الفاطمية في مصــر لها اثر وبصــمة واضــحة على الحركة الثقافية في عموم العالم الإسلامي .

فقد عد العصـر الفاطمي في مصـر من ازهى عصـور مصـر الإسـلامية من الناحية العلمية ففي تلك الفترة بلغت الحياة الفكرية والثقافية في مصـر درجة كبيرة من

---

[1] حسين ،محمد كامل ، في ادب مصر الفاطمية ، ص11 .

[2] الحسيني ،عبد العزيز محمد ، الحياة العلمية في الدولة العربية الإسلامية ، ص5 .

[3] اسوان : وهي مدينة في آخر الصعيد واول بلاد النوبة على النيل الشرقية ، فيها مختلف أنواع التمور، وذكر بعض العلماء انه اكتشف ارطاب اسوان فما وجد شيئاً بالعراق إلاّ وبأسوان مثله وبأســوان ما ليس في العراق ، حيث كان يســكنها خلق من العرب من قحطان ونزار بن ربيعة ومضــــر وخلق كثير من قريش وأكثرهم من الحجاز . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1 ، ص191–192؛ المقريزي، الخطط ، ج1، ص365–368 .

[4] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص183.

النمو والازدهار [1] ، لذلك ازدادت الصلاة الثقافية بين بلاد المغرب ومصر فنشطت الرحلات المغربية الى مصر التي وصلت الى ذروتها الفكرية والعلمية آنذاك[2] ، فكان سبب الازدهار في مصر هو تشجيع الخلفاء لرجالها على نشر المذهب الاسماعيلي عن طريق الحلقات العلمية[3] ، فكان للوفود القادمين من الشرق من علماء الشيعة الى مصر أثرهم الواضح في تقدم الحياة العلمية في البلاد كذلك لا ننسى رحلات الحج من المغرب حيث حرص الفاطميون على تأمين طريق الحجيج وتشجيعه ، فقد كان كثير من العلماء واللغويين والادباء قد استقروا في الشمال او الصعيد المصري في اثناء عودتهم من الحج[4]

فكان أهل المغرب يشدون الرحال إلى الشرق طلباً للعلم ولإعجابهم بعلمائهم وللحصول على إجازة ترفع من شأنهم في مجتمع أنظاره مشدودة إلى الشرق مهد الإسلام ، فشهدت العلاقات الثقافية بين البلدين خلال تلك الفترة التي حكمت الخلافة الفاطمية بها المغرب ومصر ابهى صورة ، حيث جعلت التفاعل مستمراً وأخذ العلماء وطلاب العلم ينتقلون بين المغرب ومصر وبعضهم يعلم والآخر يتعلم وامتلأت حلقات الدراسة في البلدين بالعديد من العلماء والطلاب ، فكان لمصر دور بارز في هذه الفترة ، فقد خرج منها الكثير من العلماء الذين استمروا يؤدون رسالتهم جيلاً بعد جيل ، وقد ساهموا في نشر العلم ، وتنشيط الحركة العلمية في بلاد المغرب[5].

فعند إعطاء صورة واضحة للصلات الثقافية بين البلدين ، لابد من الرجوع إلى كتب الطبقات ، فهي المصادر الوحيدة التي تؤرخ النهضة الثقافية وتتناول حياة العلماء ، وتكشف عن آثارهم العلمية وتبين لنا الصلات الثقافية بين البلدين عن

---

[1] عطا الله ، خضر احمد ، الحياة الفكرية في مصر ، ص208

[2] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص207 .

[3] حسين ، محمد كامل ، في ادب مصر الفاطمية ، ص149 .

[4] سلام ، محمد زغلول ، الادب في مصر الفاطمية الكتابة والكتاب ، ج2 ، ص111-112.

[5] عطا الله ،خضر احمد ، الحياة الفكرية في مصر ، ص209 .

طريق العلماء المغاربة الذين تركوا بلادهم ووفدوا إلى مصـــــر ، ومنهم من عاد إلى بلاده ومنهم من استقر في مصر ووافاه الأجل فيها وبالعكس [1].

كانت رحلات طلاب العلم والمعرفة مصــــدراً مهماً لتطور الحركة الثقافية في بلاد الإســـلام ، فعندما برزت مدينة القيروان وتم تحرير منطقة شـــمال افريقية ، قام طلاب العلم المغاربة الذين كانوا يفتقرون إلى العلم والعلماء في أوائل القرن الثاني إلى الارتحال إلى المشــــرق كي يتلقوا العلم إلى جانب أداء فريضــــة الحج التي بها يتمكنون من الحصول على فرصة الاستماع إلى الشيوخ والعلماء[2].

إلاّ انه ســرعان ما أصــبحت القيروان دار العلم بالمغرب إليها ينســب أشــهر العلماء فأخذ العلماء وطلاب العلم يأتونها من كل حدب وصوب[3]

العلوم الدينية والادبية والانسانية والعقلية في بلاد المغرب ومصر (362–567هـ):

أولاً– الدراسات الدينية (العلوم الشرعية) :

تعد الدراســـات الدينية من المظاهر الرئيســـة للحياة العلمية في افريقية ، لقد نالت الدراسـات الشـرعية المكانة الأولى في تاريخ الثقافية الإسـلامية بفضـل العوامل الدينية والتاريخية والموضــوعية التي سـجلها المؤرخون والباحثون من خلال متابعتهم الحركة العلمية والثقافية ، وتنقسم الدراسات الدينية الى ما يأتي :

---

[1] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص290 .

[2] الدليمي، منذرعطا الله ،الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في مدينة القيروان، ص100.

[3] المراكشي ، المعجب في تلخيص المغرب ، ص356 .

أ- القراءات[1] وعلوم القرآن :

لقد شـــهدت بلاد المغرب توســـعاً كبيراً في علوم القرآن في الكم والنوع ، ففي الكم ظهر خلال هذا العصر العشرات في علم القراءات سواء الذين اختصوا بالقراءات أوفي غيرها من علوم القرآن ، أما من حيث النوع فقد ظهرت خلال هذا العصـــــر مصـنفات في علوم القرآن ضـخمة كان لها تأثير كبير في افريقية ، ويمكننا القول ان ما عرفته بلاد المغرب وافريقية خاصـــة يفوق كل ما عرفته في العصـــور الســـابقة ، ويعود هذا إلى الاهتمام بعلوم القرآن بسبب الركود الذي أصـاب الدراسـات الفقهية في هذا العصـــــر . أما الســـــبب الثاني فهو ان ازدياد فرص الاحتكاك بعلماء القراءات وغيرها في مصر بالدرجة الأولى ، ثم الأندلس ومن بعدها فقد تأثرت مدرسة القراءات القيروانية بمدرســـة مصـــر تأثراً كبيراً ، وهو ما أكدته رحلات جل علماء القيروان إلى مصر للنهل من شيوخ علوم القرآن المشهورين أمثال أبي الطيب عبد المنعم[2].

ان العلوم العربية الدينية نشـــأت بســـبب القرآن الكريم وما يدور حول دراســـة القرآن من ضـــبط حروفه وتفســـير غريبه وتفهم معانيه ، لذا تعد هذه العلوم موضـــع اهتمام المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية ومنها مصر وبلاد المغرب[3].

---

[1] علم القراءات : هو علم يبحث في صـــــور نظم كلام الله تعالى من حيث وجود الاختلافات المتواترة ، وهو يعتمد على العلوم العربية التي تسـاعد على تحصـل هذه الملكة وفائدة ذلك هو صـــون كلام الله تعالى من التغيير والتحريف ، وقد يبحث ايضـــاً في الاختلافات غير المتواترة مما وصـــل حد الشـــهرة . للمزيد ينظر : عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصـــــر ، ص231؛ طاش كبيرة زادة ، مفتاح السعادة مصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية ، د. ط ، 1409هـ، ص105 .

[2] ابو الطيب : هو عبد المنعم بن عبيد بن غلبون بن المبارك لقب بـــــــ (أبو الطيب) الحلبي المقرئ المحقق مؤلف كتاب الإرشاد في القراءات ، عُدَّ من المصريين لكونه سكنها مدة طويلة كان ذا عفاف ونسك وفضل وحسن ، ولد سنة (359هـ) . للمزيد ينظر : ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد (ت833هـ) ، غاية النهاية في طبقات القراء ، تح: بر جتراستر ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج1 ، ص470.

[3] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص208 .

لقد شـهدت بلاد المغرب في عهد الزيرين اهتماما واضـحا في علوم القراءات من قبل العشـرات من العلماء المغاربة[1]، فكان هناك أسـماء لامعة تميزت في هذا العصـر وفي كل الفترات المتوالية على المغرب ، ومن أشـهرهم أبو محمد مكي بن أبي طـالـب بن حموش بن محمد بن مختـار القيسـي القيرواني المقرئ (355-377هـ/965-1045م) [2]، كان واحداً من ابرز أقطاب العلوم الشرعية في افريقية[3]، أصـله من القيروان وقضـى فيها طفولته وشـبابه ، ثم غادر القيروان وعمره 13 عاماً متجهاً إلى مصـر سـمع بمصـر من أبي الطيب بن غلبون، وقرأ عليه القرآن ثم عاد إلى القيروان يكمـل فيهـا علومـه ، ثم عـاد ورحـل إلى مصـر وذلـك في عـام (377هـ/987م) ومن مصر اتجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، ثم رجع إلى القيروان ، وبعد ذلك عاد إلى مصـر وهو يبلغ من العمر (82) عاماً وأطال فيها ثم غادرها إلى بلاده ، وذلك في سنة (382هـ/992م) وأخيراً غادر بلاده في عام 393هـ متجهاً إلى الأندلس حيث استوطن هناك إلى ان توفي[4].

فقد بلغ مجموع مصنفاته في علوم القرآن ألف وثمانين مصنفاً[5] ألّف منها في القراءات والبقية في التفسير وعلوم القرآن ، وكان ذا شـخصـية فاضـلة حسـن الخلق والفهم الجيد ، مجوداً للقرآن مجاب الدعوة ، ومشهوراً بالصلاح[6] .

ومن العلمـاء الـذين برزوا في مـدينـة تونس علي بن حجـاج التونسـي (ت389هـ/998م) ، رحل إلى مصـر وقرأ على أبي الطيب بن غلبون ، وتصـدر بتونس فقرأ عليه أبو بكر بن عتيق ، وكذلك اشـتهر في علم القراءات في مدينـة

---

[1] حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ،ج2، ص431 .

[2] القفطي ، انباء الرواة على أبناء النحاة ، ج3 ، ص313-319.

[3] يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ،ج2، ص436 .

[4] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص274-275 ؛ القفطي ، انباء الرواة على ابناء النحاة ، ج3 ، ص316 .

[5] القفطي ، انباء الرواة ، ج3 ، ص315-316.

[6] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص274 .

المهدية أبو الحســن علي بن أبي غالب المهدي ، وتلقى علومه على يد أبي الطيب بن غلبون[1].

وقد اشـتهر في اقصــى المغرب في مدينة باغية المقرئ ابو العباس احمد بن علي بن احمد بن محمد الربعي الباغائي للفترة (345-401هـــــ/956-1010م) ، عاش في افريقية مدة ثلاثين عاماً ، و رحل إلى مصـــــر وقابل عالم القراءات بن غلبون وقد عرف عنه انه لا نظير له في حفظ القرآن وقراءاته وإعرابه وإحكامه وناسخه ومنسوخه[2]. أما في مدينة فاس فقد اشتهر موسى بن أبي صاج الغفجرمي الفاسي، واصله من فاس تفقه بالقيروان على يد الشيخ أبي الحسن القابس ، ثم رحل إلى مصـــــر ودرس القراءات على يد علي بن الحســـن بن احمد المتوفى ســـنة (430هـ/1038م) [3] .

أما مدينة طنجة فبرز فيها المقرئ سليمان بن احمد الطنجي واصله من طنجة ارتحل إلى مصـــــر وشـــارك أبا الطيب بن غلبون المقرئ وكانت وفاته ســـنة (440هـــ/1048م) [4] ، كما رحل إلى مصر أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البكري المولود سـنة (404هــــ/1012م) ، فقد ذاع صـيته في الإفاق بعلم القراءات (ت465هــ/1072م) ، وترك مؤلفات كثيرة كان من أهمها كتاب الكامل في القراءات[5] .

وهناك بعض القراء المغاربة رحلوا الى مصـــر واســـتقروا بها واســـتفادوا من علمائها أمثال أبي العباس احمد بن عبد الله بن احمد بن هشـام بن الخطيب اللخمي

---

(1) ابن الجزري ، طبقات القراء ، ج 1، ص91 .

(2) الداوردي ، طبقات المفسرين ، ج1 ، ص53 .

(3) الدباغ ، معالم الإيمان ، ج3 ، ص160 .

(4) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، ج2 ، ص631-633 .

(5) ابن الجزري ، طبقات القراء ، ج1 ، ص91 .

الفاسـي كان من مشـاهير الصـلحاء ودارسـاً في القراءات السـبع[1]، ولد بفاس سـنة (478هـ/1085م) انتقل إلى الديار المصرية حيث هاجر مع أهله إلى مصر واستقر بها ، وقرأ على ابن الفحام وقرأ الفقه والعربية (ت560هـ/1164م) ودفن بالقرافة[2] التي كانت مقبرة اهل مصر[3] .

أما في الاسكندرية فلم تزدهر العلوم الدينية فيها إلاّ بعد ان تأسست المدرسة الحافظية ، وكان لها الأثر الكبير في نهضـة العلوم الدينية في أواخر العصـر الفاطمي ، وكان علماء المغاربة والأندلسيون الذين نزلوا بالإسكندرية قد أسـهموا في ازدهار الحياة الثقافية فيها[4]، ومن نزل من العلماء بالإسكندرية الحسن بن خلف بن عبد الله بن يلتمه أبو الحسن القيرواني ، ولد سنة (427هـ/1035م) بالقيروان وعني

---

[1] القراءات السبع : هي قراءات مستخلصة من عدة قراءات كانت موجودة انذاك فجاءت نتيجة لما كان من قراءات كثيرة للقراء شاعت بين العالم الاسلامي فاستخلص منها ما يحملون الناس عليها حتى لا يتفاقم الامر ويلبس الباطل بالحق وتصـبح قراءة القرآن فوضـى لكل من يقرأ حسب معرفته من دون بصـر تام بوجود القراءات من دون تمييز بين المتواتر المشـهور منها وغير المتواتر فقد نهض بهذه القراءات ابن مجاهد ابو البكر احمد بن موسـى بن عباس بن مجاهد التميمي البغدادي ولد ببغداد سـنة (245هـ) ، واقبل على حفظ القرآن وطلب العلوم اللغوية والشـرعية كما اقبل على اسـاتذة النحو الكوفيين ، انكب على دراسـة الحديث النبوي وعلى القراءات في القرآن ومعانيه وإعرابه وروايات حروفه وطرقها ، لذلك اسـتخلص للامة الإسلامية سبع قراءات . للمزيد ينظر : ابن مجاهد ، ابو البكر ، كتاب السبع في القراءات ، تح: شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ص1-3 .

[2] القرافة : سميت نسبة الى احد بطون المعافر التي نزلت بمصر من اليمن ،ثم اصبحت مقبرة مزدهرة بالابنية والمحلات ،تحتل القرافة مسـاحة واسـعة حيث تمتد من جبل المقطم الى الفسـطاط ، وهناك قصـر يعرف بقصـر القرافة بنته السـيدة تغريد ام الامراء زوجة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وكذلك بنت جامعاً لها عرف بجامع القرافة للمزيد ينظر : ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص20 ؛ المقريزي ، الخطط ، ج1، ص388، هيفاء عاصم، مدينة القاهرة ، ص283.

[3] السـيوطي ، حسـن المحاضـرة ، ج1 ، ص453 ؛ حسـن ، إبراهيم حسـن ، تاريخ الإسـلام السياسي ، ج4 ، ص442 .

[4] السيد ، عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية وحضارتها ، ص534 .

بالقراءات وتقدم فيها وصـــنف كتاباً بعنوان تلخيص العبارات في القراءات توفي في الإسكندرية سنة (514هـ/1120م) [1] .

اســتمرت مصــر تحتل مكان الصــدارة في القراءات القرآنية وعلوم القرآن فقد رحب الفاطميون بالعلماء المغاربة ، كما لقي الفقهاء المغاربة وطلابهم كل الترحيب والاحترام من قبل علماء مصر وهذا ما يدل على عمق الصـلات الثقافية بين البلدين في عصر الدولة الفاطمية[2]. اما في مصر فقد اشتهر العديد من العلماء المتبحرين في علم القراءات الا ان المصـادر التاريخية لم تسعفنا عن اخبار العلماء المصـريين الذين تركوا بلادهم واتجهوا الى بلاد المغرب ســواءأ كان من اجل تعليم المغاربة او من اجل تحصيل العلوم ، ونذكر منهم محمد بن الحسن بن علي بن طاهر الانطاكي (ت380هــ/999م) ، احد اعلام القراء نزيل مصر اخذ عنه عبد المنعم بن غلبون ، خرج من مصـر الى بلاد الشـام فمات في الطريق[3] وكذلك محمد بن علي بن احمد الامام ابو بكر الادنوي المصـري المقرئ النحوي المفسـر ، برع في علوم القرآن وكان ســيد اهل عصــره في مصــر ، قيل عنه انه انفرد بالامامة في وقته مع ســعة علمه وبراعة علمه وصدق لهجته وتمكنه من العربية ، له كتاب التفسير في مائة وعشرين مجلداً وسماه كتاب الاستغناء في علوم القرآن مات سنة (388هــ/988م) [4]. ومنهم ايضاً عبد الكريم بن الحسن بن المحسن بن سوار الاستاذ ابو علي المصري التككي المقرئ النحوي ، برع في القراءات وعللها والتفســير ووجوهه والعربية وغوامضـــها ، وكان له حلقة اقراء في مصر مات في ربيع الآخر سنة (525هـ/1130م) عن عمر 68 سنة[5]

---

[1] الدباغ ، معالم الإيمان ، ج3 ، ص160 .

[2] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص210 .

[3] السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص404 .

[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص404-405 .

[5] المصدر نفسه ، ج1 ، ص408 .

ب- الحديث[1] :

كانت مصر من أهم مراكز الرواية منذ دخول الإسلام إليها وكثرت الرحلة في طلبه مما أدى إلى نشاط رواية الحديث في مصر[2]، لذا برز كثير من المحدثين في العصر الفاطمي وكان اغلبهم لا ينتمون للمذهب الفاطمي ، وهذا يدل على تمتع رجال العلم والمعرفة بحرية العقيدة والكتابة ، فقد مارسوا علمهم بحرية كبيرة ، بل لاقوا التقدير والاهتمام ، وهذا وان دل فإنما يدل على المرونة الفكرية للدولة الفاطمية في مصر لذلك تفوق علم الحديث في مصر تفوقاً عظيماً[3]، وتكشف لنا كتب الطبقات العلماء الذين اشتهروا بالحديث ، وكان أشهرهم أبا بكر محمد بن علي بن حسين المصري، نزيل تنيس المتوفى سنة (369ه/969م)[4].

وممن شد رحاله إلى مصر من طلاب المغاربة نذكر منهم أبا الحسن علي بن احمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابس الفقيه ، رحل إلى المشرق سنة (352هـ/963م) ، ثم عاد إلى مصر فأقام بها يسمع الحديث فسمع بالإسكندرية ، ثم عاد إلى القيروان سنة (357هـ/967م) [5] ، ترك لنا تصانيف كثيرة منها كتاب الممهد الذي بلغ ستين جزءاً،إلاّ أنه توفي ولم يكمله وذلك سنة (403هـ)[6]، فكان

---

[1] الحديث : هو علم يعرف به أحوال السند والمتن من حيث الصحة والضعف والعلو والنزول وكيفية التحمل والأداء وصفات الرجال والحسن والضعيف ختان للمتن والسند والعلو والنزول من مفهوم الحديث رواية ، أما الحديث رواية فيقصد به علم يبحث فيه عن أقوال النبي (ρ) وأفعاله أي قواعد موضوعاتها ذات النبي (ρ) ومحولاتها الأقوال والأفعال، وذلك كالأحاديث المذكورة في كتب الصحيح . للمزيد ينظر : الزرقاني ، رضوان ابن هاشم الحنفي بن علي أبي هاشم ، الروض الأزهر في حدود مشاهد علوم الجامع الأزهر، مخطوط ، رقم النسخة : 339358 ، مصدر المخطوط موقع مخطوطات الأزهر الشريف ملتقى أهل الحديث ، ص69- 71 .

[2] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص210 .

[3] المرجع نفسه ، ص211 .

[4] الذهبي ، شمس الدين محمد (ت748هـ) ، سير أعلام النبلاء ، تح: شعيب الارنؤطي اكرم البوشي، مؤسسة الرسالة،ج16،ص234؛ السيوطي،حسن المحاضرة، ج1، ص352 .

[5] الدباغ ، معالم الإيمان ، ج3 ، ص135 .

[6] المصدر نفسه ، ج3 ، ص136 .

كتابه الممهد مبوباً إلى أبواب جمع فيه بين الحديث والأثر والفقه ، وكان القابس محدثاً مشهوراً بل لعل الحديث هو العلم الذي غلب عليه[1].

وابو ســـعيد الماليني احمد بن محمد بن احمد اســـماعيل ، كان احد الحفاظ المكثرين الراحلين في الحديث الى الآفاق ، مات بمصـــر في شـــوال ســـنة (412هـــ/1021م) ، وكذلك الحبال الحافظ الامام المتقن محدث مصر ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد بن عبد الله النعماني ولد سنة (391هـــ/1000م) كان ثقة صالحاً ورعاً كبير القدر ، مات ســنة (482هــــ/1089م) [2]. وهناك علماء بمصـــر من المحدّثين لم يبلغوا درجة الحفظ ولكن أنفردوا بعلو الاسناد ، ومنهم ابو عبد الله الرازي صاحب السداسيات والمشيخة محمد بن احمد بن ابراهيم يعرف بابن الحطاب مسند الديار المصرية واحد عدول الاسكندرية مات سنة (521هـــ/1127م) عن عمر 91 سنة [3]

بدأت كتب الحديث تعرف طريقها نحو بلاد المغرب منذ أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، ومنذ ذلك الوقت بدأت اهتمامات المغاربة بعلم الحديث فهي لا تقل عن اهتمامات المشـــارقة ، وكان هناك أعداد كبيرة من المغاربة ممن تفوقوا في علم الحديث ، ولعل ذلك التفوق يرجع إلى ان المغاربة كانوا في الغالب على مذهب أهل الحديث ولا يقرون الاجتهاد ، وذلك من خلال اهتماماتهم بموطأ الإمام مالك ، وبحلول القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أصبح المذهب المالكي ينشر في بلاد المغرب ، وظلت جهود المغاربة في طلب الحديث متواصلة عن طريق الرحلات لنيل العلم من منابعه[4].

---

[1] حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية ،ج1، ص394 .

[2] السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص302 .

[3] ابن عماد ، شذرات الذهب ، ج4 ، ص75 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص319.

[4] التليس، بشير رمضان ، الاتجاهات الثقافية ، ص451 .

جـ- علم الفقه[1] :

إذا كانت العلوم الدينية تأتي أولاً في مسـيرة الحياة العلمية والثقافية فإن الفقه والدراسات الفقهية تأتي في مقدمة حقول الدراسات الدينية ليس في افريقية فحسب بل في العالم الإسلامي كافة ، فكان من الأسباب الرئيسة التي أسرعت بظهور علم الفقه هو ارتباط العلوم الشـرعية الأخرى به مثل علم أصـول الحديث والجرح والتعديل[2] للتأكد من مصداقية الأحاديث متوناً وأسانيد بحكم ان الحديث هو المصدر التشريعي الإسلامي الثاني بعد القرآن الكريم[3].

شهدت الدراسات الفقهية في البداية التوسع والازدهار ثم أخذت هذه الدراسات في التراجع والانكماش حتى دخل الفقه مرحلة الاختصـار ، لقد كانت الدراسـات الفقهية في افريقية في ذلك الوقت لا تختلف عن ما وصلت إليه الدراسات الفقهية في كل أقطار الدول الإسـلامية[4]، ان اهتمامات المغاربة في الفقه لم تتوقف ، فقد كانوا يستعجلون استيضـاح كثير من المسائل الفقهية وكانوا يتطلعون إلى الحجاز والمدينة حيث كان تواجد كبار التابعين[5].

---

[1] الفقه : هو معرفة أحكام الله تعالى بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهو فهم غرض المتكلم من كلامه ، وقيل هو فهم الأشـياء الدقيقة واختلف في التفسـير هذا من ناحية الفقه للغة، واصطلاحاً هو العلم بأحكام الشريعة العلمية . للمزيد ينظر : الزقاني ، الروض الأزهر ، ص39 ، الانصاري ، زكريا بن محمد (ت926هـ) ، الحدود الأنيقة والوريقات الدقيقة ، تح : مازن المبارك ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1991م ، ص67 .

[2] علم الجرح والتعديل :هو ميزان يوزن به نقلة الحديث ،ويتعرف به على الراوي الذي يقبل منه الحديث اويرد ، وقد سئل أبو عبد الله عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي (327هـ/938م) ما الجرح والتعديل ؟ فأجاب (إظهار أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة اوغير ثقة) ،وقيل أيضـاً هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بالفاظ مخصـوصـة وعن مراتب تلك الالفاظ وهذا العلم من فروع علم الرجـال للحـديـث. للمزيـد ينظر : الرازي ، عبـد الرحمن بن ابي حـاتم، (ت327هـ)،الجرح والتعديل ، تح : مصـطفى عبد القادر عطا ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت،ج1 ،2010م،ص5.

[3] احمد أمين ، ضـحى الإسـلام ، الهيئة المصـرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2003 ، ج2 ، ص102-142 .

[4] حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص319 .

[5] المرجع نفسه ، ج1 ، ص318 .

غير ان الفقه في بلاد المغرب في بداية ظهوره عرف خطوات موفقة ، ودخل خلال هذه الفترة مرحلة التدوين ، لقد كانت هناك عوامل ساعدت في التقدم الحاصل في مجال الدراسات الفقهية ، مثل وضوح اثر معظم عوامل ازدهار الحياة العملية ، وكذلك بروز اثر الرحلات العلمية فضلاًعن دخول المذهب المالكي إلى افريقية وأثره في الدراسات الفقهية ، هذا إلى جانب الحالة السياسية ، وما كان يتمخض عنها من فتن تدفع بعلمائه إلى تلمس السبل لمواجهة ذلك الطوفان من البدع والضلالات[1].

وبذلك بدأ يظهر على الساحة في بلاد المغرب فقهاء كبار كانوا طلائع لجمهرة من العلماء أمثال عبد الله بن فروخ[2]، إلاّ ان ازدهار الحياة العلمية والفقه على رأسها قد ارتبط من غير شك بالمناخ السياسي والحضاري الذي تحقق في افريقية على يد أمراء الاغالبة ، لقد كانت لشخصية اسد بن الفرات[3] ، وسحنون بن سعيد عاملاً رئيساً في التطور والدراسات الفقهية وبذلك كتب لها النجاح والتوسع والتقدم في المغرب الأدنى[4].

---

[1] حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص182 .

[2] عبد الله بن فروخ : هو عبد الله بن فروخ الفاسي هو من ابرز فقهاء ومحدثين افريقية ، دفعته الفتن وتفشي البدع والضلالات في افريقية إلى مكاتبة الإمام مالك بن انس في كثير من المسائل الفقهية كان من شيوخ اهل افريقية وقيل انه كان مسناً ورحل لطلب العلم فلقي بالمشرق مالك بن انس وسفيان الثوري ولقي ابا حنيفة وكان ثقة في حديثه مات سنة 176هـ . للمزيد ينظر :أبو العرب ، محمد بن احمد بن تميم ،(333هـ)، طبقات علماء افريقية ، منشورات كلية الادارة ، الجزائر،1930م ، ص34-36 .

[3] أسد بن الفرات : بن سنان مولى بني سليم ابن قيس كنيته أبو عبد الله ، ولد بنجران من ديار بكر ، رحل الى المشرق فسمع من موطأه مالك وغيره وتفقه على يد أبي حنيفة ، مولده في سنة (145هـ) ، وكانت وفاته في حصار سرقوسة من غزوة صقلية في سنة (213هـ) وقبره ومسجده بصقلية . للمزيد ينظر : المالكي ، ابي بكر عبد الله بن محمد ، (398هـ)، رياض النفوس ، تح: بشير البكوش ومحمد العروسي ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1983 ، ج1 ، ص254 ؛ المالكي ،ابن فرحون، (ت799هـ) ، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، تح : محمد احمد ابو النور ، ط2 ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 2005م ، ج1 ، ص271 .

[4] حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص183 .

شهدت الدراسات الفقهية المالكية في بلاد المغرب خلال حكم بني زيري توسعاً وازدهاراً ، وهذا الازدهار والتوســـع كان معقوداً بعدد من العلماء الذين عاصــــروا الفاطميين لفترة طويلة من عمرهم ، أمثال أبو محمد عبد الله بن إســـحاق المعروف بابن التبان[1]، كان واحداً من علماء افريقية المشـــهورين في القرن الرابع الهجري ، وكذلك محمد بن حارث الخشــني[2]، وأبو القاســم خلف المعروف بالبراذعي[3]، وهو من أشـــهر الفقهاء في القرن الرابع الهجري ، إذ كان من مؤيدي الدولة الفاطمية في افريقية[4] ، وكذلك اشتهر في هذا العصر عبد الرحمن بن محمد بن رشيق[5].

[1] ابن التبان : هو عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان كان يدرس الليل كله ودارس المدونة الف مرة كان من العلماء الراسخين وفصيح اللسان ورقيق القلب ويدرس الكثير من العلوم منها الفقه وعلوم القرآن والنحو واللغة والنجوم والطب ، وكان شديد البغض للفاطميين توفي ضحى يوم الاثنين 12 جمادي الآخرة سنة (37هـــ) ودفن بالرمادية . للمزيد ينظر : الدباغ ، معالم الإيمان ، ج3 ، ص92-100 .

[2] محمد بن حارث: هو أبو عبد الله محمد بن حارث بن اســد الخشـــني تفقه بالقيروان على يد احمد بن نصير وأبي بكر بن اللباد ثم رحل إلى الأندلس واستوطن بعد ذلك بقرطبة كان حكيماً وقد ألّف مائة ديوان لانه كان شاعراً . للمزيد ينظر: الدباغ ، معالم الإيمان ، ج3 ، 86-88.

[3] البراذعي : هو خلف بن أبي القاسم الازدي المعروف بالبراذعي ، ويكنى أيضاً بأبي القاسم، كان من كبار أصحاب أبي الحسن القابسي ومحمد بن أبي زيد ، قيل انه مات بصقلية وقيل أيضـــاً انه رجع إلى القيروان ومات بها . للمزيد ينظر : الدباغ ، معالم الإيمان، ج3 ، ص150-155 .

[4] الدباغ ، معالم الإيمان ، ج3، ص156 .

[5] حوالة ، يوسف ابن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج1 ، ص105 .

اما في منتصـــف القرن الخامس الهجري ، فقد برز أبو القاســـم عبد الخالق السـيوري[1] كان له دور كبير في الفقه والحديث والقراءات ، كذلك برز عبد الحق بن محمد السهمي القريشي[2] ، كان عالماً وله مؤلفات في الفقه كثيرة[3].

وفي مصـر اشـتهر أبو الحجاج يوسـف بن عبد العزيز علي اللخمي[4] فقيه وعلامة وأحد الأئمة الكبار في الفقه الشـافعي تفقه في بغداد هو نزيل الإسـكندرية[5]، واشـــتهر كذلك الرحالة والفقيه الكبير ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشـــي الفهري الاندلسـي[6] ، ورحل إلى المشـرق وهو في سـن الخامسـة والعشـرين من عمره ، ثم رحل الى مكة لأداء فريضـــة الحج، فتلقى العلوم الإسـلامية في المشـرق واخذ يتنقل

---

[1] السـيوري : ابو القاسـم عبد الخالق بن عبد الوارث السـيوري من اهل افريقية ، وهو خاتمة علماء افريقية واخر شـيوخ القيروان ، برع في الحفاظ والقيام على المذهب ، كان فاضــلاً زاهداً اديباً له عناية في الحديث والقراءات طال عمره كانت وفاته سنة (460هـــ) بالقيروان . للمزيد ينظر : ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب ، ج2 ، ص18 .

[2] القريشـي : ابو محمد عبد الحق بن محمد بن هارون ، من اهل صـقلية تفقه على يد الشـيوخ القرويين مثل ابي عمران الفاســي وعبد الله بن الاجدابي وصـــبح فلقي عبد الوهاب ثم بعد ان كبر وذاع صـيته حج مرة اخرى فلقي ابا المعالي ، الف كتاباً عنوانه النكت والفرق وهو اول ما الفه وقيل انه ندم على تأليفه ورجع هم كثير من اختياراته وتعليلاته ، وقال " لو قدرت على جمعه واخفائه لفعلت " ، توفي بالاسـكندرية سـنة (466هـــ) . للمزيد ينظر : ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ج2 ، ص44-45.

[3] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج3 ، ص191 .

[4] اللخمي : ابو الحجاج يوسف بن عبد العزيز اللخمي ، الميورقي كان عالماً بارعاً فقيهاً اصولياً خلافياً زاهداً استوطن الاسكندرية ، مات سنة (523هـــ) . للمزيد ينظر : السيوطي، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص332.

[5] عياض ، المدارك ، ص517 .

[6] ابو بكر الطرطوشـي: هو محمد بن الوليد بن خلف بن سـليمان بن أيوب الفهري الأندلسـي الطرطوشي ولد سنة (451هــ/1059م) الفقيه القدرة الزاهد ، شيخ المالكية ، عالم الإسكندرية كان يعرف بابن أبي رندقة لازم القاضـي أبا الوليد الباجي بسـرقسـطة ، ثم حج ودخل العراق وسمع بالبصرة ، سنن أبي داود من أبي علي التستري ، صنف كتاب (سراج الملوك) للمأمون البطائحي ، ولد سنة (451هـ) وتوفي في الإسكندرية في جمادي الأول سنة (520هـ) . للمزيد ينظر: ابن العماد ، شـــذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج10 ، ص490-494 ، الديباج المذهب ، ج2 ، ص244-248 ؛ المقريزي ، اتعاظ ، ج3 ، هامش 2 ، ص88 .

بين مكة وبغداد ، أقام بالشام لفترة ودرس بها ثم رحل إلى مصر وطاب له المقام في القاهرة ثم استقر بالإسكندرية وكان من أصحاب القاضي أبي الوليد الباجي[1] فأخذ مسائل كثيرة عنه وتفقه على يديه فتقدم في الفقه[2].توفي سنة (525هـ/1130م) عن عمر 75 سنة[3].

لقد أشار القلقشندي الى سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم بأنهم كانوا يتآلفون مع أهل السنة والجماعة ويسمحون لهم بإظهار شعارهم على اختلاف مذاهبهم[4]، ومما يؤكد هذا الكلام هو ان الخليفة المستنصر الفاطمي عين على رأس القضاة فقيهاً شافعياً هو ابو عبد الله محمد بن سلام القضاعي[5]، ولعل هذه السياسة التي امتاز بها الخلفاء الفاطميين في حكمهم لبلاد مصر ، دفع طلاب العلم والعلماء والمغاربة

---

[1] ابو الوليد الباجي : هو سليمان بن خلف بن سعد أو سعدون بن أيوب النجيب احد أقطاب المذهب المالكي وهو من باجة للأندلس له مؤلفات فقهية منها المنتقى وأحكام الفصول في أحكام الأصول كان كثير الترحال من اجل العلم رحل الى مصر والقيروان واخذ يتنقل بين العراق والشام فما حل ببلد حتى وجد من بذكره ، توفي بالمرية سنة (474هـ) . للمزيد ينظر : ياقوت الحموي ، معجم الآباء ، ج11 ، ص246 ؛ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج4 ، ص94 .

[2] السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص257 ، المقري ، احمد بن محمد (ت1041ه) ؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح: احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د. ت، د. ط ، ج2 ، ص85-88 .

[3] ابن عماد ، شذرات الذهب ، ج10 ، ص490-494 ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ج2 ، ص244-248 ؛ المقريزي ، اتعاظ ، ج3 ، هامش رقم 2، ص88 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص377 .

[4] صبح الاعشى ، ج3 ، ص220 .

[5] القضاعي : هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القضاعي الفقيه الشافعي صاحب كتاب الشهاب، تولى القضاء بمصر وتوجه من قبل الحكام المصريين كرسول إلى بلاد الروم ، توفي بمصر ليلة الخميس 16 من ذي القعدة سنة (454هـ) وله عدة تصانيف منها كتاب مناقب الإمام الشافعي وأخباره ، وكتاب الأبناء عن الأنبياء ، وتواريخ الخلفاء ، خطط مصر . للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج4 ، ص212 -213 .

بالاكثار من رحلاتهم إلى مصــر والإسـكندرية حيث وجدوا فيها مســتقراً آمنا ومقاماً طيباً[1].

وكما كان المشـــرق الإســـلامي هدفاً للرحلات المغربية، كانت بلاد المغرب والأندلس بدورهما هدفاً لرحلات عدد كبير من العلماء المشـــارقة نذكر منهم زيد بن حبيب بن ســلامة القضــاعي الاسـكندراني، وإسـماعيل بن عبد الرحمن بن علي بن محمد القريشي المصري ، رحل إلى المغرب تاركاً مصر سنة (357هـ/967م)[2]، لقد كانت هذه الرحلات الثقافية رافداً من روافد تكوين الصلات الثقافية بين البلدين .

---

[1] القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت544هــ) ، ترتيب المدارك وتعريب المسالك تح: محمـد بن تـاويـت الطبخي ، المملكـة المغربيـة ، الربـاط ، د.ت ، ج1 ، ص622 .

[2] ابن بشكوال ، الصلة ، ج1 ، ص86 .

ثانياً – الدراسات الأدبية أو اللغوية :

الشعر والأدب :

دفع تشجيع الفاطميين للشعراء إلى هجرة الكثير منهم لأوطانهم والإقامة في مصر للظفر بهبات الخلفاء وعطاياهم ، ومن هذا يتضح ما كان للشعر والشعراء من مكانة خاصة لدى خلفاء الدولة الفاطمية مما جعل الشعراء يتسابقون إلى منح الخلفاء والوزراء ، وكان الفاطميون يرحبون بالشعراء على اختلاف مذاهبهم[1].

ولم يقتصر الامر على الخلفاء وإنما شاركهم في ذلك الوزراء مثل الوزير الافضل بن بدر الجمالي ، فقد كان له دور بارز في الحركة العلمية في مصر وعرف بحبه للشعر والشعراء واخذ يدعو العلماء والادباء والشعراء على مختلف طبقاتهم في داره في مجلس العطايا[2] . واخذ يمنح الهبات لمن يحضر الى مجلسه[3] ، ومن الوزراء الفاطميين الذين اسهموا في ازدهار الحياة الثقافية في مصر الوزير طلائع بن رزيك[4]، وقد نسب إليه مجلس يضم كبار رجال الشعر والادب والعلم

---

[1] عبد الحميد حسن ، صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى النهضة الحديثة، ص12 .

[2] مجلس العطايا : هو مجلس في دار الملك ظهر في عهد الوزير الافضل فيه ثمانية مضايف من الديباج . للمزيد ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص73 ؛ كياش ، غنية ياسر ، المكونات الثقافية ، ص134.

[3] المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص318 .

[4] طلائع بن رزيك : هو الملك الصالح وزير مصر طلائع بن رزيك الارمني ثم المصري الشيعي أبو القارات ، كان والياً بمنه بني خصيب كان أديباً شاعراً يحب أهل الفضل ، وله ديوان شعر لما قتل الظافر سير أهل القصر اليه واستصرخوا به فحشد واقبل ملك مصر واستقل بالأمور ومات الفائز وبويع العاضد واستمر بن زيرك وزيره وتزوج العاضد ابنته ثم قام العاضد بالاتفاق مع حاشيته فقتلوه سنة (556هـ) ، كان يجمع العلماء ويناظرهم وقد صنف كتاباً سماه الاجتهاد في الرد على أهل الفساد ، كانت ولايته للوزارة 19 ربيع الأول سنة (549هـ) . للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2 ، ص526 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج4 ، ص177 ؛ السيوطي حسن المحاضرة ، ج2 ، ص131 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج16 ، ص288–290 .

يجتمعون في المجلس يتناشدون في الشعر ويتناظرون في المسائل العلمية[1] ، كذلك كان ممن شــجع الحركة العلمية والثقافية في العصـــر الفاطمي الوزير ابن البطائحي فقد وجد العلماء والادباء لدى هذا الوزير الرعاية والتقدير ، فعندما وفد اليه الفقيه ابو بكر الطرطوشي من الاسكندرية اكرمه وامر باخلاء المجلس له واستقبله واقفاً وجلس بين يديه لذلك ازدحمت مصر بالشعراء الذين توافدوا عليها من المغرب والمشرق[2]، لقد بلغ الشــعر في مصـــر منذ دخول الخليفة المعز لدين الله مبلغاً عظيماً من الرقي والازدهار حيث كان يجري عليهم الأرزاق، فضـــــلاً عن كون الخلفاء وأبناء الخلفاء يجيدون ويتقنون الشعر ، فكان أشهرهم تميم[3] بن صاحب القاهرة الخليفة المعز[4]، وبرز في مصــر شــعراء مغاربة وفدوا إلى مصــر أمثال علي بن النعمان القيرواني[5] قاضـــي قضـــاة مصـــر[6]، وكذلك وفد على مصـــر أمية بن عبد العزيز بن أبي الصـلت[7]، وكان عالماً في فنون مختلفة فهو شـاعر وأديب ممتاز إلى جانب علومه

---

[1] المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص147-148 .

[2] عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي ، ص264 .

[3] تميم بن معد بن إســماعيل بن محمد بن عبد الله أبو علي : شــاعر أهل البيت الفاطمي غير منـازع ولا مـدافع وكـان فيهم ابن المعتز ، ولاه أبوه المعز لـدين الله إلاّ انـه خلفـه برأي جوهر الصــقلي لأنه كان عقيماً لا يولد له ، فولي أخوه عبد الله فتوفي في حياة أبيه ثم ولي أخوه أبو المنصور نزار العزيز وانتقلا من افريقية إلى مصر كان تميم محاسنه كثيرة وتصرفاته بديعة ، توفي في خلافة أخيه العزيز سنة 374هــــ وغسله القاضي محمد بن النعمان . للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص270 ، ابن الآبار ، الحلية السيراء، ج1 ، ص291-301 ، رقم 5108 .

[4] السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص561.

[5] علي بن نعمان القيرواني : قاضــي قضــاة مصــر للدولة الفاطمية كان شـيعياً غالياً ، شـاعراً مجوداً ن مات سنة (374هـ) . للمزيد ينظر : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص457-458 .

[6] السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص561 .

[7] امية بن عبد العزيز بن أبي الصـلت الداني العلامة الفيلسـوف الطبيب الشـاعر المجود ، ولد سـنة (460هـــــ) تنقل وسـكن الإسـكندرية ثم رد إلى المغرب كان رأسـاً في النجوم والوقت=

الفلسفية حيث طابت له الإقامة في الإسكندرية[1]، وكذلك برز في مصر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن زكريا القلعي[2] ، كان من قلعة بني حماد بالمغرب رحل إلى الإسـكندرية وأقام بها زماناً ثم عاد إلى المغرب[3]، وكذلك وفد إلى مصـر في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي الشاعر أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق[4]، وفد إلى مصـر أكثر من مرة حيث كان موفوداً من بلاط المغرب إلى البلاد المصـرية

=والموسيقى رأساً في المنطق ، مات بالمهدية في آخر سنة (529هـــ) . للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص243-247؛ ابن أبي اصـيبعة ، طبقات الأطباء ، ص501-514 ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء الارشـاد الاريب الى معرفة الاديب ، تح: احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1993م ، ج1 ، ص52-70 .

[1] العماد الاصفهاني ، خريدة القصر ، ج1 ، ص223 .

[2] ابو عبد الله محمد بن عبد الله القلعي : ورد الى الاسكندرية ومصـر واقام بها زماناً لا يجد من يروي ضـمأه ، الا انه عاد الى المغرب وفي طريق العودة وصـل الى قوم بني الاشـقر من طرابلس الغرب فامتدحهم بالقصيدة المينية فاحسنوا صلته وعظموا جائزته عاصـر اكرامت بن المنصـور بن الناصـر بن علناس قيل عنه انه جيد الشـعر . للمزيد : ينظر : عماد الدين الاصفهاني ، خريدة القصر ، القسم الخاص بالمغرب ، ج1 ، ص337

[3] العماد الاصفهاني ، خريدة القصر ، ج1 ، ص224 .

[4] أبو إسـحاق إبراهيم بن القاسـم الرقيق القيرواني : مؤرخ وأديب من أهل القيروان نشـأ فيها في عصر الدولة الفاطمية بها وكان قد انتقل مع المعز الى القاهرة المعزية سنة (362ه) وانه تعلم بالقيروان ونبغ في الادب كتابة وشـعراً وعمل كاتباً في الديوان الصـنهاجي وعرف بأنه كاتب الحضـرة في الدولة الصـنهاجية، ظل بهذه الوظيفة ما يقارب من نصـف قرن خدم الامير المنصور بن يوسف بن زيري وباديس وابنه المعز بن باديس توجه مرتين او ثلاثة من القيروان الى القاهرة مبعوثاً من امراء صـنهاجة منن القيروان الى خلفاء الفاطميين عندما كانت القيروان تابعة للدولة الفاطمية وكان اول مرة توجه فيها الى القاهرة سـنة 386هـــ مبعوثاً عن الامير منصور لتهنئة الحاكم بامر الله بالخلافة ترأس ديوان الرسائل لمدة ثلث قرن وتردد سفيراً للدولة الفاطمية اكثر من مرة توفي في مصر سنة (388هـــ) . للمزيد ينظر : ابن رشيق،ابو علي الحسن القيرواني،(ت456ه) ،العمدة، د.ط،القاهرة ، 1963م،ج1، ص28 ؛عبد الوهاب، حسن حسـني ، ورقات عن الحضـارة بافريقية التونسـية، ج1 ، ص219؛ سـلام ، محمد زغلول ، الادب في العصر الفاطمي ، ص137-138 .

ليعمل على توثيق الروابط بينهما ولقي من الحاكم بأمر الله وأخته ست الملك[1] وافر الإكرام والرعاية، وأشاد بمصر ومحاسنها في عدد من قصائده[2].

ولا يفوتنا ذكر عدد من امراء الدولة الصنهاجية الذين بذلوا من الجهد والاهتمام بالعلم ونخص منهم الامير باديس وابنه المعز وابنه تميم الذين عنوا عناية فائقة بنشر التعليم وتشجيع الشعراء والادباء[3] ، فكان المعز بن باديس الصنهاجي يدني كل الشعراء الى حضرته ويضمهم لخاصته حتى قيل انه لم يكن احد في زمانه اطول يداً بالمكارم ولا اعنى بلسان العرب واهل الادب منه[4] ، فقد ذكر ابن خلكان[5] عن المعز بن باديس انه((كان محباً للعلماء معظماً للادباء حتى قصدته الشعراء من الافاق على بعد الدار ... ، وكان يجيز الجوائز ويعطي العطاء الجزيل)) ، وعلى أي حال فان العصر الصنهاجي على الرغم من الثورات والانتفاضات التي لا تكاد تنقطع على اثر انفصالهم عن الفاطميين واعلانهم الولاء للعباسيين ومحاربتهم

---

[1] ست الملك : من أهم الشخصيات النسائية في العصر الفاطمي ، هي ابنة الخليفة العزيز بالله، وأخت الخليفة الحاكم من أبيه عرفت باسم سيدة الملك اوست النصر ، ولدت بالمغرب سنة (359هـ/970م)، وهي اكبر أبناء الخليفة العزيز ، بنى الخليفة العزيز القصر العربي لها لتعيش فيه كانت لها طائفة خاصة بها تسمى العيطوفة ، اتفق المؤرخون على ان ست الملك كانت ذات شخصية متميزة لما كانت تتمتع به من العقل والحزم ولم تكن بعيدة عن الأحداث السياسية ، وكانت دائمة الحرص على تقديم النصح إلى أخيها الحاكم ، اتهما معظم المؤرخين بقتل الحاكم وذكروا بذلك أسباب سياسية وأخرى شخصية حيث كان الحاكم يتهم أخته ويشك في سلوكها ويبعث إليها من يراقبها ، توفيت بعد ان ظلت تحكم البلاد طيلة أربع سنوات في أواخر عام (414هـ/1024م) عن عمر (55) سنة . للمزيد ينظر ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق ، ص33 ؛ بدائع الزهور ، ج1 ، ص58 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص174 ؛ يحيى بن سعيد ، ص344 .

[2] عنان ، محمد عبد الله ، الحاكم بأمر الله ، ص369 .

[3] كرو ، ابو القاسم محمد ، عصر القيروان ، ص23 .

[4] ابن بسام ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ص613-615 .

[5] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5 ، ص213 .

لـــلـــمـــذهـــب الشـــــيـــــعـــــي الا انـــــه قـــد اتـــــاح للبلاد فترة طويلة من الاستقرار الذي كان عاملاً اساسياً من عوامل الحياة الاقتصادية والثقافية والعلمية ، وهذا الازدهار عد العصـر الذهبي للحياة الثقافية في بلاد المغرب الــذي يمكـن ان يقــدر بمــائــة ســـنـــة علـى الاقــل أي من منتصـــف القرن الرابع الى منتصـف القرن الخامس الهجري[1] . حيث ازدهر الادب شـعراً ونثراً وخطــابــة ، ونــذكر بعض النمــاذج من الشـــعراء والأدبــاء الــذين عــاصـــروا الإمارة الزيدية مثل أبي عبد الله محمد الـورات السوسي[2]، والنهشلـي[3]،

(1) كرو ، ابو القاسم محمد ، عصر القيروان ، ص22–24 .

(2) ابو عبد الله محمد بن عبدون الوراق الســوســي : كان من اعيان مدينة القيروان المســتقرين بسـوســة تميز شـعره بعذوبة اللفظ ، هاجر إلى صــقلية على اثر وفاة زوجته وابنته في سـنة 393هــــ استقبله أمير صـقلية ثقة الدولة الكلبي الذي عهد اليه بتربية ابنه ثم عاد الوراق إلى مسقط رأسه مدينة سوسة وتوفي بها سنة (400هــــ/1010م) . للمزيد ينظر : التجاني ، رحلة التجاني ، ص27–38 ؛ الصــفدي ، صـــلاح الدين خليل بن ايبك ، ت 764هــــــ ، الوافي بالوفيات ، بيروت ، 1972 م، ج3 ، ص205–207 .

(3) النهشلـي : هو عبد الكريم بن إبراهيم ، ولد في المسيلة وتلقى دراسته فيها وقيل انه لم يغادرها إلاّ قبل مدة قليلة من وفاته حيث ارتحل إلى القيروان بعد ان برع باللغة والشعر ، وكذلك أصبح عارفاً في علوم أخرى تعلم اللسان والأوزان وأصبح خبير بأيام العرب توفي سنة (405هــــ). لـلـمـزيـد يـنـظـر: إدريـس، الـهـادي روجـر، الـدولـة الصـــنـــهـاجـيـة ، ج2 ، ص393.

والقزاز [1]، والحصري[2] ، وغيرهم[3].

لذلك كان على العلماء والأدباء والشعراء المصريين التوافد على المجالس التي تقام في القيروان ، وعلى الرغم من القطيعة بين الدولة الزيرية في المغرب والخلافة الفاطمية في مصر ، إلاّ أن ذلك لم يؤثر على رحلة العلماء وطلاب العلم[4].

ومن خلال هذه الرحلات يبدو ان الروابط الثقافية لم تنقطع بين مصر ودول المغرب ، فقد ظل انتقال التجار والعلماء والحجاج الأمر الذي ترتب عليه ثراء الحياة الفكرية في مصر و وحدة الفكر والثقافة بين البلدين[5].

اللغة والنحو :

كانت اللغة والنحو تسير جنباً إلى جنب مع غيرها من الدراسات الدينية التي اقبل عليها العلماء والمتعلمون في مصر ، وكان هؤلاء العلماء يعدون كعبة العلم التي توافد عليها طلاب العلم من جميع البلدان الإسلامية للاستفادة من علومهم ،وقد وجدت هذه العلوم في مصر منذ أن بدأ المسلمون يقرؤون القرآن حتى غمرت مصر وفاضت على غيرها من بلدان المغرب والأندلس[6].

---

[1] القزاز : أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي ولد سنة (345هـ) ، وهو من مشاهير أدباء افريقية في العصر الصنهاجي ولد في القيروان ورحل إلى المشرق لطلب العلم فتتلمذ إلى عدد من الشيوخ منهم الامدي ، وأقام مدة طويلة بمصر والتحق فيها بخدمة الفاطميين ثم رجع إلى القيروان بعد وفاة العزيز (386هـ) ، ودرس اللغة والأدب . للمزيد ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص514-515 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج2 ، ص3-4-305؛ ابن الآبار ، الحلية السيراء ، ج1 ، ص102-103 .

[2] الحصري : هو ابو اسحاق ابراهيم الحصري من رواة الشعر والادب ، اشهر مؤلفاته هو زهرة الآداب توفي الحصري (413هـ) . للمزيد ينظر : ابن خلكان وفيات الاعيان ، ج1، ص13-14 ؛ ابن الآباء ، الحلل الموشية ، ج1 ، ص98-99 .

[3] التليسي ، بشير رمضان ، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، ص339-345 .

[4] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص191 .

[5] المرجع نفسه ، ص224 .

[6] عطا الله، خضر احمد ، الحياة الفكرية في مصر ، ص279-280 .

وازدهرت هذه الدراسات بمصر في العصر الفاطمي واخذ الخلفاء يشجعون هذه الدراسات ويحبسون المرتبات للعلماء بل حرصوا على اقتناء الكتب اللغوية والنحوية وجعلوها في متناول أيدي طلاب العلم ، وبهذا الاهتمام بالعلوم العربية أصبحت القاهرة من أعظم المدن الإسلامية فأخذت تنافس بغداد وقرطبة[1] ، واخذ العلماء المغاربة يفدون إلى مصر فالتقوا بمن كان بها من العلماء وأحدثوا نهضة علمية وأدبية كبرى[2]، وكان أشهرهم محمد بن جعفر القزاز التميمي القيرواني ، فعاصر الوزير بن كلس وخدم العزيز بالله ، عرف بشيخ اللغة وسند الأدب في افريقية ، وقد كلفه الخليفة المعز الفاطمي بأن يؤلف له كتاباً يجمع فيه سائر الحروف ، وقد أنجز القزاز هذا الكتاب ، وكان في ألف ورقة وعندما قرأه الخليفة أعجب به ، وكان له العديد من المؤلفات في اللغة والأدب ، أشهرها : كتاب الجامع في اللغة ، وكان القزاز محبوباً بين العامة ومهاباً عند الملوك والعلماء[3]

ومن بين العلماء الذين سكنوا مصر علي بن عبد الجبار بن سلام بن غيدون الهذلي اللغوي ولد في مدينة تونس سنة (428 هـ/1036م) وكان عالما في اللغة توفي في الإسكندرية سنة (519 هـ / 1125م)[4] . والى جانب هؤلاء العلماء الذين استوطنوا مصر . فقد نرى عددا كبيرا من العلماء رحلوا منها وإليها في طلب العلم حيث وفدوا إليها وأقاموا بها ردحا من الزمن ثم تركوها . ولكنهم تركوا فيها تلاميذ أخذوا عنهم كما أفاد منهم علماء مصر ، نذكر منهم محمد بن عبد الله بن محمد بن

---

[1] قرطبة : تقع على سفح جبل يسمى جبل العروس في وسط الأندلس على الضفة اليمنى لنهر وادي البكير ، وهي أعظم مدن الأندلس ، وهي أحسن مدنها وأوسعها مسالك وأبدعها مباني وفيها أقاليم كثيرة بلغ عددها خمسة عشر إقليماً . للمزيد ينظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص222 .

[2] عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية في مصر ، ص217 .

[3] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج4 ، ص9 ؛ السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ج1 ، ص71 ؛ القفطي ، أنباء الرواة ، ج3 ، ص84 .

[4] القفطي ، اتباه الرواة ، ج3 ، ص292 – 293 .

ظفر المكي حيث ولد بمكة وقدم إلى مصـــر في صـــباه ثم رحل إلى أفريقية وقام بالمهدية مدة طويلة وانتقل بعدها إلى صـــقلية ومنها إلى مصـــر ثم تركها حتى وافاه الأجل في حماة سنة (565هـ/1169م) . كان لغويا أكثر منه نحويا وله العديد من المؤلفات في اللغة[1].

لقد نشـــطت دروس علوم اللغة بمصـــر وكثر عدد علمائها وكثر نتاجهم كما تعددت ألاماكن التي تقام بها الدروس اللغوية في الجامع الأزهر ودار العلم وجامع عمرو بن العاص في مصـــر . ولم تكن القاهرة وحدها مركزاً للدراســـة في مصـــر بل أخذت الإســـكندرية والفســـطاط تزخر بالعلماء والطلاب والمراكز الثقافية[2] . ولم يكن تشـجيع الخلفاء الفاطميين يقتصـر على العلوم الدينية واللغوية وإنما تعدى إلى العلوم الإنسانية والعلمية[3] .

[1] السيوطي ، بغية الوعاة ، ج1 ، ص95 .

[2] حسين ، محمد كامل ، في أدب مصر الفاطمية ، ص92 – 93 .

[3] عطا الله ،خضر احمد ، حياة الفكرية في مصر ، ص293 .

ثالثا - الدراسات الإنسانية :

أ- علم التاريخ :

لعل الشـيء الذي لا اختلاف حوله هو ان بلاد أفريقية شهدت اهتماما بدراسة التاريخ ، فقد عني المغاربة بأخبار بلادهم وتدوينها ، وأخبار رجالاتها ، فقد كان هناك حرص شـديد على تسـجيل وحفظ أخبار البلاد . لذلك نجد أن الحس التاريخي لدى المغاربة نمى مبكراً[1] .

ففي بداية الأمر لم يهتم المغاربة بتاريخ الدولة الإسلامية أو المغازي أو السير او تاريخ المدن كما فعل المؤرخون المشـارقة. إلا ان المغاربة نالوا نصـيبهم من علم التاريخ فكتبوا عن الفتح العربي لبلاد المغرب . ثم اهتم المغاربة في كتاباتهم بالعلماء سـواء كانوا فقهاء أو محدثين[2] . لذا نجد ان الدراسـات التاريخية الأفريقية لم تنفرد بمنهج تاريخي معين وإنما أخذت تساير أسلوب المشارقة في مناهجهم سواء ما جاء على نسق الحوادث أو ما جاء على نسق السنين[3] .

فقد ازدحمت بلاد المغرب في العصـر الفاطمي بعدد كبير من المؤرخين المغاربة ورحل منهم إلى المشـرق عدد غير قليل ، ولعل أول من يأتي ذكره من المؤرخين البارزين في الدولة الفاطمية هو القاضـي النعمان[4] ، الداعي الاكبر الذي لزم كثيراً من ائمة الفاطميين في مطلع دولتهم وكان من اهل العلم والفضـل التقى بالمهدي والقائم والمنصـور واختص بالمعز لدين الله الفاطمي ولازمه حتى جاء الى مصـر فولاه القضـاء فظل قائماً بأصـول الدعوة فعرف بسـعة العلم واطلاعه على

---

(1) حوالة ، يوسف بن أحمد ، الحياة العلمية في أفريقية ، ج2 ، ص345 –346.

(2) التليسي ، بشير رمضان ، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب ، ص478 .

(3) حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في أفريقية ، ج2 ، ص346

(4) القاضي النعمان : أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد المغربي قاضي الديار المصرية ولي الأحكام بعد أخيه أبي الحسن ، مات في مصر سنة (363هـ). اشتهر من اولاده ابو الحسـين علي بن النعمان الذي ولد في القيروان وجاء مع ابيه الى القاهرة وكان قد عمل قاضـياً في عهد العزيز الفاطمي ، اما ولده الاخر عبد الله محمد بن النعمان فعمل في القضـاء ايضـاً . للمزيد ينظر ، الذهبي ، سيرة أعلام النبلاء الذهبي ؛ ج16 ، ص547 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص419 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص147 ؛ كياش ، غنية ياسر ، المكونات الثقافية الاسلامية في الدولة الفاطمية ، ص301 .

العلوم والمامه باصـــول الفقه على المذاهب الاربعة وعلوم القرآن واللغة كما ألم بعلوم القرآن والمنطق والفلسفة له مؤلفات عديدة في الفقه والمناظرة والتأويل والعقائد والسير والتاريخ ، وانه الف بضـعة وخمسـين كتاباً لقي منها حتى اليوم نحو عشـرين كتاباً وضـاع الباقي[1]. وأبرز مصـنفاته هو كتاب افتتاح الدعوة الذي يشـير فيه إلى بداية الدعوة العبيدية في بلاد المغرب[2]، وكتاب المجالس والمسايرات فهو خير ما وصف حياة الخلفاء الفاطميين في الدور المغربي ، فقد ألفه في أيام الخليفة المعز لدين الله ، يحتوي هذا الكتاب على معلومات قيمة عن تاريخ الدولة الفاطمية من لدن شـــاهد عيان معاصـر لأغلب التاريخ السـياسـي والاقتصـادي والاجتماعي والثقافي للدولة العبيدية . الف النعمان العديد من الكتب كان لها الفضـــل في معرفة وجهة نظر الفاطميين في كثير من القضايا السياسية[3].

كذلك كتب سـلسـلة من المصـنفات التاريخية التي تعكس نظرة الفاطميين للاحداث كذلك برز احمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار القيرواني[4] . على الرغم من كونه نال شـهرة كبيرة في مجال الطب والسـيطرة الا ان ذلك لم يثنه عن كتابة التاريخ ، كان من أهم مؤلفاته في التاريخ كتاب أخبار الدولة وهو كتاب

---

[1] كياش ، غنية ياسر ، المكونات الثقافية في مصر ، ص304

[2] حسـن خصـيري ، علاقات الفاطميين ، ص225 . التليسـي ، بشـير رمضـان ، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب ، ص482 ، حوالة ، يوسـف بن أحمد ، الحياة العلمية في أفريقية ، ج2 ، ص355 .

[3] التليسي ، بشير رمضان ، الاتجاهات الثقافية في المغرب الاسلامي ، ص482 .

[4] ابن الجزار : هو أبو جعفر احمد بن إبراهيم بن أبي خالد من أهل القيروان طبيب ابن طيب وعمه أبو بكر طيب وكان ممن لقي إسـحاق بن سـليمان وصـحبه واخذ منه، كان من الحفظ والتطلع ولم تحفظ لـه زلـة في القيروان ، وكـان ينهض في كـل عـام إلى رابطـة على البحر المستنير عاش نيفا وثمانين سنة ومات عشيا بالقيروان للمزيد ينظر ، ابن أبي اصبيعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء ، ص480 – 481 .

تاريخي يعنى ببداية الدولة الفاطمية وظهور دعوتهم بأفريقية وانتشـارها وسـقوط حكم الاغالبة[1].

وأما المؤرخون المغاربة الذين رحلوا إلى مصـر واسـتقروا فيها نذكر منهم عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن القاســم بن خالد بن جنادة العتقي الغرياني الأفريقي الذي توفي في مصر سنة (384 هــ/994م) والذي عاصر الخليفة العزيز بالله[2] . على ان أشــهر وابرز مؤرخي أفريقية في العصــر الزيري ، وإنما في كل عصــور الخلافة الفاطمية هو المؤرخ والأديب إبراهيم الرقيق المعروف بالرقيق القيرواني كانت له شهرة تاريخية فاقت شهرته في الأدب والكتابة ، فهو مؤرخ أفريقي لم يأت من بعده في أفريقية إلا قليل ولرقيق القيرواني العديد من الكتب التاريخية من أهمها كتاب أخبار بني زيري الصنهابي فيه أخبار أمراء بني زيري. وهكذا نجد ان العلوم التاريخية في العهد الزيري بلغت مبلغا كبيرا من الرقي والازدهار والتوسع[3].

ب- علم الجغرافيا :

خلف لنا جغرافيو المسـلمين ثروة كبيرة خلاصــة لمشـاهداتهم التي كتبوها في أســفارهم في كثير من الأقاليم والممالك والبلدان[4]. وذلك لاهتمام المغاربة بعلم الجغرافية إذ اتسـعت رقعة العالم الإسـلامي في العصــر الفاطمي حيث كان الخلفاء الفاطميون يطمحون في التعرف على المسالك والممالك في بلاد المغرب وخاصة ان الفاطميين كان يراودهم حلم السيطرة على العالم الإسـلامي . ومعرفة الطرق المختلفة التي تربط بلاد المغرب من برقة شــرقا إلى المحيط الأطلســي غربا تســهيلا لنقل الجيوش وإخضاع الثورات في حالة الحرب وتحديد طرق الحج والتجار [5].

فكان من أشــهر الجغرافيين والرحالة هو شــمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالمقدسـي . وكان كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ذا قيمة عظيمة

---

[1] حسـن خضـيري ، علاقات الفاطميين ، ص226 ، التليسـي ، بشـير رمضــان . الاتجاهات الثقافية في المغرب ، ص482 .

[2]حوالة ، يوسف بن احمد ، الحياة العلمية في أفريقية ، ج2 ، ص346 .

[3] عطا الله ،خضر احمد ، الحياة الفكرية في مصر ، ص319 .

[4] حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص520 .

[5] التليسي ، بشير رمضان ، الاتجاهات الثقافية في المغرب ، ص482 .

من الناحية الجغرافية والتاريخية . حيث كان المقدسي من المعاصرين للخليفة العزيز بالله الفاطمي[1] ، أما في مجال الجغرافيين المغاربة فنجد أبا عبد الله محمد بن ادريس الحموي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي ولد بسبته سنة (493هـ) رحل الى مصر والشام وأقام فيها طويلا إلا انه تركها متوجها إلى صقلية[2].

أما الناصر خسرو[3] الذي عاصر الخليفة الفاطمي الثامن ، حيث زار مصر في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي وألف كتابا عن مصر بعنوان سفرنامة[4] الذي وصف فيه مصر وصفا دقيقا حيث تناول في ثناياه مدى رخاء مصر في العصر الفاطمي . لقد شاهد الناصر خسرو العديد من المدن العظيمة في بلاد فارس والعراق إلا انه رأى القاهرة قد فاقت غيرها من مدن العالم الإسلامي في العظمة[5].

---

[1] الخربوطلي ،علي حسن ، العزيز بالله الفاطمي ، ص121 .

[2] مصطفى ،محمد كامل ، الشريف الإدريسي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، 1964م، ص35 – 36 .

[3] الناصر خسرو : هو ناصر بن خسرو بن الحارث بن عيسى بن الحسن محمد بن احمد بن موسى بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا العلوي الحسني عمل في عدة وظائف إدارية في خدمة سلاطين الغزنويين ، وكان وزيراً في ساسان ثم اعتزل الاعمال السياسية ومال الى الدين وحج بيت الله واصبح داعياً اسماعيلياً ، ودأب على قراءة آراء بعض الفلاسفة والاطلاع على الأدب وشعر الشعراء العرب والفرس وفي الأربعينيات من عمره قام برحلة واسعة استغرقت 7 سنوات فكانت القاهرة أهم البلدان التي زارها توفي سنة (476هـ) . للمزيد ينظر : التيجاني ، جعفر ، معجم طبقات المتكلمين ، ص258 ؛ عطا الله ، الحياة الفكرية في مصر ، ص325 .

[4] سفرنامة : هو كتاب يعنى بالرحلات قام بهذه الرحلة الشاعر الفارسي ناصر خسرو وهي رحلة تقع حوادثها بين سنة (437هـ) وسنة (444هـ) وهي قبل رحلة ابن جبير يجول صاحبها في بلاد إيران مبتدئا من مرر في خراسان مارا بأذربيجان وارمينيا والشام وفلسطين ومصر والحجاز ونجد وجنوب العراق ثم يعود إلى إيران منتهيا إلى مدينة بلخ في خراسان ولمصر في هذه الرحلة النصيب الأكبر وقد عنى بوصف ما شهد فيها أيام الفاطميين حيث كان ناصر خسرو شيعياً فسره ما رأى من سلطان الفاطميين في مصر . للمزيد ينظر : ناصر خسرو علوي ، سفرنامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة، د.ط، د.ت، ص9 .

[5] عطا الله ، خضر احمد ، الحياة الفكرية في مصر الفاطمية ، ص325 .

وكذلك برز محمد بن يوسف الوارث القيرواني المولد في العصر الزيري شكلت مؤلفاته الجغرافية التاريخية بصـــــمة في تاريخ وجغرافية بلاد المغرب فقد الف كتباً كثيرة ، إلاّ انها ضاعت شأنها شأن الكثير من المؤلفات التي دونها معاصروه[1].

وخلاصـــــة القول في علم الجغرافيا في بلاد المغرب ، أنها تفتقر إلى وجود جغرافيين وان وجدوا فإن شـهرتهم في مجال التاريخ أكثر من مجال الجغرافية . حيث كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية لدى المغاربة هي موضع الاهتمام[2] .

أما علم الفلســفة[3] فلم يكن بأحســن حال في أفريقيا من الجغرافية ، فقد كان المغاربة يكرهون عناء التعمق في التفلسف والتنظير والجدل وهو السبب الرئيس في خلو بلاد المغرب من الفلاسفة[4].

---

[1] حوالة، يوســف بن احمد ، الحياة العلمية في افريقية ، ج2 ، ص340 ، التليســـي ، بشـــير رمضان ، الاتجاهات الثقافية في المغرب ، ص482 .

[2] حوالة ، يوسف ابن احمد ، الحياة العلمية في أفريقية ، ج2 ، ص340 .

[3] علم الفلســفة : هو علم يدرس مضـــامين فكرية وعقلية حول قضـــايا الوجود والعدم والجوهر وقضـايا ما وراء الطبيعة وتفرع علم الفلسفة الإسـلامية على علم الكلام أو علم التوحيد أو علم أصــــول الدين وهو على حجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، وعلم أصــــول الفقه وهو إدراك القواعد التي يتوصـــل بها إلى اســتنباط الأحكام الشــرعية الفرعية من أدلتها التفصــيلية وكذلك الفلسـفة التاريخية التي بدأها فلاسـفة المنهج التاريخي في العالم الإسـلامي المسـعودي واليعقوبي وأنتهت إلى ابن خلدون والمارودي ثم الغزالي أما فلسفة النحو حيث وضع في أصول النحو نظرية فلسـفية وهو علم تأثر منهج المسـلمين الأصـولي : للمزيد ينظر: النشـار ، علي سـامي ، نشـأة الفكر الفلسـفي في الإسـلام ، ط9 ، دار المعارف ، القاهرة ، ج1 ، ص47 – 48 .

[4] عبد الرزاق، مصطفى ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ،بيروت،د.ط، ص30 – 75 .

رابعا : الدراسات العقلية

أ- الطب والصيدلة :

سجلت بلاد المغرب حضورا علميا في الدراسات الطبيعية مما دفع المغاربة بالتقدم والازدهار العلمي وكان لها الاثر في تقدم الدراســـات العقلية فكان ســـبب هذا الازدهار والبزوغ لحركة العلوم الطبيعية هو ان فئة من الاطباء المشـــارقة وفدوا الى بلاد المغرب فنشروا علومهم ومعارفهم الطبية .

ففي مجال الطب نبغ في بلاد المغرب عدد من العلماء الذين اهتموا بهذه الدراسات فمنهم بن الجزار الذي سبقت الاشارة اليه ، حيث تتلمذ ابن الجزار على يد الطبيب المصـري اسـحاق بن سـليمان[1] . وترك ثروة هائلة من كتب الطب قدرت بخمسة وعشرين كتابا كان اشهرها كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر وغيرها الكثير[2] وقد بزغ نجم أسرة الجزار فشغلت بالطب لمدة مائة عام وعاشت في ظل الفاطميين[3] . كما ظهرت في افريقية اسرة العزار التي اشتهرت بالطب في عهد الدولة الفاطمية ، كانت هذه الاسرة يهودية كان أولهم موسى بن العزار[4] المكنى بأبي إبراهيم توفي بعد

---

[1] إسحاق بن سليمان الإسرائيلي : كان طبيبا فاضـلا بليغا عالما مشهورا جيد التصرف عالي الهمة عرف بالإسرائيلي وهو من أهل مصـر ثم سكن القيروان ولازم إسحاق بن عمران وتتلمذ له وخدم اول الخلفاء الفاطميين عبيد الله المهدي وكان إلى جانب معرفته بالطب بصـــيرا بالمنطق ، لم يتزوج ولا أعقب ولدا ، ويورد لي أنه قال "لي أربعة كتب تحكي ذكري أكثر من الولد وهي كتاب الحميات وكتاب الأغذية والأدوية وكتاب البول وكتاب الاستيطان توفي تقريبا سنة (320 هـ) . للمزيد ينظر: ابن أبي اصيبعة ، عيون الانباء في عيون الأطباء ، ص479 – 480 ؛ ابن جلجل ، أبي داود سليمان بن حيان الأندلسي ،الف كتابه سنة(377هـ)، طبقات الأطباء والحكماء ، تح: فؤاد السيد ، ط2 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1985 ، ص87 .

[2] ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص482 .

[3] حوالة ، يوسف ابن احمد ، الحياة العلمية في أفريقية ، ج2 ، ص379 .

[4] موسى ابن العزار : هو موسى بن العازار الإسرائيلي مشهود بالتقدم والحذق في صناعة الطب كان في خدمة المعز لدين الله الفاطمي ، كان جليل القدر عند المعز ، ولموســى بن= =العزار من الكتب الكتاب المعزي في الطبيخ ، ألفه للمعز ، مقالة في السـعال ، كان له أبن يعمل في الطب وهو اسحق بن موسى توفي إسحاق سنة 363هـــ وكذلك عمل في الطب ابنه إسماعيل

سنة (363هـ/973م) في مصر ، عاصر الخليفتين الفاطميين المنصور والمعز لدين الله . زادت شـهرته الطبية في عهد المعز لدين الله الذي اصـطحبه معه عندما غادر المغرب متجها إلى مصـر . فقد عمل في بلاط الخليفة وكان طبيبه الرسـمي . ومن أفراد هذه الأسرة الطبية التي عاشت في كنف الخلفاء الفاطميين سواء في المغرب أو في مصـر هو عون الله بن موسـى بن العزار وهو اكبر أبناء الطبيب موسـى ولقد اعتنق عون الإسـلام والتحق مع والده بالخليفة المعز لدين الله وضـل يعمل في خدمة الخليفة حتى توفي في مصر سنة (363هـ/973م) أي بعد وفاة والده بقليل وظلت أسـرة العزار تعمل في خدمة الخليفة المعز لدين الله إذ برز بن إسـحاق حفيد موسـى بن العزار في الطب[1].

وكذلك برز في العصر الفاطمي الطبيب اعين بن اعين[2] فقد اشتهر في طب العيون واصطحبه الخليفة المعز معه إلى مصر مع جملة من اصطحبهم من الاطباء ، توفي في مصر سنة (385هـ/995م)[3] ونبغ في الطب في عصر الخليفة الحاكم الفاطمي الطبيب منصور بن مقشر النصراني[4] الذي كان طبيب الحاكم الخاص إلا انه توفي سـنة (344هـ/955م) ، ثم جاء بعده في هذا المنصـب أبو يعقوب

بن موسـى وله ابن يدعى عون الدين موسـى للمزيد ينظر : ابن أبي اصـيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص545 .

[1] حوالة ، يوسف ابن أحمد ، الحياة العلمية في أفريقية ، ج2 ، ص379 – 380 .

[2] اعين بن اعين : كان طبيباً متميزاً في الديار المصـرية في أيام العزيز بالله كان له من الكتب منها كتاب في أمراض العين ودوائها للمزيد ينظر : ابن أبي اصـيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص546 .

[3] الدباغ ، معالم الإيمان ، ج3 ، ص154 – 155 .

[4] منصور بن مقشر النصراني : أبو الفتوح منصور بن سهلان بن مقشر طبيبا نصرانيا مشهورا كان طبيب الحاكم بأمر الله ومن الخواص عنده وكان العزيز أيضـاً يسـتطيبه توفي في أيام الحاكم للمزيد ينظر ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص549.

نســـطاس[1] ، حيث كان من أحب الناس إلى الخليفة الفاطمي الحاكم[2] ، وكذلك اشتهر في مصر محمد بن احمد التمي[3] حيث اختلط بالأطباء القادمين من المغرب في صحبة الخليفة الفاطمي المعز وعاصر المعز وابنه العزيز حتى أصبح في خدمته إلا انه توفي سنة (370هـ/980م)[4] .

وعلي بن سـلمان حيث كان طبيباً متميزاً في صـناعة الطب وقد عاصـر كل من العزيز بالله وولده الحاكم ولحق ايام الظاهر لاعزاز دين الله[5] .

اهتم الفـاطميون بـالطـب واخـذوا يقربون الأطبـاء ويغـدقون عليهم من نعمهم وعطاياهم وكانت هذه المهنة في العصر الفاطمي تحتكر في أيدي أهل الذمة[6].

ب- الفلك والتنجيم :

كـان الخلفاء الفاطميون مولعين بـالفلك والتنجيم . فكـان للخلفاء الأوائل ميل شـديد لهذه العلوم منذ قيام دولتهم في بلاد المغرب فنجد الخليفة عبد الله المهدي كان له بصر بعلم النجوم فقد بنى عاصمته المهدية وفق حسابات فلكية[7] . أما المنصور

---

[1] أبو يعقوب نسـطاس : هو اسـحق بن إبراهيم بن نسـطاس بن جريح ، نصـراني فاضـل في صـــناعة الطب كان في خدمة الحاكم بأمر الله، توفي بالقاهرة في عهد الحاكم واســتطب بعده الخليفة الحاكم أبا الحسن علي بن رضوان للمزيد ينظر ، ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص544 .

[2] عنان ، محمد عبد الله ، الحاكم بأمر الله ، ص144 .

[3] محمد بن أحمد التمي : هو محمد بن احمد بن سـعيد التمي أبو عبد الله من أطباء مصـر له مؤلفات كان في خدمة العزيز بن المعز الفاطمي مات في حدود (370 هــ) . للمزيد ينظر: ابن ابي اصــيبعة ، عيون الانباء في طبقات الأطباء ، ج2 ، ص87 ؛ الســيوطي ، حســن المحاضرة ، ج1 ، ص442 .

[4] القفطي ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص74 – 75 .

[5] ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص516 .

[6] حوالة ، يوسف بن أحمد ، الحياة العلمية في أفريقية ، ج2 ، ص385 .

[7] ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص41 .

كان عالما بالنجوم ولكنه غير مؤمن بتأثيرها وكان يقول دائما : "والله ما طلبنا هذا العلم إلا لما يدلنا عليه من توحيد الله جل ذكره وتأثير حكمته في منفعته"[1].

ويذكر القاضـــي النعمان[2] ان اهتمام الأئمة الفاطميين بعلم التنجيم لم يكن وسـيلة لادعائهم الغيب فقد كان المعز لدين الله ماهرا في علوم النجوم بجانب مهارته في علوم الطب والهندسـة والفلسـفة وذكر ان المعز قال : "من نظر في النجامة ليعلم عدد السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار ويعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره"

كما ظهر في المغرب منجمون رحلوا إلى مصر ، وكان منهم أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن العتقي ، كان منجم الخليفة المعز توفي بمصر سنة (385هـ) كان متفقها في علوم عدة غير ان الغالب عليه علم النجوم ، فقد خرج مع الخليفة المعز لدين الله الى مصر مع جملة ممن خرج مع الخليفة من العلماء والأطباء[3].

ج- الرياضيات والهندسة

نبغ في علم الرياضـيات والهندسـة أبو علي بن الحسـن بن الهيثم نشـأ في البصرة سنة (355هـــ/ 965م) . إلا انه انتقل إلى مصر وأقام بها واشتهر بعلمه الواسع في الهندسـة والرياضـة والطبيعة ولاسيما الضـوء[4]. توفي بالقاهرة في حدود سـنة 436 هـــ[5] ، كان غزير العلم واسـع الاطلاع كثير التصـانيف فقد ألف في الهندسة والطبيعيات والفلك والجبر وفي الطب والمنطق[6].

ومن الرياضـــيين الذين عاصـــروا الخلافة الفاطمية نذكر منهم على وجه الاختصــــار رزق الله المنجم النحاس ، كما برع في الرياضـــيات ابو علي بن يونس

---

(1) القاضي النعمان ، كتاب المجالس والمسايرات ، ص131 – 132 .

(2) المجالس والمسايرات ، ص327 – 339 – 533 .

(3) الدباغ ، معالم الايمان ، ج3 ، ص91 – 92 ، القفطي ، تاريخ العلماء لاخبار الحكماء ، ص187 .

(4) حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص504 .

(5) أبي صيبعة ، عيون الأطباء ، ج1 ، ص90 – 91 .

(6) حسين محمد كامل ، في أدب مصر الفاطمي ، ص80 – 81 .

المصري ، وظهر أبو الحسن علي بن سليم ناظر الدواوين في العصر الفاطمي وبرز الحسين بن علي الوزير المغربي[1] .

وظهر في أفريقية فقيه استهواه علم الهندسة والرياضيات هو أبو الطيب عبد المنعم بن محمد بن إبراهيم الكندي توفي سنة (435هـ/1043م) . فقد فكر أبو الطيب في جعل مدينة القيروان مرسى بحريا يجلب إليها الماء من مدينة تونس. ووضع رسالة هندسية توضح هذه الفكرة مما يدل على براعته في الهندسة وحاول فك كتاب اقليدس في الهندسة بذهنه[2] ، وكذلك اشتهر في بلاد المغرب إبراهيم بن عبدون بن غانم بن عبدون ، قال عنه ابن رشيق "إنه كان منفردا بعلم المساحات والأشكال الى جانب شهرته في الأدب"[3].

وخلاصة القول بلغت مصر ذروة الحضارة في زمن الخلافة الفاطمية التي بلغت أكثر من مائتي عام في مصر وكان لكثرة الرحلات التي قام بها العلماء المغاربة إلى مصر وبالعكس أثر في ظهور وحدة الفكرة بين البلدين وارتباطهما بينهما بأواصر وثيقة.

---

(1) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج1 ، ص80 .

(2) حوالة ، يوسف ابن احمد ، الحياة العلمية في أفريقيا ، ج2 ، ص395 .

(3) ابن رشيق ، شعراء القيروان من أنموذج الزمان ،تح: محمد المطوى،د.ط ،تونس ، 1986م، ص23 .



الفصل الثالث

العلاقات الاجتماعية والتأثيرات المتبادلة

أولاً: الهجرات المغربية الى مصر وثأثيراتها الاجتماعية:

عرف العرب مصر قبل ظهور الاسلام وبرزت العديد من الهجرات الى مصر، فجاءت القبائل العربية من شـــبه الجزيرة العربية واختلطوا بأهلها على مر الزمن الأمر الذي مهد الطريق امام عمرو بن العاص(23هـــــ/643م) والجيوش العربية الاسلامية لفتح مصر ورفع رآية الاسلام على ارضها[1] ، ألا ان أكبر الهجرات التي جاءت الى مصر هي هجرة القبائل التي صاحبت الفاطميين[2].

لقد كانت هجرات المغاربة الى مصر قديمة العهد والطريق المغربي الذي يصل بلاد المغرب بمصــــر كان معبرا مفتوحا منذ اقدم العصــــور[3]، إلا ان هجرة المغاربة مع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله(365-341هـــــ) الى مصـــــر عدت من أهم الهجرات[4]، فنجد ان هذة القبائل ادت دورا مهما في تاريخ مصـــــر، وكان للفاطميين اثر لاينكر في هجرة جموع كبيرة من قبائل البربر المستعربة الى مصر[5].

فمن المعلوم ان الفاطميين قد اعتمدوا في تأســـيس دولتهم في بلاد المغرب على هذه القبائل، وكان في جيشـــــهم فرق عديدة من المغاربة لذلك انتقلت جموع منهم الى مصــــر. ولذا تعد مرحلة الهجرات التي صـــــاحبت الدولة الفاطمية مرحلة مهمه في تاريخ الهجرات المغربية الى مصر[6].

انتقلت موجات كبيرة من المغرب واســـتقرت في الجانب الغربي لمصــــر فعندما شـــرع جوهر في وضـــع خطط القاهرة اخذ بعين الاعتبار القبائل المغربية التي كانت تشـــكل جزءا كبيرا من جيشـــه. فقد اختط جوهر لكل قبيلة من قبائل المغرب خطة لها حول القصر[7]. فعندما دخل الفاطميون الى مصر لم يدخلوها دخول الغزاة المنتقمين، وانما كان همهم كســــب اهل مصــــر الى جانبهم فأعلنوا لاهلها الأمان، ولكي يظهر الفاطميون للمصـــريين نياتهم الأكيدة في التقرب اليهم وحتى لايتضـــايق المصـــريون ، فلم يسمح الفاطميون للمغاربة الذين جاءوا معهم بالسكن في مدينة الفسطاط التي كانت آهلة بالســـكان المصــــريين. لذلك كان منادي جوهر ينادي كل عشـــية لكي لايبقى في المدينة احد من المغاربة، فقد قيل انه جلد بعض المغاربة الذين ضـــايقوا المصــــريين،

---

(1) الربطي، ممدوح عبدالرحمن، دورالقبائل العربية في صـــعيد مصـــر منذ الفتح الاســـلامي حتى قيام الدولة الفاطمية واثرها من النواحي الســـياســـية والاقتصـــادية والاجتماعية والثقافية 21-358هـ، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص31 .

(2) زكي ،عبدالرحمن ، الجيش المصــــري في العصــــر الاســــلامي، د.ط، القاهرة، ، 1970م، ص30-31.

(3) المقريزي، البيان والاعراب بارض مصــــر من الاعراب مع دراســـات في تاريخ العروبة في وادي الـــنـــيـــل، تـــح: عـــبـــد الـــمـــجـــيـــد عـــابـــديـــن،TOPDF-wwwahu ostafo.com، ص53-54.

(4) عبدالرحمن زكي، الجيش المصري، ص30-31.

(5) المقريزي، البيان والاعراب، ص53.

(6) المصدر نفسه، ص53.

(7) حسن خضيري، علاقات الفاطميين، ص237.

وفي كثير من الاحيان كان المغاربة يثيرون بعض الاضــطرابات، وبمجيئ المعز الفاطمي الى القاهرة أمر ان يسكن المغاربة خارج مصر فاسكنوهم القاهرة[1].

لم تنعم مصر بالهدوء والاستقرار فقد كانت هناك الكثير من حوادث الصدامات بين سكان القاهرة والفسطاط والمغاربة في بداية حكم الفاطميين لمصر. إلا ان جوهر قام بمعاقبة المذنبين والمجرمين من المغاربة[2]. لذلك لم يندمج سكان القاهرة مع باقي سـكان مصـر فكان يمنع العامة من البقاء في القاهرة وقبل دخول الليل يتوجهون الى منازلهم[3].

ونتيجة لتلك السياسية اصبحت الفسطاط مدينة تجمع عامة الناس والتجار واهل البلد. وفي الوقت نفسه اصبحت القاهرة مدينة الخلفاء وخاصتهم، لذلك حرص جوهر على ان يختط لكل قبيلة مغربية جاءت معه الى مصر حارة تسمى بأسمهم، فقد أنشأ حارة واسعة وعظيمة عرفت باسم القبيلة التي سكنتها وهي قبيلة زويلة[4] التي جاءت بصحبة جوهر الصقلي سنة (358هـ/968م) [5].

وكذلك وجدت حارة قد نسبت الى اشـخاص جاءوا مع الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الى مصـر فعرفت بحارة برجوان[6].فسكن هذه الحارة وعرفت باسـمه[7]، هذا وعرفت القاهرة العديد من الحارات الخاصـة بالخلفاء الفاطميين وجيوشـهم الذين جاءوا معهم من بلاد المغرب [8].فعرفت في القاهرة حارة الجؤذرية وهم طائفة من العسـكر تنتسـب الى الأسـتاذ جؤذر خادم الخليفة المهدي، فقد جاءت هذه الطائفة مع جنود جوهر عند دخوله الى مصـر وكان عددهم مايقارب اربعمائة شـخص واختطوا حارتهم التي عرفت باسـمهم[9] فضــلاعن ذلك جاءت طائفة من العسـاكر مع الخليفة

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص195؛ ماجد ،عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية، ص243-244.

[2] ل. أ. سيمنوفار، تاريخ مصر الفاطمي ابحاث ودراسات، ترجمة حسن بيومي، المجلس الاعلى للثقافة، موسكو، سنة 1974، ص223.

[3] المقريزي، الخطط، ج2، ص20.

[4] قبيلة زويله: زويله ضاحية من ضواحي مدينة المهدية سكنها جنود الخليفة عبيدالله المهدي من الرعية والسودان اهلها قوم مسلمون اباضـية وزويلة ارض نخيل ومزارع ذرة ،وبها اخلاط من اهل خرسان ومن البصـرة والكوفة فضـلاً عن اهلها الاصـليين من البربر . للمزيد ينظر: البكري، المسالك والممالك ، ص30؛الحميري، الروض المعطار، ص295 .

[5] ناصـر خسـرو، سـفرنامة، ص99؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص4؛ الطيار، هيفاء عاصـم، مدينة القاهرة، ص289.

[6] برجوان: هو ابو الفتوح برجوان الصـقلي خادم الخليفة العزيز بالله ، ثم اصـبح مدبر مملكة الحاكم بأمر الله قتل عشية يوم الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الاخر وقيل بل قتل في منتصف جمادي الاول في سنة 390هــ في قصر القاهرة بامر الحاكم ضربه ابو الفضل ريدان الصـقلبي صـاحب المظلة في جوفه بالسـكين فمات من ذلك للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص270؛ ابن الصـيرفي، الاشـارة الى من نال الوزارة، ص37؛ ابن تغري البردي ، النجوم الزاهرة، ج4،ص52.

[7] المقريزي، الخطط، ج2، ص5؛ ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص48.

[8] ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة ، ج4، ص51.

[9] المقريزي، الخطط، ج2، ص3؛ ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة،ج4، ص51.

المعز لدين الله فاختط لهم حارة خاصة لهم عرفت بالوزيرية حيث نسبت هذة الطائفة الى الوزير يعقوب بن كلس حيث اختط لهم حارة كبيرة كانت تعرف سابقا بحارة الأكراد [1].اما قبيلة كتامة فهي أيضا هاجرت مع جيش جوهر الصقلي فكان لها الدور البارز في قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب كما اشرنا لها سابقا، واختط لهم حارة عرفت بحارة كتامة [2] .

الى جانب ذلك جاءت طائفة من المغاربة خطط لهم حارة عرفت بالباطلية وكان سبب هذة التسمية هو ان المعز لدين الله الفاطمي عندما قسم العطاء بين الناس جاءت هذة الطائفة متأخرة ولم يصببهم شيء فقالوا:" رحنا نحن في الباطل فسموا الباطلية "[3]. كذلك سكن القاهرة طائفة من عساكر جوهر وهم من اهل برقة إذ حضر عدد كبير منهم مع جوهر الى مصر فاختط لهم حارة باسم البرقية[4] هذا فضلاعن حارة اليانسية المنسوبة الى طائفة من عسكر ابي الحسن يانس الصقلي وهو من خدام الخليفة العزيز بالله(365-386هـ) . إلا ان هنالك من ينسب هذه الحارة لابي الفتح ناصر الجيوش يانس الارميني[5] وزير الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ) وهذه الحارة تقع خارج القاهرة من جانب الجنوب الشرقي[6]. ومن جملة المغاربة الذين هاجروا الى مصر هي قبيلة المصامدة وهم كذلك طائفة من جند الخلفاء الفاطميين حيث اختطت حارتهم في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (386-411هـ) في عهد الوزير المأمون البطائحي[7] .

هذا ولاننسى ذكر ما جاء الى مصر من جنود مع جيش جوهر، اذ كان جنود الروم جزءاً من جيشه، وكذلك السودان الذين توافدوا الى مصر منذ ان فتحها القائد جوهر وكان عددهم يقدر بخمسين الف لذلك حرص جوهر على ان يختط لهم حارة عرفت بحارة المنصورية وهي تقع خارج السور الجنوبي للقاهرة[8] وكذلك جاءت قبيلة بني سوس التي تنسب اليهم حارة بني سوس[9].

---

[1] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، 402؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص5.

[2] ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص46؛ الطيار ،هيفاء عاصم، مدينة القاهرة، ص300.

[3] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص402-403؛ ابن دقماق، ابراهيم بن محمد المصري، (ت809هـ)، الانتصار لواسطةعقد الامصار، تح: جمال الدين، القاهرة، ج4، ص37؛ ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة، ج4، 409؛ حسن خضيري، علاقات الفاطميين، ص239؛ الطيار ،هيفاء عاصم، مدينة القاهرة، ص301.

[4] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص403؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص12.

[5] يانس الارميني: ابو الفتح يانس الحافظي كان اميرا للجيوش ثم وزيرا للخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي للمزيد ينظر: المقريزي، الخطط، ج2، هامش رقم 1، ص287.

[6] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص409-410؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص66؛ سلطان، عبدالمنعم عبدالحميد، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية، د. ط، دار الثقافة العلمية، سنة 1999، ص24.

[7] ناصر خسرو، سفرنامة، ص52.

[8] المقريزي، الخطط، ج2، ص16 .

[9] المصدر نفسه، ج2، ص19.

ويجدر بنا ان نذكر الموظفين المغاربة الذين جاءوا الى مصـــر مع الخليفة المعز لدين الله فقد اختط لكل جماعة منهم حارة خاصـــة بهم داخل مدينة القاهرة حيث كـانـت القـاهرة دار الخلافـة قـاصـــرة على الخلفـاء الفـاطميين وحريمهم وجنودهم وحاشـيتهم وظلت القاهرة منزل الملوك فلا ينزل بها إلا الخليفة وعسـاكره وخواصـه الذين شرفهم بقربه[1] .

لقد حاول جوهر الصـقلي جاهدا ان يتخذ من القاهرة سـكنا وحصـنا خصـصـه للمغاربة انصار الفاطميين القادميين معهم الى مصر لكي يتجنب ما قد يقع بين هولاء المغاربة والسـكان الاصـليين المصـريين من صـراعات واعمال العنف والاختلافات والاضطرابات في الوقت الذي كان مركز جوهر في مصر لم يتوطد بعد [2] .

تعددت عناصـــر السـكان في مصـــر واختلفت اجناســهم واطوائفهم خلال حكم الفاطميين لهم. الا ان هذه العناصـــر المتعددة قد انصـــهرت مع الوقت في الحياة المصرية، وتأثرت بتقاليد المجتمع المصري، فاصبح الجميع ينتسبون الى مصر حتى الخلفاء الفاطميين انفسهم غلب عليهم تسميتهم بالمصريين[3] .

قســم المؤرخون المجتمع المصـــري الى عدة طبقات الا ان ما قدمه المقريزي افضل التقسيمات واقربها الى الصحة للبناء الاجتماعي فذكر ان الناس في اقليم مصر مقسم الى سبعة اقسام الاول اهل الدولة والثاني اهل اليسر من التجار والثالث الباعة متوسطي الحال من التجار ثم القسم الرابع اهل الزراعة والقسم الخامس الفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من الاجناس والقســم الســادس ارباب الصـــناعة واصحاب المهن والسابع والاخير ذوي الحاجة والمساكين[4].

وكان المجتمع المصري يتألف من عدة طوائف وعناصر مختلفة ادى هذا الى اندماجها في مجتمع متميز عاشت كل منها ضمن أطر معينة [5].الا ان المغاربة ظلوا عنصـــرا مرموقا في ذلك المجتمع طوال الحكم الفاطمي. فكان اندماج المغاربة مع ســكان مصـــر يكاد يكون معدوما خلال فترة حكم المعز لدين الله وذلك رغبة منه في بقـاء الجنـد المغـاربـة وحـدة لاتتفكـك، وكـذلـك لاختلاف المـذهـب بين المغـاربـة والمصـريين[6] ،فقد كانت طائفتا الشـيعة والسـنة من السـكان الاسـاسـين في المجتمع المصري ناهيك عن اهل الذمة من النصارى واليهود [7] .

---

[1] المصدر نفسه ، ج1، ص348.

[2] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص240.

[3] ابو شـامة، عبدالرحمن بن اسـماعيل بن ابراهيم بن عمان (ت665هــــ)،الروضـين في اخبار الدولتين، تح: محمد حلمي احمد، القاهرة، د.ط، ت1962، ج1، قسـم2، ص231؛ ابن شـداد، بهاء الدين ابو المحاسن (ت632هـــ)،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، د.ط، ت1914، ص36-40.

[4] اغاثة الامة ، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، د.ط، ت1957، ص72-73.

[5] ايوب ، ابراهيم رزق الله ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ج2، ص31.

[6] حسن خضيري، علاقات الفاطميين، ص242.

[7] ايواب ، ابراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ج2، ص16-17.

كانت القبائل المغربية في مصر تأتي في المرتبة الثالثة في المجتمع المصري[1] واشتركوا في المناصب الادارية العليا بقصد زيادة القبضة الفاطمية على البلاد[2] ،فقد انخرط بعض المصريين في صفوف الجيش الفاطمي لمقاومة غزوة ابي ركوة المغربي الذي ذكر سابقا واقتصرت معارضتهم على العناصر الاخشيدية الباقية وهذا ما يؤكد تأييد الشعب المصري والتفافه حول الحكام الفاطميين[3].

وبخلافة العزيز بالله الفاطمي بدا التخفيف من الاعتماد على المغاربة والتقليل من شأنهم وذلك لكي يكسب رضى المصريين واعتمد في حكمه على اهل الذمة لتسيير شؤون الدولة[4]

وفي خلافة الحاكم بأمر الله زادت شوكة المغاربة في مصر حيث سيطر على امور الخلافة زعيم قبيلة كتامة التي كانت في مصر هو الحسن بن عمار[5] الذي تسلّم مهام الوزارة في سنة (386هـ)، فسيطر على شؤون البلاد واستبد بالامر مستغلا صغر سن الخليفة الحاكم حيث عمل على رفع الكتاميين الى اعلى المناصب وقدم المغاربة على سائر الناس ووزع عليهم العطاء وحط من قدر الاتراك والديلم، فازداد طغيانهم واستهزائهم بالشعب المصري فكثر عيثهم وسلبوا الناس ثيابهم[6].

وخلال حكم الخليفة الحاكم بامر الله حدثت فتنة اصطنعها المغاربة خلال صراعهم مع الاتراك، وكثر عبث المغاربة في مصر فكثرت الشكايات من اعمالهم واشتبكوا مع الاتراك فانتصروا على المغاربة وهرب زعيم قبيلة الكتاميين ابن عمار من القاهرة الى الفسطاط تاركا داره واصطبلاته عرضة لاعمال النهب[7].

ازداد العداء ضد المغاربة وذلك بسبب التناقضات بين الكتاميين والخلفاء الفاطميين من جهة وبينهم وبين الاتراك والمصريين من جهة اخرى. وقد اذكى هذا العداء استقلال الدولة الزيرية في بلاد المغرب محاولة خلع الطاعة للخلافة الفاطمية وعليه أُستبعد المغاربة عن المراكز الادارية الفاطمية وحل محلهم المصريون واهل

---

(1) ايواب ،ابراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ج2، ص17.

(2) عبدالمنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية، ص291.

(3) ايوب،ابراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ج2، ص156.

(4) المرجع نفسه ،ج2،ص33.

(5) الحسن بن عمار: ابو محمد الحسن بن عمار بن ابي الحسين زعيم كتامة، تولى ادارة امور الدولة لما افضت الخلافة الى الخليفة الحاكم بامر الله في سنة (386هـ) وقال له الخليفة "انت اميني على دولتي ولقبه وكناه" نظر في امور الدولة الى ان جرت فتنة بين المغاربة والاتراك في سنة (387هـ) فاعتزل النظر ولزم داره قتل في شوال سنة (390هـ) في اسطبل الطارمة وهي بيت من الخشب كان بجوار القصر الكبير اتجاه باب الديلم من شرقي الجامع الازهر للمزيد ينظر: المقريزي،الخطط، ج2، ص311؛ ابن الصيرفي، الاشارة الى من نال الوزارة،ص37.

(6) ابن ميسر، اخبار مصر، ص179؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص36.

(7) ابن منجب الصيرفي ،الاشارة الى من نال الوزارة ،ص56،المقريزي ،المقفى الكبير ، ص371.

الذمة ووقفوا بوجه المغاربة وحاولوا ابعادهم عن الادارة على الرغم من الاختلاف المذهبي مما ساعد على زيادة دور المصريين في الدولة الفاطمية [1] .

هذا ولابد من ذكر مدى تأثير المغاربة على الحياة المصـــرية ومدى تأثيرهم بها . فقد تركوا بصماتهم على المجتمع المصـري عامة والاسكندرية خاصـة.فكان التاثير والتاثر متبادلا بين بلاد المغرب ومصـر فان مسـار هذا التيار من الشـرق الى الغرب والعكس فانه يخضع لعدة عوامل كان اهمها ضخامة حجم الجالية المغربية في القاهرة واسـتقرارها في ريف ومدن مصـر، وتملك المغاربة الكثير من الدور والضـياع وما كان يعطى لهم من العطايا الممنوحة من قبل الخليفة الفاطمي انذاك .هذا ما يدل على متانة وتميز مكانتهم الاجتماعية في مصـــر، واخذت الجالية المغربية تنتشـــر وتختلط مع المصريين عن طريق العلاقات اليومية والاحتكاك المباشر والمنفعة المتبادلة[2].

ثم اخذ المغاربة يمتزجون امتزاجا عميقا ذابت فيه خصـــائص البربر الخشـــنة وتحولوا الى جزء من كيان المجتمع المصـري الذي ارتبط بهم على مر العصـور[3] فكما ذكر ســـابقا كانت هنالك بعض الحارات والدروب والازقة في مدينة القاهرة ترتبط باسماء المغاربة .

ونجد ان الكثير من المغاربة قد طاب لهم الاســـتقرار في مدينة الفســـطاط والاسـكندرية واحتفظت المدن المصــرية باسـواق تحمل اسـماء مغربية مثل سـويقة المغاربة ، وسـوق بربر بالفسـطاط، وسـوق المغاربة بالاسكندرية وهو اشـهر اسـواق الاسكندرية الى عهد قريب فأقيم بقلب المدينة. وفي تلك الاسواق كانت تعرض بعض انواع الثياب والفرش المغربية من الملاحف والاخفاف الفاســـية الطراز والبســـط الصوفية بانواعها[4].وكان من اشهر تجار مصر وانشطهم في تلك الفترة هم المغاربة [5].

ومن الشـواهد التي تؤكد الصـلات الاجتماعية بين المغاربة ومصـر هي وجود بعض الاضــرحة لأولياء الله الصـــالحين في بقاع متفرقة من انحاء مصـــر وخاصـــة الاسـكندرية فنجد الكثير من المغاربة والاندلسـيين اسـتقروا في الاسـكندرية واتخذوها وطنا ثانيا لهم ونذكر منهم ابو العباس المرسي[6] وضريحه في الاسكندرية ، والشيخ

---

[1] ماجد،عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية، ص291-293.

[2] حسن خضيري، علاقات الفاطميين، ص 242.

[3] المرجع نفسه ، ص256.

[4] سعد زغلول ، الاثر المغربي والاندلسي في مجتمع الاسكندرية،مجموعة محاضرات القيت في ندوة كلية الاداب، مجتمع الاسكندرية عبر العصور، سنة1973، ص209.

[5] حسن خضيري، علاقات الفاطميين، ص248.

[6] ابو العباس المرســـي: ابو العباس احمد بن عمر بن محمد الشـــيخ علي الخزرجي الانصـــاري المرسي البلنسي، ينتهي نسبه الى الصحابي الجليل سعد بن عبادة كبيرالانصار وسيد الخزرج، ولد ابو العباس سنة(616هـ) في مدينة مرسية احد مدن بلنسية بالاندلس واليها نسب ابوالعباس وفيها قضـى طفولته وتلقى علومة الاولى ذهب الى تونس وتعلم على يد= =الشيخ ابي الحسن الشاذلي بعدها رحل الى الاسكندرية فاستقر فيها 43سنة ينشرالعلم ويهذب النفوس ويضرب المثل بورعه وتقواه الى ان انتقل الى جوار ربه في ذي القعدة ســـنة (685هـــــ)، دفن في الاسـكندرية في مقبرة باب البحر واصـبح قبره منذ ذلك الوقت مقصـدا للزوار للمزيد ينظر:

طنطا المغربي السيد البدوي المتوفى سنة (675هـ/1276م)، وسيدي الطرطوشي، وسيدي الشاطي، وسيدي جابر. وهذا ما اكد مدى العلاقات بين المصريين والمغاربة خلال القرن الخامس الهجري على وجه الخصوص[1].

والى جانب ذلك مازال في الاسكندرية عدد من الشواهد التي تدل على الاثر المغربي في المجتمع المصري ومن تلك الشواهد هو استخدام المصريين نون الجمع بالنسبة للمفرد و المتكلم في اللهجة الاسكندرية مثل ناكل ، نشرب ،نروح بدلا من:" اكل واشرب واروح" [2]

وكان المغاربة متميزين باسمائهم التي تشير الى الاصل البربري مثل سعدون، حمدون، خلدون، زيدون وكذلك الاسماء الشائعة مثل عبود، حسون، علوش فكان من الطبيعي ان تعرف هذة الاسماء طريقها الى المجتمع المصري كتاثيرات مغربية[3].

وقد امتد التاثير المغربي في الحياة الاجتماعية بمصر حتى على انواع الطعام حيث انتشرت اشهر الماكولات المغربية في مصر ومن هذه الاكلات هي الكسكسي التي تعد من الاطعمة الاساسية في بلاد المغرب ،الى جانب هذا عرف المصريون المحمصة التي تصنع على شكل حبات كروية صغيرة الحجم اقل حجما من حبة الحمص[4] كذلك من الاطعمة المغربية التي اشتهرت في مصر المروزية التي كانت تعرف هذه الاكلة بانها اطعمة افريقا والبلاد المصرية، وكذلك من الاطعمة المغربية الشائعة هي الزلابية التي تعرف الى الان في بلاد المغرب ومصر وكذلك الدودية او الشعرية وهي بمثابة الكنافة عند المصريين وياكلها المصريون في التاسع من محرم [5] وتصنع هذة الاكلة على شكل حبات خيطية في حجم حبات الشعير. وكان ممن يختص في بيع هذه الاكلات في مصر هم رجال ونساء من المغرب[6]

لقد كانت مدن بلاد مصر وبالاخص الاسكندرية تعج بالكثيرين من اهل المغرب النازحين في المدينة او الوافدين في طريقهم الى الحج او التجارة او طلب العلم وهم يرتدون زيهم الخاص بهم من البرانس[7] المخططة او البيضاء ذات غطاء الرأس

الصفدي ،الوافي بالوفيات ،ج7 ، ص173 ؛ المقري ،احمد بن مقري التلمساني ،نفح الطيب من غصن الاندلس ،ج2،ص166؛الشيال جمال الدين ، اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، الاسكندرية، سنة 2001، ص193-212.

[1] الشيال ، جمال الدين ، اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي، ص171-173؛ سعد زغلول، الاثر المغربي في المجتمع الاسكندري، ص209.

[2] سعد زغلول، الاثر المغربي ، ص209.

[3] حسن خضيري ، علاقات الفاطميين ، ص248.

[4] سعد زغلول، الاثر المغربي، ص210.

[5] ابن ابي الدينار، المؤنس، ص289.

[6] سعد زغلول، الاثر المغربي، ص210 .

[7] البرانس: وهي كلمة فرنسية (burnous) وتعني رداء او ثوب رأس ملتصق به،وهو كل ثوب رأسه منه متصل به سواءأ كان دراعة ام ممطراً أو جبة ،وهو لباس خارجي كان يشكل زياً شعبياً منذ القدم في بلاد المغرب توارثته الاجيال وتواصل لباسه حتى اليوم ذات الوان بيضاء ام سوداء ويعد لباسا صوفيا استعمل في فصل الشتاء للوقاية من البرد والمطر كما استعمل في بعض المناطق في كل الفصول او على مدار السنة كان يعد اشارة او علامة مميزة لطوائف من البربر كانوا يمتهنون التجارة او الزراعة وتشربوا للثقافة اللاتينية فهولاء تميزوا على

المدبب [1]. هذا وان السراويل التي اشتهرت فيها الاسكندرية مقتبسة من لباس اهل المغرب، حيث قيل ان السراويل من لباس البربر ويتجلى الاثر المغربي في مدينة الاسكندرية بوجود زنقة الستات وهي ما تعنى الشارع في اللهجات المغربية [2].

هذا ولم يستقر المغاربة فقط في المدن وانما اخذوا ينتشرون في قرى مصر ومنها قرية بني شهلان بالبهنساوية[3]وتعود نسبتها الى شهلان احد فروع قبيلة لواته[4] البربرية، وقرية اهريت التي صارت تابعة لمركز بني فازار، وقرية نوبردة دلص التابعة لمركز بوش محافظة بني سويف وهي تابعة جميعها الى فروع قرية لواته المغربية الشهيرة[5] .

اما قبيلة هوارة المغربية فيذكر المقريزي ان اصل ديارهم من اخر عمل سرت الى طرابلس جاءت منها طوائف الى مصر واستقروا باقليم البحيرة في العصر الفاطمي من الاسكندرية غربا الى العقبة الكبيرة في برقة ثم نزحت هذه القبيلة الى

جيرانهم بلباس برنس له غطاء رأس بينما عرف الصنف الاخر من البربر باسم البتر لارتدائهم برنسا مبتور الرأس أي دون غطاء رأس وكانوا هولاء بدوا بعيدين عن تأثير الثقافة اللاتينية وهناك رأي اخر لتفسير البتر بانهم سموا كذلك لتجردهم من زي معين يعرف بالبرنس، وكلمة البرانس قد عنيت في الازمنة القديمة طاقية بينما في العصور الحديثة أشير الى انها معطف ضخم له قلنسوة ولم يقتصر لباس البرنس على سكان المغرب فحسب بل امتد وانتشر الى المشرق في العصر العباسي حيث اتخذ لباسا مميزا للذين يخرجون على الدولة اضافة الى ذلك كان البرانس يشكل لباسا خاصا عند اليهود واطلق عليه اسم براطيل كما شاع لبسه عند النصارى وكان البرانس المشرقي يختلف تماما عما عرفه اهل المغرب اما في الصعيد فيقال له البرنوس وتستعمله النسوة= =الكبار خصوصا بني عدي وما حولها وكان المماليك في مصر يرتدون الربنس فوق ثيابهم، كذلك كان الاندلسيون يرتدون البرنس الذي له لوزة مفرغة في خالص البتر مرصعة بالجوهر وقيل انه رداء ذو كمين يلبس بعد الاستحمام للمزيد ينظر: الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج4، ص108؛ ابن سيده، المخصص، ج4، ص81؛ دوزي ، رينهارت، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب، تح: اكرم فاضل،بغداد،مطبعة وزارة الاعلام العراقية،1971، ص66-70؛ العبادي ، عبدالحميد ، المجمل في تاريخ الاندلس، القاهرة، 1958،د.ط، ص32؛ ابراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لاسماء الملابس، دار الافاق العربية، ط1، القاهرة، 2002، ص60-62.

[1] سعد زغلول، الاثر المغربي، ص 211.

[2] حسن خضيري، علاقات الفاطميين، ص253.

[3] البهنساوية: نسبة الى مدينة بمصر تعرف البهنسا وهي مدينة من الصعيد الادنى غربي النيل. وهي عامرة بالناس جامعة لامم شتى ومن هذه المدينة الى مصر سبعة ايام، بظاهرها مشهد يزار يزعمون ان المسيح وامه اقاموا به سبع سنين للمزيد ينظر:الحميري، الروض المعطار ،ص114.

[4] قبيلة لواتة:هم من بني لواته الاصغر بن لواتة الاكبر بن رحيك بن مادغش الابتر ابن البربر وقيل انهم من ولد بربر بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام ،من امراة تزوجها من العماليق ،بفلسطين وانه اخو هوارة ومزاتة وزناتة ،وهم من اكبر قبائل البربر واكثرهم بطوناً ومنهم في بلاد المغرب الخلق الذين لايحصون وبالديار المصرية وبالاعمال البهنساوية من الوجهة القبلية وبالجيزة ،للمزيد ينظر :القلقشندي ،قلائد الجمان في تعريف بقبائل عرب الزمان ،تح: ابراهيم الابياري ،ط1،دار الكتب الاسلامية المصرية، القاهرة ، سنة 1982م ، ص172-175.

[5] المقريزي، البيان والاعراب، ص54-55.

صعيد مصر واخذوا يسيطرون على البقاع التي استوطنوها فعظم امرهم واشتد بأسهم فاستقرت طائفة منهم وأخذت تشتغل بالزراعة [1]

[1] البيان والاعراب، ص58؛ ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص156.

ثانيا: الهجرات المصرية الى بلاد المغرب وتاثيراتها الاجتماعية:
((الهجرات الهلالية الى بلاد المغرب))

تعد الهجرات الهلالية الى المغرب العربي فاتحة لعهد جديد في حياة بلاد المغرب إذ امتزج العنصر البربري بالعنصر العربي وتكون من ذلك نسيج اجتماعي متين طغت عليه الصفة العربية ، فقد سارت القبائل العربية من صعيد مصر متجهة الى برقة واخذوا يرغبون اخوانهم بشـرقي الصـعيد بالهجرة الى بلاد المغرب[1] . فكانت هناك اسـباب مباشـرة واخرى غير مباشـرة ،فتذكر المصـادر التاريخية ان السـبب المباشـر لانطلاق جحافل العرب البدو المسـتوطنين في شـرقي النيل ضـد افريقية [2]،هو النزاع الذي كان قائما بين صـحاب القيروان المعز بن باديس(406-453هـ) مع وزير الخليفة الفاطمي الحسن بن علي اليازوري و التي ترتب عليها قطع العلاقات السياسية والمذهبية للخليفة الفاطمي في مصر سنة (435هـ/1043م) [3] ،اما الاسـباب غير المباشـرة التي دفعت الفاطميين الى نقل القبائل الهلالية الى افريقية فهي الازمة الاقتصادية التي وقعت في مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله ،فان تزايد اعداد العرب الهلالية في مصـر عن طريق الهجرات المسـتمرة اثر على الحياة الا قتصـادية للفاطميين كما اثر على الهلاليين انفسـهم فرغبوا في الخروج من الحوض الشـرقي بمصـر الى بلاد المغرب[4] اسـتوطنت القبائل الهلالية المناطق الخصبة من مدينة برقة مثل درنة[5] واجدابية إلا أن معظم سكان هذه البلاد اهل زرع و استقرار وعمران فلما دخل عليها العرب كانوا بدوا لم يعرفوا الاستقرار وكانوا قد تمرسـوا باعمال الغارة والغزو والسـلب والنهب مع القرامطة[6] . فعندما نزلوا في

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص65.

[2] جورج مارسية، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق، ص222.

[3] ابن الاثير، الكامل، ج9، ص566؛النويري،نهاية الارب، ج24، ص210؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص419؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص12؛ابن تغري البردي ،النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص51.

[4] الكعبي ،هاشم ناصر ،المنصور الموحدي ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1994،ص57-58.

[5] درنة: موضـع بالمغرب قرب انطابلس وهي من عمل باجة، قتل فيها زهير بن قيس البلوي وجماعة من المسـلمين وذلك في سـنة (76هـ) للمزيد ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج2، ص452.

[6] القرامطة: لغة كلمة معناها القرمطة بالخط دقة الكتابة وتدني الحروف والسـطور وقرمط الكاتب اذ قرب بين كتاباته وقيل قرمط الرجل في خطوته اذ قرب ما بين قدميه. اما اصطلاحا فالقرامطة هم فوم ظهروا بسواد الكوفة سنة (287هـ) كان ابتداء امرهم قدوم رجل من ناحية قوزخستان الى سواد الكوفة كان يظهر الزهد والتقشف ويأكل من كسبه ويكثر الصلاة زاهدا في الدنيا يدعو الى الامامة من اهل بيت الرسـول وتباينت اراء المؤرخين في اصـول حركة القرامطة وانقسـمت حركة القرامطة الى اربع فرق حركة سـواد الكوفة (قرامطة العراق) وحركة قرامطة البادية وحركة قرامطة البحرين واليمن للمزيد ينظر: الطبري، ابو جعفر بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك، ج10، ص23؛ الزبيدي، تاج العروس، ج5، ص204؛ حسن

الصعيد لم يعرفوا من اساليب التعامل مع الزرع واهل المدن المستقرين الا السلب وفرض الاتاوة والغارات [1] ، ضمت الهجرات الهلالية التي ارسلها الخليفة المستنصر الفاطمي الى بلاد افريقية عدداً من القبائل مندرجين في هلال والاثج و كانت الرئاسة في هاتين القبيلتين[2]، هذا وكان اول من وصل من الهلالين الى بلاد افريقية هم الامير رياح مؤنس بن يحيى الغنزي كان ذلك في سنة 443هـ/1051م، ثم اقتسم العرب بلاد المغرب في سنة (446هـ/1054م) [3] وقيل ان المستنصر بالله(487-427هـ) لما بعثهم اعطى لكل رجل من الهلاليين بعيرا ودينارا وسمح لهم بعبور النيل واذن لهم بالمسير الى امير افريقية الذي خرج عن طاعة امير المؤمنين[4]. ولما بعث المستنصر العرب الى افريقية جعل لمؤنس بن يحيى ولاية القيروان وباجة[5] واعطى قبيلة زغبة طرابلس و برقة وقابس وجعل للحسن بن مسرة ولاية القسنطينة[6].

احتل العرب مدن مفتوحة واستطاعت القيروان المحصنة ان تقاوم هجمات العرب الا ان الحياة فيها اصبحت صعبة جدا وبات من المستحيل زراعة الارض بها وتمويل الاسواق[7] وانزلوا بافريقية خرابا بالغا كان له أكبر الاثر في تاريخ المغرب[8].

فقد ذكر العديد من المؤرخين ما بين قدامى ومحدثين السلب والنهب الذي طال بلاد المغرب على اثر غزو العرب الهلاليين الا ان هذا الغزو الهلالي لم يكن شرا خالصا بل كان شرا جاء فيه خير كثير فقد غير بنو هلال التكوين البشري لا فريقية والمغرب الاوسط ثم وصلوا الى المغرب الاقصى.[9] نجد ان اعمال النهب تتلاشى عن بلاد المغرب رويدا رويدا ثم يحدث النمو ويتقدم العمران وياخذ البربر من هولاء العرب الكثير[10].

بزون، القرامطة بين الدين والدولة، دمشق، سنة 1997، ص14؛ سليمان سليم، القرامطة نشائتهم وعقائدهم، ط1، بيروت، 2003، ص125-135.

(1) الانصاري ، احمد بن الحسين النائب، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الاعيان، ص 25 .

(2) المرجع نفسه، ص54.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص65-66.

(4) سعد زغلول، تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص443.

(5) باجة: بلد بافريقية تعرف بباجة القمح،سميت بذلك لكثرة حنطتها بينها وبين تنس يومان وهي كثيرة الانهار تقع على جبل يقال له عين الشمس فيها عيون الماء العذب وهي كثير الامطار والانداء وقيل انها من عهد عيسى عليه السلام للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص314.

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص65-66.

(7) جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص224.

(8) مؤنس ، حسين ، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص177-178.

(9) المرجع نفسه، ص 178.

(10) الانصاري، نفحات النسرين، ص26.

حيث قدم هولاء العرب خدمات كبيرة بالنسبة لعروبة المغرب وأضعفت جموعهم قوى القبائل الزناتية التي كانت تحاول السيطرة على المغرب بالقوة والعنف، فانتشر الهلاليون في كل نواحي البلاد الممتددة الى المغرب الاقصى وسكنوا السهول والجبال والسواحل وصاهروا الناس فكان عملهم هذا اكمالا لتعريب المغرب فتحولت بذلك بلاد الجريد[1] في تونس وبلاد المغرب الاوسط الى بلاد عربية اسلامية خالصة تتكلم العربية و كأنها جزءا من العالم العربي[2] .

فمنذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري بدأت قبائل بني هلال تاخذ مكانها بطريقة اكثر وضوحا ورسوخا في الدولة الحمادية في المغرب الاوسط التي كان لها النصيب الاكبر، وكان لهذا الزحف العربي اثره الكبير على الحياة الاجتماعية في هذه الدولة للعنصرين البربري والعربي حيث كان من اهم نتائجها التي اسفرت عنها على بلاد بني حماد تغير اللسان البربري حيث اثرت لغة التخاطب العربية لقبائل بين هلال في اللسان البربري الذي كان من قبل طاغيا على اللسان العربي في الارياف والمدن فمن البديهي ان هذا التأثير الحضاري لم يكن الا بالاحتكاك والاختلاط بكل الوسائل المعروفة[3].

فيمكننا القول بان العنصر العربي المتمثل بالقبائل الهلالية شكل منذ دخولها دولة بني حماد طبقة متميزة من طبقات الدولة الحمادية لها شخصيتها الثقافية والاجتماعية المتميزة من لغة وعادات وفكر،ويعد دخول الهلاليين فتحا اجتماعيا جنسيا نجح اصحابه في فرض عاداتهم وثقافتهم وتقاليدهم ولغتهم على البربر بعد بضعة أجيال[4] .

ولولا الهلاليين لما كان المغرب عربيا على الصورة التي نراها اليوم [5]. وان ظهور العرب على ارض بني حماد لم يأخذ مظهر الكارثة فقد اعتقدوا كما اعتقد بني زيري من قبلهم ان الاتفاق ممكن والتعاون مفيد[6].

فضلاً عن الدور البارز الذي قامت به القبائل الهلالية في الدفاع عن افريقية ومدن الساحل ضد الغارات التي كانت تقوم بها النصارى المتمثلة في النورمان لذلك أدرك خلفاء الموحدين القيمة والدور التي كان يقوم به قبائل العرب الهلاليين، حيث حرصوا على توجيههم للجهاد معهم في الاندلس، وقد ابلى ابناء القبائل الهلالية بلاء حسنا[7] .

---

[1] بلاد الجريد:سميت بذلك لكثرة النخيل بها وهي مدن كثيرة واقطاب واسعة وعمائر متصلة وهي اخر بلاد افريقية على طرف الصحراء فأولها من جهة الساحل مدينة قابس للمزيد ينظر: مؤلف مجهول ،الاستبصار ،ص150.

[2] مؤنس ، حسين ، معالم تاريخ المغرب، ص176-177.

[3] عويس ،عبد الحليم ، دولة بني حماد، ص236-237.

[4] عويس ،عبد الحليم ، دولة بني حماد ، ص236-237.

[5] مؤنس ، حسين ، معالم تاريخ المغرب، ص176-177.

[6] جورج ماسية، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص228.

[7] ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص172.

ويصــف حســن الوزان عرب القبائل الهلالية فيذكر بني ســليم ويقول عنهم انهم اثرياء يذهبون كل سنة ببضـائعهم الى تنبكتو ، ولهم بدرعة[1]ممتلكات عديدة وارض كثيرة وعدد وافر من الابل[2] .

اما الاثج فيذكرهم الانصاري ويقول هم اكثر الهلاليين أعداداً وبطونا لذلك تغلبوا على غيرهم من القبائل الهلالية ومن ثم تزعموهم بعد اســتقرارهم بافريقيا الا ان هذه القبيلة لم تكن تعيش بســـلام وانما كانت تنشـــأ فيها صــــراعات عائلية حتى قيل ان الحروب بين بطون اثج في افريقيا اســـتمرت حتى جاء الموحدون ونقلوا جزءا منهم الى تامسنا[3] في المغرب الاقصى[4] .

لقد كان لقدوم الهلاليين الى بلاد المغرب آثار عميقة في نواحي البلاد كافة فهي بمثابـة انقلاب طـارئ على البلاد[5] فنزلـت بطون الهلاليين الى البلاد وتكـاثروا فيهـا واختلطوا شيئا فشيئا باهل المغرب من البربر واصبحوا شعبا مختلطا[6] فقد اثرت لغة التخاطب لقبائل بني هلال في اللســان البربري بالتدريج وســارت عملية الاســتعراض بيسر ثم سارت عملية الامتزاج والاحتكاك فيما بعد[7] .

جدد قبائل بني هلال ظروف الحياة في بلاد المغرب[8] ،فكان اهل البادية في بلاد المغرب المستقرون يقيمون في مساكن بدائية من نوع الكوخ يسكنون في تجمع يضم بضـعة بيوت ليس فيها مسـاجد او سـوق[9].ولم تكن مألوفة لدى سكان المغرب الخيمة الا انـه على أثر الزحف الهلالي تغطت بلاد المغرب بـالخيمة البدويـة وهجر النـاس أكواخهم[10].كمـا كـانـت لـدى عرب بني هلال اعـداد كبيرة من الخيول التي جلبوهـا معهم في هجرتهم الى افريقية مما اثر على حياة البربر وتوســع اســتعمالهم للابل في افريقية[11].

---

(1) درعة: منطقة ببلاد المغرب في جهة سجلماسـة، عرفت بواديها، فان فيها نهر كبير يجري من المشرق الى المغرب وينبعث من جبل درن، وهي مدينة عامرة باهلها بها جامع واسواق حافلة كثيرة ومتاجر رائجة، وتمتاز بكثرة الحناء ومنها يجلب الى جميع البلاد لطيبها وبوادي درعة شجرة الناكوت وهي شجرة تشبه الطرقاء وبها يدبغ الجلد، وفيها حجرة تسمى تاميطيغت تحك باليد فتلين فتصـــنع منها قيود للدواب وتغزل وينســـج منها مناديل ولاتؤثر فيها النار. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص235-236.

(2) وصف بلاد افريقية، ص65.

(3) تامسنا: اقليم في بلاد المغرب فيها مات الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهدية سنة (566هـ/1170م). وقد انتقل الى المغرب بأهله وولده فمات باقليم تامسنا بموضع يعرف ابارزلو.للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص129.

(4) نفحات النسرين، ص26.

(5) حسن خضيري، علاقات الفاطميين، ص264.

(6) مؤنس ، حسن ، معالم تاريخ المغرب، ص177.

(7) ماجد،عبد المنعم، ظهور الخلافة الفاطمية في مصر، ص229.

(8) جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق، ص234.

(9) حسن الوزان، وصف افريقيا، ص75.

(10) ادريس ،الهادي روجي، الدولة الصنهاجية، ج2، ص213.

(11) المرجع نفسه، ج2، ص214.

ويذكر لنا حســـن الوزان ان العرب من قبائل بني هلال قد تأثروا كذلك ببعض عادات المغاربة ومنها ان من عاداتهم ان تقوم النساء بتخضيب وجوههن وصدورهن واذرعهن الى رؤوس الاصـــابع بالحناء عندما يأتي موعد الزفاف وقبل ان تزفنَّ الى ازواجهن لأن ذلك مســـتحســـن في بلاد المغرب فكانت هذه العادة غير مألوفة لدى العرب فعندما انتقلوا الى الســـكن في بلاد افريقية تأثروا بها واصـــبحت عادة مألوفة لديهم. وكان هذا الخضاب مصنوع من قشر اللوزوالعصف والزعفران وكان الشعراء دائما ما يمدحون هذه العادة في أشعارهم[1].

اما فيما يخص اللباس فكانت المرأة الهلالية ترتدي قميصـاً اسـود عريض الكمين تضـــع فوقه خماراً من نفس اللون او من لون ازرق ويضـــعن في آذانهن اقراطاً من فضـة على شـكل حلقات ويضـعن في سـيقانهن خلاخيل طبقا للعادة البربرية [2]، وقد اتخذت المرأة البربرية من زي المرأة الهلالية النقاب الذي يوضع على عيونهن عندما يخرجن من منازلهن متأثرة بالمرأة الهلالية[3] .

وفي الطعام فكان ما اقتبســـته القبائل الهلالية أكثر مما نقلته الى بلاد المغرب فقد اقتبسوا التنوع في الطعام لان الهلاليين لم يكن عندهم كثرة تنوع في اكلهم الذي يمكن حصره في العصيدة (الثريدة) فضلاعن الحليب والتمر[4].

وفي حـالات الحرب فقد تـاثر المغـاربـة بعـادات القبـائـل الهلاليـة فعنـدمـا ينفرون لحروبهم ينطلقون اليها بصـــحبة نســـائهم كي يســـتمدوا من وجودهن الشـــجاعة فاخذ المغاربة هذه العادة وظلت باقية الى الان حتى انه عندما تقام الاحتفالات في بلاد المغرب وتمثل فيها المعارك الحربية فيتبارز الرجال بعضهم مع بعض و تبقى النساء معتكفات فوق الجمال [5].

---

(1) وصف افريقيا، ص65.

(2) المصدر نفسه، ج9، ص33.

(3) حسن خضيري، علاقات الفاطميين، ص267.

(4) حسن الوزان، وصف افريقيا، ص60-73.

(5) جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص238.

ثالثا: مظاهر الحياة الاجتماعية والتأثيرات المتبادلة

كانت حياة الخلفاء الفاطميين في افريقية تختلف عنها في مصـــر حيث عاش الخلفاء حياة تقشف بعيدة عن مظاهر الترف، فكان البربر في افريقية مصدراً للقلاقل والثورات مما جعل الخلفاء الفاطميين آنذاك في نضـــال مســتمر، فلم يكن لهم الوقت الكافي لإنشـــاء الاحتفالات ومراســم الاعياد، فكان البربر غليظي التعامل وبهم خشونة[1].

وعندما قدم الفاطميون الى مصـــر اكثروا من الاحتفالات العامة والخاصـــة والمواكب والاعياد فلم يكن لهم نظير في ذلك. فقد كانت الاحتفالات العامة في غاية من الفخامة والضخامة واقروا الاعياد الاسلامية التي كانت تقام في مصر قبلهم وهي عيد رأس الهجرية والمولد النبوي وعيد الفطر وعيد الاضـــحى وزادوا عليها الاعياد الشـــيعية مثل عيد غدير خم[2]، والاحتفال بالمواليد الاربعة مولد الامام علي بن ابي طالب ، ومولد الامام الحســن بن علي ، مولد الامام الحسـين بن علي، مولدة السـيدة فاطمة الزهراء[3] عليهم السلام اجمعين.

اما الاعياد التي احتفل بها ســكان المغرب اثناء حكم الفاطميين لهم فهو عيد نوروز[4].واهتموا ايضا بالاحتفالات الاسرية مثل الزواج وختان الاطفال فكانت هذة الاحتفالات اهم الاحتفالات التي اقامها الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في مصر وبلاد والمغرب[5].

لم يترك الفاطميون مناسـبة دينية او مذهبية خاصـــة او عامة الا واطلقوا العنان لبذخهم وتانقهم معتمدين على ثراء دولتهم فاكثروا من الاحتفالات التي تقام بها المواد الضخمة والمواكب المهيبة التي تاقت اليها الانظار والقلوب ، وكانت هذه الاحتفالات بما تحويه من مظاهر الفخامة والبذخ من النادر ان نجد مثيلها في اي عصـــر من

---

[1] ماجد،عبد المنعم، اصل حفلات الفاطميين في مصر، ص254.

[2] غدير خم: موقع بين مكة والمدينة ، لما رجع النبي صـــلى الله عليه وســلم من مكة عام حجة الوداع ووصـــل الى هذا المكان خطب خطبته المشـــهورة بخطبة الوداع وقال: ((علي مني كهارون من موســـى اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصـــر من نصـــره واخذل من خذله...))، ويعد عيدا من الاعياد الاســلامية بالنسـبة للطائفة الشـيعية وقد ابتدأ الاحتفال بعيد الغدير منذ عام (362هـــــ) ففي 18 من ذي الحجة إذ أمر المعز الفاطمي باظهار الزينة في البلاد واظهر الفرح وفتح الاســواق في الليل كما يفعل باعياد الفطر والاضـــحى. للمزيد ينظر:ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص230؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص100؛ ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص26.

[3] ابن ميســـر، تاريخ مصـــر، ج2، ص74-75؛ النويري، نهاية الارب، ج20، ص217؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص490.

[4] عيد نوروز:نوروز كلمة اعجمية معناها اليوم الجديد لان نو يعني الجديد وروز يعني اليوم لان العجم يقدمون المضـــاف اليه على المضـــاف وأول من احتفل بهذا اليوم ملك من ملوك الفرس في بلاد فارس اســـمه جمشـــيد وكان قبل النبي ابراهيم (υ)، فجعل نيروزا عيدا ينعم الناس فيه ونيروز هو اول يوم من يناير يســمونه دنياماه ويعني غرة الحول الجديد. للمزيد ينظر: ابن ابي دينار، المؤنس، ص297.

[5] سلطان ، عبد المنعم، الحياة الاجتماعية في مصر الفاطمية، ص120.

العصــور الاســلامية وكانت معظم هذه الاحتفالات يشــارك فيها الخليفة وكبار رجال الدولة فاصبحت تقاليد ثابتة رسخت مع الوقت في المجتمع المصري[1].

أـ الأعياد:

تأثر أمراء بني زيري بالخلفاء الفاطميين في احتفالاتهم بالاعياد ،فإذا جاء عيد الفطر كان الامير الزيري يرتدي ثيابا فخمة ويكون موكبه شــبيها بالمواكب الفاطمية آنذاك كذلك تأثر أمراء بني زيري في بلاد المغرب بالبذخ والترف الذي كان الخلفاء الفاطميون يتميزون به [2].

أما بالنســبة للدولة الفاطمية فكان الاحتفال بعيد الفطر ذا طابع مميز وقد بدأ الفاطميون احتفالهم الرسمي بهذا العيد منذ قدوم الخليفة المعز لدين الله الى مصر[3] . ففي العام الذي دخل به المعز الى مصر سنة (358هـ/972م) ركب متجها الى مصلى يقع في شــرق القصــر الكبير وصــلى صــلاة العيد. ومن عادات الفاطميين في هذة المناســبة زيارة تربة الزعفران او التربة المعزية التي فيها دفن المعز الفاطمي آباءه الذين احضرهم من بلاد المغرب وبذلك اصبحت هذه التربة مدفنا للاسرة الحاكمة، كما توزع في هذا العيد الصدقات و الحلوى على جميع موظفي الدولة وتقام الاسمطة الضـخمة[4]. فقد انشـأ في عهد الخليفة الفاطمي العزيز دار الفطرة [5] وفيها ما يحمل الناس من الطعام في هذا العيد . وفي عيد الفطر يرســل خلفاء الدولة الفاطمية المكاتبات المعطرة الى انحاء الدولة الفاطمية والاقطار الخاضــعة لها تصــف فيها عظمة موكب الخليفة وعودته ســالما الى قصــره وانتهاء الاحتفالات بســلام من دون فتن او قلاقل لتذاع هذه الاخبار في الجوامع ليعلم الجميع[6].

---

[1] المرجع نفسه، ص 120

[2] ابن عذاري، البيان، ج1، ص357 .

[3] المقريزي، الخطط، ج1، ص451.

[4] الاسـمطة: الاسـمطة أو الاسـماط او السـماطات، هو ما يعد من الطعام ويقصـد به المائدة التي تقام في القصـر الفاطمي في جميع المناسـبات التي كان يحضـرها الخليفة بنفسـه حيث كان يمد السماط في قاعة الذهب من القصر الفاطمي الشرقي في ليالي رمضان وفي العيدين وفي ليالي الوقود والمواليد الاربعة والمولد النبوي والعلوي والفاطمي ، فضــلاعن ســماط الحزن الذي كان يمد في يوم عاشوراء، حتى قيل انه في عيد الفطر مد سماط ضخم في الايوان الكبير الذي يواجه مجلس الخليفة يبلغ طوله نحو 300ذراع في عرض 7 اذرع وتنتشــر عليه صــنوف الفطائر والحلوى، كما بالغوا في اعدادها سـواء في المسـاجد اوفي قصـر الخليفة او في بيوت الوزراء وكان الخليفة المعز لدين الله اول من ســن تلك الســنة وحذا الخلفاء حذوه اما ســماط الحزن فكان يحتوي على انواع من الاطعمة الفقيرة مثل العدس والمخللات والخبز.للمزيد ينظر:المقريزي ، الخطط، ج1، ص431؛ ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص97؛ جمال الدين ســرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 148؛ ايمن فواد ســيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ص377-381.

[5] دار الفطرة:هو مطبخ ضخم انشأ لغرض صنع الحلوى حيث يبدأ العمل به منذ منتصف رجب فيخزن داخله ما يحتاج لصــنع الحلوى ويســتمر العمل به اســتعدادا لعيد الفطر وتخزن هذه الحلوى في داخل الدار. للمزيد ينظر: المقريزي، الخطط، ج1، ص425.

[6] السجلات المستنصرية، تح: عبد المنعم ماجد، القاهرة، سنة 1954، ص31.

اما عيد الاضـــحى فكانت الدولة الفاطمية تبدأ فيه احتفالاتها منذ الاول من ذي الحجة فتعقد مجالس الشعراء في القصر وفي دار الوزارة يتبارى الشعراء في مدح الخليفة والوزير، كما كان يجري توزيع أموال الصدقة على الاطفال والايتام والفقراء من اهل القاهرة والفسطاط[1] فكان عيد الاضحى يشبه عيد الفطر من حيث المواكب والصـــلاة وتوزيع الحلوى والطعام الا انه يختلف عنه في النحر الخاص بعيد الاضحى[2] .

كما جرت العادة أن الخلفاء الفاطميين يحرصـــون على ارســـال كتب التهنئة الى الاقاليم والولايات الخاضعة لهم تصف لهم المواكب وعظمة دولتهم ويبشرون بسلامة الدولة من الفتن والاضـــطرابات[3] وكان من الطبيعي ان يكون من نصـــيب دول المغرب الخاضعة لهم التي تدور في فلك الدولة الفاطمية كتب التهنئة[4].

ب: الاحتفالات:

لم تحتفل بلاد المغرب بذكرى عاشـوراء وإنما كان الخلفاء الفاطميون يحييون ذكرى عاشـــوراء بالقاء الخطب ، فالمصـــادر لم تذكر لنا شـــيئا عن مراســـيم هذة الاحتفالات اثناء حكم الخلفاء الفاطميين في المغرب اللهم الا ان كتاب المجالس والمسايرات للقاضـي النعمان قد اشار الى بعض الخطب التي تم القيت على سكان بلاد المغرب خلال ذكرى عاشـــوراء وبيّن فضـــائل هذا اليوم . فكان القاضـــي النعمان[5] يروي عن الائمة من اهل بيت رســـول الله (ρ).مما ذكره الرواة عن فضـــائل يوم عاشـــوراء ويذكر فيها مصـــائب الحســـين عليه الســـلام وان الله اكرمه بالشـــهادة في هذا اليوم ، الا ان القاضـــي كان لايفعل ذلك حتى يطلع به المعز، فيوقع المعز اليه بما يقوله :((يانعمان فقد علمت تفضيل الجهال إياه من غير وجه التفضيل الذي فضله الله ،وانهم جعلوه يوم عيد وسرور لما سنه لهم الفسقة من بني أمية ...)).

إلاّ أنه بعد رحيل المعز الى مصـــر اصـــبحت بلاد المغرب خاضـــعة للخلافة في مصر فكان من المؤكد ان يقوم بني زيري باحياء هذا اليوم على غرار ما يعمل به في بلاد مصـر[6] ومما يدعم هذا الرأي المذبحة التي قامت في عهد المعز بن باديس بحق الشيعة في شهر محرم وبالاخص في ذكرى العاشر من شهر محرم[7].

أما في بلاد مصـــر فكان الفاطميون يحيون ذكرى يوم العاشـــر من شـــهر محرم المتمثل باستشهاد الامام الحسين بن علي عليه السلام في واقعة كربلاء ،فهو من الايام الحزينة بالنســـبة للشـــيعة في مصـــر حيث يخرج الناس منذ بداية اليوم قاصـــدين الجامع الازهر وقد اعلنوا الحداد وكان الخلفاء الفاطميون يحتجبون عن الظهور تعبيرا عن حزنهم وجزعهم [8] وكانت اول ذكرى اقيمت في مصـــر في عهد

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص95.

[2] المقريزي، الخطط، ج1، ص437-438.

[3] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص511؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص438-438.

[4] سلطان ،عبد المنعم ، الحياة الاجتماعيةفي العصر الفاطمي ، ص149.

[5] المجالس والمسايرات، ص397

[6] حسن خضيري، علاقات الفاطميين، ص 276.

[7] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص294.

[8] المقريزي ، الخطط، ج1، ص427-430.

الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عند دخوله الى مصـــر ومن مراســيم هذا اليوم هو ان تخرج جماعات كبيرة من الشــيعة الى الطرقات في حراســـة الجنود المغاربة وهم يعبرون عن حزنهم بـالنيـاح والبكـاء حيث يوجهون الســـب لكل من يفتح حـانوتـه ويمارس عمله ويبدو ان ما قام به الشــيعة من ســب تعبيرا عن حزنهم كان نتيجة لما كان يتعرضـــون له ايام الدولة الاخشـــيدية ،فقد كان جنود الســـودان في عهد كافور الاخشيدي يقبضون على الشيعة في مصر في ذكرى عاشوراء ويجردونهم من ثيابهم ويوجهون لهم الاهانات لذلك نجد ان الشــيعة في مصـــر عندما جاء المعز الفاطمي احسوا بالنصر وقويت شوكتهم[1]

ومن مراســيم هذا اليوم هو جلوس الخليفة الفاطمي في قصـــره على الارض ثم ينشـدون ويقرأون القرآن، ثم يفرش سماط الحزن فإذا قرب الظهر وقف صـاحب الباب وادخل الناس لتناول الطعام. فاذا فرغ القوم عادوا الى اماكنهم ويســتمر النواح في ذلك اليوم حتى المغرب ثم يفتح الناس حوانيتهم. [2]

وقد أهتم الفاطميون بالليلة الاولى من محرم من كل عام، لكونها اول ليالي الســـنة الهجرية فكانت من تقاليد هذه الليلة ان تحضـــر الخراف المشـــوية وزبادي الطعام والحلوى والخبز، وقطع متنوعة من الســـكر وارز بلبن وســـكر. وتفرق على ارباب الرتب العالية واصحاب الدواوين ويعم ذلك سائر الناس من خواص الخليفة[3].

كانت هذه الاحتفالات يبدأ الاسـتعداد لها في الايام العشـرة الاخيرة من شـهر ذي الحجة، ويقام فيها عرضـــا خاص يقدم امام الخليفة الفاطمي والوزراء وكبار رجال الدولة يتضـمن عرض للدواب ومنها الخيول التي تدرب على سماع اصـوات الطبول والصـــفافير[4] كما كان في هذا اليوم يأمر الخليفة دار الســـكة بضـــرب عملة جديدة تعرف بالغرة تضـرب في الايام العشـرة الأخيرة من شـهر ذي الحجة وتحمل تاريخ السنة الجديدة وكانت هذه العملة توزع على جميع رجال الدولة[5] .

اما عن الاحتفال بالمولد النبوي في بلاد المغرب فكان الاحتفال به قد نقل متأخرا الى بلاد المغرب على يـد الســـلطـان ابي عنـان المريني[6]، ثم اقتـدى بـه ابو

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص145.

[2] سالم ،السيد عبد العزيز ، تاريخ مصر الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ، ج1، ص230-231.

[3] المقريزي، الخطط، ج1، ص490؛ ابراهيم ايوب، التـاريخ الفـاطمي الاجتمـاعي، ج2، ص230.

[4] المقريزي ،الخطط، ج1، ص447.

[5] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص505؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص450.

[6] ابي عنان: هو ابو عنان فارس المتوكل على الله بن ابي الحسن علي بن ابي سعيد عثمان(749-759هـــ)وهو من ملوك بني مرين بالمغرب الاقصـى ولاه ابوه على تلمسان بعد ان استولى عليها سنة (737هـــ) ولما بلغه خبر موت ابيه سنة (749هـــ) غادر تلمسان متجها الى فاس حيث نصـب نفسـه ملكا خلفا لابيه واعلن نفسـه اميرا للمؤمنين إلاّ= =انه ادرك ان اباه مازال على قيد الحياة فلم يتنازل عن الحكم لابيه وكان عمره لم يتجاوز 19 وواجه ظروفا قاســـية تجاوزت مدة حكمه 10سـنوات قضـى جلها في الحروب وكانت وفاته سـنة (759هـــ) اهتم

حفص[1]، كذلك نجد الموحدين قد اهتموا ايضا بالمولد النبوي[2].

أما في مصـــر فكان الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشـــريف يقام في يوم الثاني عشر من ربيع الاول[3] فيمتاز بكثرة ما يوزع فيه من الصدقات والاطعمة و الحلوى فكان الاحتفال الرســمي يبدأ بعد صــلاة الظهر من يوم الثاني عشــر من شـــهر ربيع الاول فيخرج قاضي القضاة على رأس موكب للاحتفال في جامع الازهر حيث توزع الحلوى ثم يبدأ بعدها الاحتفالات في القصر بقراءة القرآن وذكر مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يختمون خطاباتهم بالدعاء للخليفة[4].

أماعن الاحتفالات في شـهري رجب وشـعبان فقد ذكر ابن ابي دينار[5] ان اهل المغرب كانوا يعظمون ليلة النصف من رجب وليلة السابع والعشرين منه وكذلك ليلة النصف من شعبان وليلة السابع والعشرين منه فهم يعظمون هذه الايام مثلما يعظمون ايام شهر رمضان اما شهر رمضان فقد كان الاحتفال به في مصر في عهد الفاطميين يشمل الشـهر كله ويختم بالاحتفال الكبير بعيد الفطر، فكان يبدأ الاستعداد لهذا الشـهر قبل حلوله بثلاثة ايام، فيقوم القاضي بالمرور على جوامع ومساجد القاهرة والفسطاط للنظر فيما يلزمهم من فرش واضــاءة وما يحتاج اليه من اصــلاح قبل حلول الشــهر، كما كان من عادات الخلفاء الفاطميين ان يأمروا باغلاق جميع قاعات الخمارين وتختم حوانيتهم ويمنع بيع الخمر ابتداء من اول رجب حتى نهاية شـــهر رمضـــان. وكان يعاقب كل من كان يشـــاهد وهو يحمل خمرا او يبيعه او يشـــتريه[6] ثم ترســل الكتب التي تامر بمنع بيع الخمر ومعاقبة من يبيعه او يشـتريه الى جميع البلاد التابعة للخلافة[7]، وكان من عادات الفاطميين عند رؤية الهلال ارسال الكتب والبشارات الى ولاة الاعمال والبلاد الخاضعة للنفوذ الفاطمي[8].ونجد ان الخليفة الفاطمي كان يخرج بموكب رسمي كبير للاعلان عن بداية شهر رمضان[9] .

بالحركة العلمية وشـــجع العلماء وامتاز بحســـن الثقافة فقيها يناظر العلماء حتى ســـمي عالم الملوك للمزيد ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج9، ص110؛ الســلاوي، الاســتقصــا، ج2، ص351.

[1] ابي حفص: عمر المرتضــى بن ابي ابراهيم اسـحاق بن يوسـف بن عبدالمؤمن بن علي، دخل مراكش بعد ان كتب له بالبيعة واستقدموه من سلا في جمادي الاخر من سنة (646هــ) ودخل مراكش وبقى فيها الى ان اخرجوه منها يوم السبت 12 محرم (665هـ) فكانت ولايته 19 عاماً واربعة اشـــهر وثمانية ايام للمزيد ينظر: الزركشـــي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصـــية، ص163.

[2] ابن ابي الدينار: المؤنس، ص 290.

[3] ايواب ، ابراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ج2، ص230.

[4] المقريزي، الخطط، ج1، ص433

[5] ابن ابي دينار ، المؤنس، ص296 .

[6] المقريزي، الخطط، ج1،ص491.

[7] القلقشندي، صبح الاعشى،ج3،ص505؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص491.

[8] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص505.

[9] سلطان ، عبد المنعم ، الحياة الاجتماعية في مصر الفاطمية، ص134.

وفي بلاد المغرب كان امراء بني زيري يولون اهتماما بالغا بشـــهر رمضـــان واحياء ليالي هذا الشــهر بقراءة القران الكريم في صــلاة التراويح ويحرصــون على ختم مسند صحيح البخاري وبقية الأسانيد [1] .

ومن الاحتفالات الشـــهرية لدى الفاطميين ليالي الوقود وهو الاحتفال باول شـــهر رجب ونصـفه، واول شـهر شـعبان ونصـفه وتعد هذه الايام من الايام المباركة مثلها مثل شـهر رمضـان فمن مظاهر الاحتفال بهذه الايام خروج كميات كبيرة من الشـمع من قصر الخليفة إذ توزيعها على حاشية قاضي القضاة لتضاء في المواكب الرسمية التي يتقدمها قاضـــي القضـــاة[2].وكذلك تضـــاء المســاجد والمشــاهد فيها بعد غروب الشمس بالقناديل والشموع وتحمل الاطعمة والحلوى الى المساجد ويطوف المبخرون في مجامر الذهب والفضـــة في الوقت الذي يتلو فيه القراء القران وينشـــد المنشـــدون حتى منتصف الليل ثم ينصرفون ففي سنة (380هـــ/999م) حضر القاضي محمد بن النعمان الى جامع الازهر وبصحبته وجهاء البلد[3]. في موكب يتقدمه القاضي ممتطيا جوادا ويحيط بـه ثلاثـة من ممثلي الخليفـة الفـاطمي وعشـــرة من الحجـاب والقراء ومؤذني المســـاجد المختلفة يســـبحون بحمد الله ويدعون الى الخليفة [4]، وتقدم اليهم الحلوى والطعام ويجلس بين يديه القراء والمنشـــدون ويوزع على الناس الاطعمة ثم ينصرف الى داره عند منتصف الليل[5].

وفي عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله كان يرســـل في كل ليلة من ليالي الوقود الى مســـجد جبل المقطم[6] والقرافة خروفا مشـــوياً وكميات كبيرة من الحلوى والقطاف المحشوة باللوز والسكر، ويستدعي اهالي الجبل والقرافة والمتعبدين ويقدم لهم الطعام ويسمح لهم بحمل ما يريدونه من الطعام[7] ، وفي عهد الخليفة الحاكم بامر الله الفاطمي ابطل الاحتفال بليالي الوقود واكتفى بتوزيع الصـــدقات على المتعبدين والفقراء بالقرافة لكن الاحتفالات عادت في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين

---

[1] ابن ابي دينار، المؤنس، ص297.

[2] المقريزي، الخطط، ج1، ص466.

[3] المقريزي، الخطط،ج1، ص 465-466.

[4] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص501؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص467.

[5] المقريزي، الخطط، ج1، ص465-466.

[6] جبل المقطم: جبل يتصل بمصر اوله من ديار مصر فيمر بالصحراء الى ان ينتهي الى قرب اســـوان وهو جبل مشـــهور بالطول واما ارتفاعه فانه يعلو في مكان وينخفض في مكان آخر وتحفر منه المغرة والكلس وفيه ذهب كثير وكذلك تربته اذا دبرت استخرج منها ذهب صـالح فيه كثير من هياكل الكهنة وعجائبهم وذكر ان فيه كنوز عظيمة لمقطم الكاهن واليه ينسب هذا الجبل بأسـره وفيه كنوز كثيرة لبعض ملوك مصـر من مال وجواهر وتماثيل عجيبة واصـنام الكواكب واهل مصر يدفنون موتاهم في هذا الجبل وكان سبب ما جعله مقبرة هو ان عمرو بن العاص لما فتح مصـــر قال له المقوقس: انا نجد هذا الجبل فيه غرس الجنة فكتب الى الخليفة عمر بذلك فقال عمر لا اعرف غرس الجنة الا الموتى المســلمين وشـــهداء المســلمين فجعله مقبرة لهم، وفي هذا الجبل اغتيل الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله. للمزيد ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص557؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص306.

[7] عبد المنعم سلطان، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص129.

الله فكان الخليفة الظاهر يحضـــر بنفســـه الى جامع الازهر ومعه الســـيدات وخدمه الخاص وكبار رجال الدولة لمشاهدة مظاهر الاحتفالات بهذه المناسبة[1] ثم استمرت هذه الاحتفالات بليالي الوقود حتى نهاية الدولة الفاطمية[2].

وفي الاحتفالات الشيعية الخاصـة نذكر منها عيد الغدير وكان من الاعياد الخاصـة للشـــيعة الفاطميين حيث كان يحمل لهم ذكرى دعامة من دعائم دعوتهم[3]، حيث كان يجري الاحتفال بهذا العيد في الثاني عشـــر من ذي الحجة وقد بدأ الاحتفال بهذا العيد في مصـــر منذ دخول الخليفة المعز لدين الله الفاطمي فكان الاحتفال بهذا اليوم اول امره بســـيطا ثم اصـــبح بعد ذلك من الاحتفالات الكبيرة، ثم تطور هذا الاحتفال في آواخر الدولة الفاطمية فاصبحت له رسوم محدودة وركوب خاص يطلق عليه ركوب عيد الغدير وكانت بهذا العيد تعتق الرقاب وتزوج الأيامى لمن يرغب بذلك من دون مقابل[4] .

وكان من مراســـيم عيد الغدير جمع الناس والقراء والفقهاء والمنشـــدين بجامع الازهر ثم يخرجون عند الظهيرة الى القصـــر فتوزع عليهم الجوائز وكان الخليفة يحضـر الى الايوان وعندما يدخله يصعد القاضـي الى كرسي الدعوة ثم يقرأ القاضـي نص وصـية النبي محمد (ρ) لعلي ابن ابي طالب (υ) اثناء حجة الوداع في غدير خم فإذا انتهى من قراءته نزل عن الكرسي وصلى بالحاضرين ركعتين[5] وكانت تقام في هذا العيد ثلاثة اســـمطة في قصـــر الخلافة تفوق نظيراتها في عيد الفطر والنحر ولا يفوتنا ذكر الاحتفالات التي كانت تقام بمواليد الاجداد ومولد الخليفة الفاطمي الحاضر وكانت مراسيم هذه الاحتفالات تقام على غرار الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[6]

ومن الاعياد القديمة التي يشـــترك فيها جميع الشـــعوب على اختلاف جنســـياتهم وعقائدهم هو عيد نيروز الذي كان من اهم الاعياد التي يحتفل بها ســـكان المغرب فكان يبدأ عندهم مع بداية فصل الربيع ويعد من ايامهم المشهورة هو الاول من شـهر مايو، فيقومون المغاربة بصرف اموال طائلة لاحياء هذا اليوم ويستخدمون فيه الغناء والات الطرب ويوزع ويباع في هذا اليوم النارنج والليمون الحلو بقدر ما يباع في الســـنة كلها، ومن المرجح إن هذا العيد انتقل الى افريقية وبلاد المغرب من مصـــر حيث قيل ان هذا اليوم هو عيد لفرعون [7] وفي مصـــر كان عيد نيروز هو الاحتفال برأس الســـنة القبطية . وبمجيء الفاطميين الى مصـــر حاول المعز ان يمنع الاحتفال

---

[1] المقريزي ، الخطط، ج1، ص466؛ ايوب ، ابراهيم رزق الله ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ج2، ص241.

[2] سلطان ، عبد المنعم ، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص130.

[3] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص214.

[4] المقريزي، الخطط، ج1، ص353.

[5] سالم ،السيد عبدالعزيز ؛ سحر السيد عبدالعزيز سالم، دارسات في تاريخ مصر الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ج2، ص232

[6] سلطان ،عبد المنعم ، الحياة الاجتماعية، ص159.

[7] ابن ابي دينار، المؤنس، ص292.

بهذا اليوم لما فيه من مظاهر الانحلال والتهتك فمنع المعز الفاطمي في عيد نيروز ان توقد النيران وتصب المياه في الطرقات [1] .

كذلك كان المعز في بلاد المغرب يمنع خروج أهالي افريقية والمغرب للشـــرب والمجون مما جعل المعز يستنكر عاداتهم ويطلب منهم الاستعاضة بالاعتبار والتفكير بقدرة الله[2]. واســـتمر الاحتفال بهذا اليوم في عهد الخلفاء الفاطميين في بلاد مصـــر فاحتفل به في عهد الخليفة العزيز [3].كما احتفل به في عهد الخليفة الحاكم. وكان لهذا الاحتفال رسـوما متبعة في الدولة الفاطمية ولم تذكر هذه الرسـوم الا في عهد الخليفة الآمر فكانت توزع في هذا اصـناف معينة من الاطعمة والفاكهة مثل البطيخ والرمان والموز والتمر والسفرجل [4].

اما الاحتفالات الاســرية فكانت من الظواهر الاجتماعية الســائدة في العصــور الاسلامية هو الاحتفال بالزواج فكان الاحتفال بهذا اليوم على درجة عالية من الفخامة وتتميّز بمظاهر الثراء وتوزع فيها الهبات الثمينة في كل من بلاد مصـــر وبلاد المغرب. فقد اتسمت مظاهر الزواج في بلاد المغرب بالبذخ والمغالاة في المهور الى حد تجاوزت فيه مظاهر البذخ والاسراف التي كانت عند الفاطميين. فنجد امراء بني زيري اخذوا يقلدون الخلفاء الفاطميين في البذخ في حفلات الزواج وساعدهم في ذلك الرخاء الاقتصادي لافريقية[5] .

هذا ومن الطبيعي ان تحذو الدولة الحمادية حذو امراء بني زيري في احتفالاتهم بالزواج، فعندما تصالح تميم بن المعز وابن عمه الناصر بن علناس سنة (470هـــ/ 1077م)، وزوجه ابنته وجهزها اليه بلغ مهرها ثلاثين الف دينار ذهبا [6].

ونجد مثل ذلك في الدولة الفاطمية عندما تزوج العاضـــد [7] من اخت الوزير العادل رزيك ، حيث حمل معها جهاز فخم يليق بالخليفة، فضـــلاعن عدد من الصـــناديق بها عدة قناطير من الذهب فضـــلاعن الموائد الفخمة والفاخرة التي تعد جزءا من الاحتفال بالزواج [8] .

---

[1] المقريزي، الخطط، ج1، ص493.

[2] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص329.

[3] النويري، نهاية الارب، ج26، ص47-48.

[4] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2،ص18؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص492.

[5] جورج ماسية، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص216.

[6] ابن عذاري، البيان، ج1، ص430.

[7] العاضد: هو العاضد بالله ابو محمد عبدالله، ابن الحافظ، بن المستنصر، وهو الحادي عشر بين خلفاء الدوله الفاطمية ولد في سنة(564هـ/1151م) ، بويع للخلافة بعد موت ابن عمه الفائز في رجب سـنة (555هـــ)، به انقرضـت الدولة الفاطمية . من الحوادث في ايامه ان الفرنج استولوا على الديار المصرية توفي يوم الاثنين العاشر من محرم سنة (567هـــ) وكانت مدة خلافته لمصـر 18 سـنة و5 أشـهر و11يوماً للمزيد ينظر: بن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ص81-83.

[8] سلطان ،عبد المنعم ، الحياة الاجتماعية ، ص197.

اما الاحتفالات بالختان فكانت عادة منتشـرة في مصـر الاسـلامية والشـعوب الاخرى[1] ، وقد اورد المؤرخون تفاصيل احتفالات الختان الجماعي في الدولة الفاطمية في المنصـورية عاصـمة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب فقد بدأ الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بارسـاء قواعد هذا الاحتفال لما اراد ان يختن بنيه فتقدم الى خاصته واوليائه وسائر جنده و من بالحضرة وعامة الرعية بالمنصورية والقيروان وجميع اهل مدن افريقية ،وامر بالكتابة الى العمال من لدن برقة واعمالهم الى سجلماسة وجزيرة صقلية ومن بها من النا س من الحضر والبدو ان يتقدموا لختن ابنائهم يوم الثلاثاء اول يوم من شهر ربيع الاول من سنة 351ه/962م الى انقضاء هذا الشهر وامر أن توزع أموال وخلع تفرق على كل من ختن من ابناء المسلمين من الخاصة والعامة ،واذاع بين الناس ان من لم يختن ولداً له في الشهر ثم يختن بعد ذلك فقد حرم من فضله [2].

لقد كان الهدف من وراء ذلك هو ان يقوم المعز بكسب قلوب الرعية المغربية بالترغيب ومقدمة للحفاظ على وحدة الدولة عندما تسمح لهم الفرصة في الهيمنة على المشرق بفتح مصر[3] وقيل ان جملة ما انفقه المعز في ذلك الاحتفال من الاموال فقط في جزيرة صقلية وحدها خمسون حملا من الدنانير ومثل ذلك ارسل الى كل عامل من عمال الدولة الفاطمية [4] .

ووصف لنا القاضي النعمان طريقة الاحتفال بهذا الختان في بلاد المغرب فيذكر ان الخليفة المعز كان يجلس بنفسه في السرداق[5] الضخم الذي اقيم بساحة القصر وكان يسمح للصبيان بالدخول ومعهم من يشاء من ابائهم وامهاتهم يرش على رؤوس الاطفال ووجوههم ماء الورد حتى يفيقوا مما اعتراهم من الالم والخوف، ثم ينقل الاطفال الذين ختنوا في جماعات ويزفونهم الى منازلهم [6] .

فمن المرجح ان تلك الاحتفالات الخاصة بالختان الجماعي للاطفال قد انتقلت من بلاد المغرب مع الخلفاء الفاطميين الى مصر[7] . وقد اصبحت هذه الاحتفالات تقليدا في كثير من دول الاسلام التي ورثتها ايضا الدولة الزيرية[8].

ولاشك أن اعياد الدولة الحمادية كانت اعيادا تحمل اكثر من غيرها صورا من التحلل والخروج عن المألوف، ويبدو ان الاحتفالات في الاعياد او غير ذلك كانت تحظى من الحماديين بفائق عناية ودليلنا على ذلك هو قصـر اميميون في بجاية كان

---

[1] القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص74-75.

[2] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص556-557.

[3] سعد زغلول، تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص244-245.

[4] الرشيد بن زبير،رشيد الدين ابو الحسن ،(ت562هـ)، الذخائر والتحف، تح: محمد حميدالله، التراث العربي، الكويت، 1959م، ص124-125.

[5] السرداق: كل ما احاط بشي نحو الشقة في المضرب او الحائط المشتمل على شي والسرداق يجمع على السرادقات وبيت مسردق اعلاه واسفله مشدود كله للمزيد ينظر:الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت170هـ)، كتاب العين،تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت، ج2، ص235.

[6] المجالس والمسايرات، ص557-558.

[7] القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص74.

[8] سعد زغلول، تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص411.

يضـــم قاعة تســـتغل في مثل هذه الاحتفالات ويرجح ان الامراء الحماديين كانوا يفتتحون الاحتفالات الشعبية[1] وامتاز المجتمع الحمادي بالتسامح الديني فقد وجدت في المجتمع الحمادي طوائف مذهبية متداخلة معا من سنة مالكية واحناف الى شيعة كبعض كتامة الى مسيحيين و خارجية اباضية و يهود. وفي مجتمع الحماديين تمتعت طائفة الفقهاء بمكانة اجتماعية طيبة بيد ان هذه المكانة لم تصلها اي دولة مجاورة لها مثل المجتمع المرابطي ، حيث كانت المدن الحمادية زاخرة بالمناسبات والاعياد ذات الصـــبغة الدينية كما كان ايمانهم بالاولياء ظاهرة منتشـــرة لديهم في بجاية إذ كانت لكثرة اوليائها تعرف باسـم (مكة الصـغيرة) فقد قيل ان عدد الاولياء ببجاية مائة الا واحد[2] .

وهناك بعض الاعياد التي اتخذت صـــبغة قومية مثل عيد جبر او فتح الخليج[3] الذي يعقب الاحتفال به بعد وفاء النيل، وفيما يتعلق باهل الذمة فقد كان لهم اعياد مثل عيد الخميس[4] الذي يطلق عليه العامة اسم خميس العدس وهو من الاعياد المسيحية التي احتفل بها الفاطميون مشـاركة منهم للنصـارى الذين كانوا يسـكنون في القاهرة وكانت من عاداتهم طبخ العدس في هذا اليوم[5] .

اما النصارى فقد اخذت اعدادهم تتزايد كثيرا لاسيما بعد حادثة تغريبهم في بلاد المغرب وابعادهم عن بلاد الاندلس بســبب غدرهم بالمســلمين وتحالفهم مع الروم ، حيث انتقلت جموع كبيرة من النصارى المعاهدين الذين نقلوا من مدن جنوب الاندلس الى المغرب وذلك في عهد امير المرابطين علي بن يوسـف سـنة (537-500هـــ) فنزلوا في مدينة مكناسة في المغرب الاقصى[6] .

اما عرب الصـــحراء المجاورين لوادي النيل بالصـــعيد فقد كانوا يحتفلون بالاعياد الكبيرة وكذلك يحتفلون بالمناسبات الاسرية مثل الزواج ففي حفلات الزواج كانوا يقيمون الافراح وتســتمر هذة الافراح والاحتفالات لمدة اســبوع وجرت عادة هولاء العرب ان يقدموا المهر للعروس مكوناً من عدة جمال بحسب الحالة الاجتماعية

---

[1] عويس، عبد الحليم، دولة بني حماد، ص241-242.

[2] المرجع نفسه ، ص240-241.

[3] عيد فتح الخليج: يقصد به رفع السد الواقع عند فم الخليج يوم وفاء النيل أي فتح السد الواقع في غربي القاهرة ايذانا بفتح السدود لارواء ارض مصر . للمزيد ينظر : المقريزي ، الخطط،ج1 ، ص470- 493؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج4 ، هامش 1 ص99؛ الطيار ، هيفاء عاصم، مدينة القاهرة، ص 149.

[4] عيد الخميس: او خميس العدس من الاعياد القبطية يســميها المصـــريون بالغلط وكان اقباط مصـــر يحتفلون بهذا العيد قبل عيد الفصـــح بثلاثة ايام فكان القبط يملؤون اناء فيه ماء يرتلون عليه ثم يغسلون به ارجلهم للتبرك به كما فعل السيد المسيح (υ) مع تلاميذه في مثل هذا اليوم بعد ان اخذ عليهم العهد ان لا يتفرقوا وســـمي هذا العيد خميس العدس لان القبط كانت تطبخ العدس في ذلك اليوم للمزيد ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص226 و 295 و445 و 450 و 495 ؛ ماجد،عبد المنعم ، نظم الفاطميين ج2 ، ص135؛ الطيار ، هيفاء عاصـــم، مدينة القاهرة، ص146.

[5] القلقشندي، صبح الاعشى، ج2، ص417.

[6] ابن عذاري، البيان، ج4، ص69-73.

للعروســين وعلى وفق لما يتفق عليه ذووهم ،وكان الشـــاب عادة ما يســكن مع اهل العروس، وكانت النســـاء العربيات في صـــعيد مصـــر يتزين باحلى الثياب ويزينن أيديهن وارجلهن بالحناء ذي اللون الاصـفر وتحاط الجفون بخط اسـود بالمكحل ومن الجدير بالذكر ان هذه العادة كانت موجودة في مصــر منذ عصــر الفراعنة[1] وكانت الاسـرة العربية توقد النار لمدة اربعين يوما عندما يرزق احدهم بمولود وتعم الفرحة، واما عن احتفالاتهم بالختان فكانت من اهم مظاهر الاحتفالات والمناســبات الســعيدة عند العرب الذين عاشوا على صعيد مصر فكانوا بهذه المناسبة يدقون الطبول اعلانا بالفرح[2].

ج: المآتم

وفيما يخص المآتم كانت بعض العادات المتصلة بالمأتم والجنائز هو التهليل امام الجنازة ،ففي بلاد المغرب كان الناس يهللون ويصـــلون على النبي ويبشـــرون على صوت واحد ،فعندما يتوفى احد الاشخاص يصعد احدهم الى مئذنة الجامع ويقرأ من القران ويذكر بعض الابتهالات كما يفعل المؤذن قبل أذان الفجر ،وكذلك كانت نســاء المغرب يقومنّ البكاء على الميت والصــــراخ ولطم الخدود ، كما كنَّ يخرجن وراء الجنازة من البيت الى المقبرة وفي أيديهن مناديل يشيرن بها الى النعش[3] .

اما مظاهر الحزن على الميت واعداده للدفن في مصـر خلال العصـر الفاطمي فلا تختلف كثيرا عما هو معروف في العصــــور الاســـلامية. الا ان مظاهر البذخ والثراء كانت غالبة على طابع الحياة في مصر فيما يتعلق بالطبقة الخاصة[4]، وكانت من التقاليد في مصــر خروج النســاء خلف الجنائز ســافرات الوجه ويجهرن بالبكاء والعويل ولم نحصـل على معلومات عن مظاهر المأتم لدى الشـعب المصـري فقط بل توافرت المعلومات عن مظاهر المأتم وطريقة دفن الخلفاء الفاطميين فكانت من عادات الناس الخروج خلف الجنائز لتشيع الميت الى مثواه الاخير وهم مرتجلون ولم يكن يركب في هذه المناسبة الا الخليفة فكان الخليفة يحضر بنفسه جنازة افراد اسرته وكبار رجال دولته[5]، وكانت المدافن الرئيســة في مصــر تقع في القرافة بظاهر جبل المقطم[6]،ونجد ان الفاطميين قد نهوا عن النواح والعويل على الميت ولم يمانعوا في سير النساء خلف جنازة ذويهم، شرط عدم كشف وجههن في الطريق العام [7].

---

[1] الرابطي، دور القبائل في صعيد مصر، ص226.

[2] المصدر نفسه ، ص227.

[3] ابو مصـطفى ،كمال السيد ،جوانب الاجتماعية والاقتصـادية والدينية والعلمية في المغرب من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب الونشـرسـي،مركز الاسـكندرية للكتاب،الاسـكندرية، 1996م، ص42.

[4] السلطان ،عبدالمنعم ، الحياة الاجتماعية، ص205.

[5] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص97-98؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص67؛ السلطان ، عبد المنعم ، الحياة الاجتماعية، ص238-239.

[6] المقريزي، الخطط، ج2، ص413.

[7] المصدر نفسه، ج2، ص286.

اما العرب في الصعيد ففي ايام مأتمهم يقيمون سرادق للعزاء يستغرق اربعين يوما فضلاعن اعلان الحداد على الفقيد لمدة سنة كاملة[1] ولم تسعفنا المصادر عن هذه العادات فيما إذا كانت قد انتقلت من بلاد المغرب الى مصر او بالعكس الا ان ما يؤكده المؤرخون ان هذه العادات كانت موجودة في بلاد المغرب ومصر في آن واحد وهذا مايدل على ان العرب الفاتحين هم من نقلوا هذه العادات.

د.المواكب:

اما عن المواكب في بلاد المغرب، فقد قلد امراء بني زيري الخلفاء الفاطميين في ذلك فكان امراء بني زيري يظهرون في استقبال السفارات القادمة من الدولة الفاطمية بمواكب جليلة [2] ،وكانت مظاهر البذخ والترف ظاهرة على مواكب بني زيري وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الثراء الكبير الذي كان يتمتع به امراء الدولة الزيرية التي لاتختلف الا اختلافا يسيرا عما كانت عليه الحال في مصر[3] .والجدير بالأشارة أن امراء دولة المرابطين اهتموا اهتماما بالغا بالمواكب واستعراض الجيوش[4]. وكذلك الحال بالنسبة لخلفاء دولة الموحدين فقد كانت مواكبهم تخرج مع الخليفة لصلاة العيد ويضم هذا الموكب كبار رجال الدولة، وكذلك تخرج المواكب عندما يستعرض الجيش، حيث كان يجلس الخليفة عبدالمؤمن بن علي في ساحة الاستعراض ويجعلون العساكر تمر عليه قبيلة قبيلة وكتيبة اثر كتيبة[5].

وفيما يخص المواكب فقد حرص الفاطميون على ان تكون لهم مواكب ضخمة تمتاز بالابهة والفخامة [6] ، ففاقت مواكبهم مواكب العباسيين فقد استخدم الفاطميون المظلة[7] التي نقلوها من المغاربة. حيث كانت عادة جارية قبل الاسلام ويكون لها موظف خاص يعرف بحامل المظلة وهو من ارباب السيوف في الدولة الفاطمية حيث كان لصاحبها مكانة راقية لحمله مظلة الخليفة في المواكب . فخرج الخلفاء

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج2، ص68.

[2] ابن عذاري، البيان، ج1، ص373.

[3] حسين خضيري، علاقات الفاطميين، ص288.

[4] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص131.

[5] المراكشي، المعجب، ص304

[6] ايوب ،ابراهيم رزق الله ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ج2، ص235.

[7] المظلة: تسمى بالفارسية الجنز ويقال لها القبة والطبر وهي قبة تتكون من حرير اصفر اللون تحمل على رأس الخليفة على رأس رمح بيد امير يكون راكبا بحذاء(اي ملاصق للخليفة) الخ يظللهُ بها حال الركوب في المواكب العظام وقيل هي من استعمالات العباسيين او الساسانيين او من اهل المغرب الذين كانوا يظللون على حكامهم ، بينما يشير ابن حماد الى ان الفاطميين هم اول من استعملها ونحن لانتفق مع هذا الرأي ويرجح ان الفاطميين قد اخذوها من المغاربة لان خلافتهم بدأت بالمغرب فمن الطبيعي أن يتأثروا بالعادات التي كانت سائدة في بلاد المغرب آنذاك للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج2، ص141؛ ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص26؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص39؛ ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة، ج4، هامش 1 ص94؛ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، القاهرة، 1906، ص147؛ الطيار ، هيفاء عاصم، مدينة القاهرة، ص153-154.

الفاطميون في مواكب مختلفة في الفخامة والشكل عما كانت عليه في بلاد المغرب[1] .

تعددت مواكب الخلفاء الفاطميين فكانت هناك مواكب يطلق عليها المواكب العظام وهي التي يخرج بها اول العام الهجري واول رمضان والجمع الثلاث الاخيرة من شهر رمضان ، وصلاة العيد عيدي الفطر و الاضحى، والاعياد الوطنية مثل فتح الخليج ،الذي كان الخليفة الفاطمي المستنصر يخرج فيه بموكبه الحافل ويسير في ركاب الخليفة عشرة الاف فارس وتتبع الموكب جمال كثيرة عليها هوادج مزينة، وبغال هوادجها مرصعة بالذهب والجواهر، كما تشارك فرق الجيش الفاطمي في هذا الموكب الكبير ، هذا فضلا عن الموظفين على اختلاف مراتبهم ، و الفرقة العسكرية الخاصة بالخليفة الفاطمي التي تقوم على حراسته والسير في ركابه في المواكب وكان عددهم يزيد على الف رجل وتدعى الركابية او صبيان الركاب ،وهناك في الموكب حامل الرمح وحامل السيف وحامل الدواة [2].وكان من عادة الخليفة الفاطمي ارتداء الثياب الحريرية البيضاء،والتعمم بعمامة من نوع الحرير ويحمل قضيب الملك بيده[3].

وكان يرافق هذه المواكب عدد من الشعراء والعلماء والامراء من المغرب واليمن[4]. وكان الشعب المصري يستقبل هذه المواكب بمظاهر الفرح والسرور إلاّ موكب يوم عاشوراء فقد كان يستقبل بالبكاء والعويل والحزن[5].وهكذا اتخذ الخلفاء الفاطميون من الاعياد والمواكب سبيلا للدعاية وكسب الناس اليهم واظهار الدولة الفاطمية بمظهر الترف والعظمة من ناحية والقوة والرهبة لاعدائهم من ناحية اخرى [6].

وخلاصة القول ان الدولة الفاطمية قد امتدت رقعتها من اقصى المغرب الى العراق ثم انتهت بعد ان حكمت مصر قرابة قرنين من الزمن كانت مصر في ظل حكمها امبراطورية مستقلة ذات حضارة مجيدة مزدهرة[7] وصبغت مصر بصبغة لا تزال آثراها باقية الى اليوم[8]

---

[1] ايوب ، ابراهيم رزق الله ، التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، ج2 ، ص235.

[2] حامل الدواة : هي من وظائف الاساتذة المحنكين في الدولة الفاطمية .كان صاحبها يختص بامر دواة الخليفة فيضعها في مجلسه ويحملها امامه على السراج في مواكب الخلافة ، والاساتذة المحنكون هم طائفة من الخدم في القصر الفاطمي كانوا يشغلون ارفع المناصب في الدولة ويعدون من خواص خدم الخليفة وسموا بهذه التسمية لانهم كانوا يدورون عمائمهم على احناكهم للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج2، ص481؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص386-387.

[3] القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص511؛جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص149.

[4] ناصر خسرو، سفر نامة، ص52-53.

[5] المقريزي، الخطط، ج1، ص431.

[6] حسين خضيري، علاقات الفاطميين، ص286.

[7] الشيال ، جمال الدين ، مصر في العصر الفاطمي، ص457.

[8] عبد الرزاق،احمد ، تاريخ واثار مصر حتى نهاية العصر الفاطمي، ص206.



الخـــــاتمة

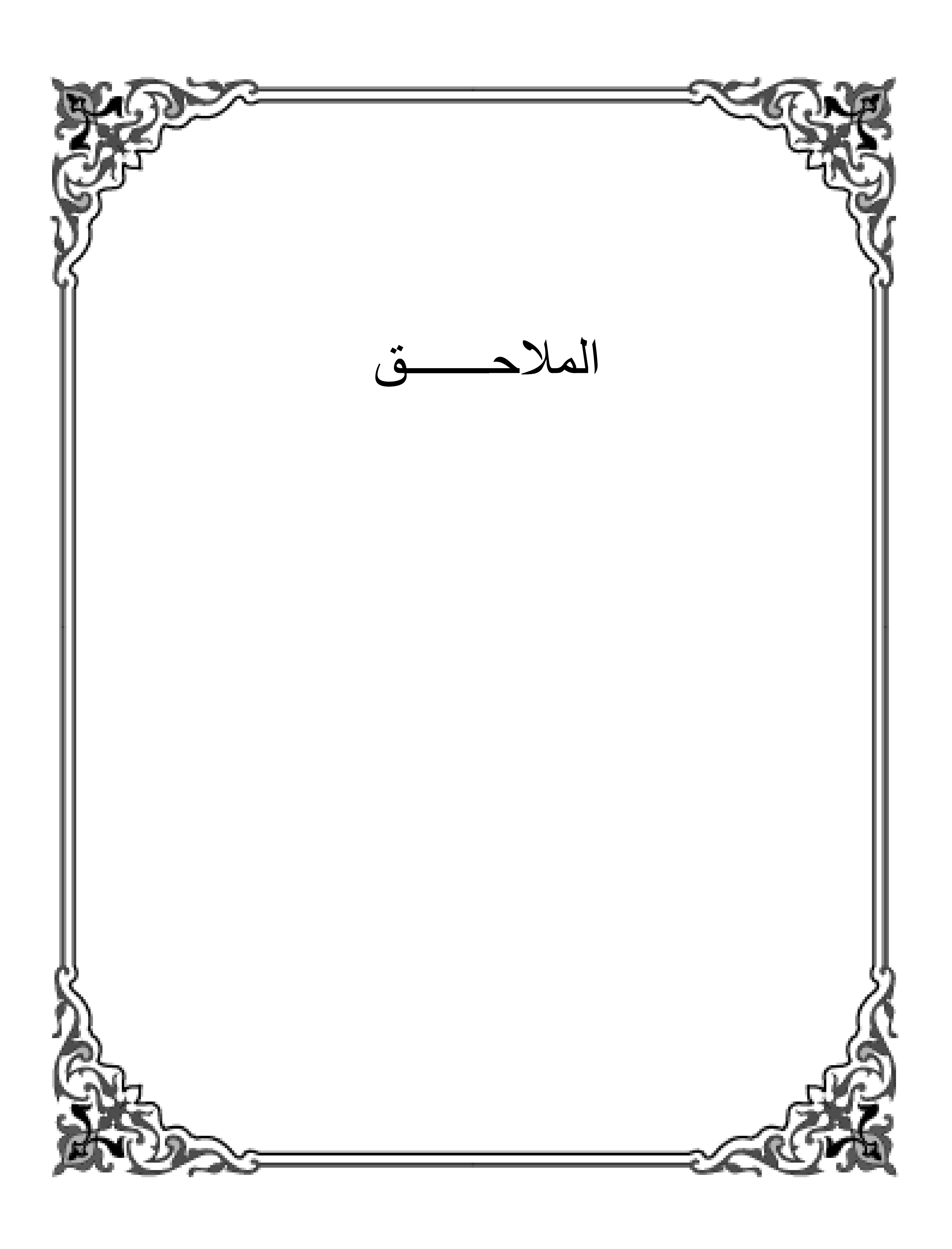
بعد الرحلة الطويلة في بحثنا للعلاقات بين بلاد المغرب ومصر من سنة 362 الى سنة 567 للهجرة توصلت إلى جملة من النتائج التي اوجزها في النقاط الآتية :

1. إنّ العلاقات الســياســية بين دولة بني زيري الذين حكموا بلاد المغرب باســم الخلافة الفاطمية آنذاك وبين مصر التي حكمها الخلفاء الفاطميين منذ سنة (362-567هـــ) كانت متأرجحة ما بين صعود وهبوط تبعاً للظروف ومقتضى الاحوال فكانت القطيعة التي حدثت بين البلدين على مراحل ولم تكن من صـنيعة المعز بن باديس الصنهاجي الذي حكم للفترة من (406-453هـــ) وإنما كانت عملاً منظماً من قبل رجال الدين الذين كانوا مســيطرين على الامير، لذلك عد العامل الديني من اهم العوامل التي كان لها الدور الكبير في تدهور العلاقات السياسية بين بني زيري في المغرب والخلفاء الفاطميين في القاهرة .
2. اخطأ حكام بني زيري في خلع طاعتهم للفاطميين ، مما ادى الى خســارتهم بلاد المغرب والقضاء عليهم ، وبذلك سقطت الدولة فريسة بيد العرب الهلاليين وعجز امراء بني زيري إلى إعادة الامور الى قبضتهم من جديد .
3. إنّ اول من اعلن انفصــاله الســياســي عن الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب هو حماد بن بلكين وانه قد ســبق المعز بن باديس بنحو اربعين عاماً حين اعلن المعز انفصــاله عن الخلافة الفاطمية ، وبذلك نجد أن المعز بن باديس قد حذا حذو حماد على الرغم من صراعاتهم السياسية .
4. وتبين لنا أن غزو القبائل الهلالية لبلاد المغرب لم يصــب دولة بني حماد بســوء، لأن اميرهم القائد بن حماد اعلن اعترافه بسيادة الفاطميين وبذلك كانت الاوضـاع الجارية على الساحة السياسية لبلاد المغرب تصب في مصلحة دولة بني حماد مما ساعد على بناء دولتهم وتدعيم سيادتهم .
5. اتضــح بأن حكام دولة بني حماد تمكنوا من وضــع أســس ثابتة للتعامل مع الدول المجاورة لهم من المرابطين ، وكذلك مع القبائل الهلالية ، هذا وقد وضعوا أسساً للتعامل مع أبناء عمومتهم من بني زيري في المهدية ، مما جعل الدولة تظهر بمظهرها الهادئ فجعلها تمتاز عن القوى الموجودة بالمغرب العربي بالاســتقرار النســبي ، فقد كانت طاعتهم للخلافة الفاطمية اســمية لا تتعدى ذكر اســم الخليفة على الســكة . وتبادل الهدايا ثم انتقل ولاؤهم للعباســيين في الفترة التي عانت الخلافة الفاطمية فيها من المشــاكل التي احاطت بها فضــلاً عن ســيطرة الوزراء على الحكم .
6. إنّ العلاقات التي كانت بين دولة المرابطين وبلاد مصــر علاقات غير ودية وذلك لاعتناق المرابطين المذهب المالكي فلم يفكر المرابطون في الاعتراف بالخلافة الفاطمية في بلاد مصــر حيث كانوا يكفرون ويتهمون الفاطميين بالالحاد والزندقة ، و كانوا يخطبون باسم الدولة العباسية واتخذوا السواد شعاراً لهم في ملابسهم واعلامهم و نظروا الى الخليفة العباســي على انه الخليفة الشــرعي وبذلك لم يعترفوا بشرعية الخلافة الفاطمية .

7. اما دولة الموحدين فلم تكن لها علاقة تذكر ببلاد مصـــر في أثناء حكم الفاطميين لها وذلك لان الخلافة الفاطمية تعذر عليها في الفترة التي ظهر بها الموحدون على الساحة السياسية ان تحتفظ بسيادتها على بلاد المغرب فظلت الخطبة تقام للعباسيين حتى قامت دولة الموحدين في سنة (524-515هـ) التي قطعت الدعوة للخليفة العباسي في الوقت الذي تلاشت فيه الدولة الفاطمية من الوجود.
8. مما جاءت به الدراســـة هو التأكيد على حقيقة مهمة هي أن بلاد المغرب لم تكن بعيدة عن الانشـغال بالحركة العلمية والثقافية على الرغم مما كانت تعيش فيه من عدم الاسـتقرار السـياسـي الذي طالها على اثر الصـراعات التي كانت تقام بين الدول المسـيطرة على بلاد المغرب ، وكذلك الهجمات التي قامت بها القبائل الهلالية على بعض مدن بلاد المغرب إلّا أنهم كانوا يتفاعلون مع معظم التيارات الثقافية التي كانت دول المشرق تزخر بها ، فقد ظهرت فيها الدراسات الشرعية من الفقه والحديث والقراءات ، وكذلك الدراســات الادبية من شـــعر ونحو ولغة وكذلك العلوم الطبيعية والانسانية فقد سجلت بلاد المغرب حضوراً علمياً متميّزاً في الجوانب الثقافية .
9. ابرزت الدراســة بأن بلاد مصـــر كانت تمتاز بتفوقها العلمي اذا ما قورنت ببلاد المغرب فقد كان للخلفاء الفاطميين الدور البارز في انعاش الحياة الثقافية في مصـــر مما جعلها قبلة لكل طلاب العلم ، فكان الخلفاء الفاطميون يقدمون الهبات والعطاءات لكل من جاء يســتســقي من علومهم وعملوا على تقوية العلاقات بين بلاد مصر وبلاد المغرب .
10. تبينّ لنا أن المؤســســات الثقافية أدت دوراً مهماً في ازدهار الحركة العلمية في بلاد المغرب ومصـر ، ونخص بالذكر في بلاد المغرب المساجد . أما في مصـر فكان لقصـــور الخلفاء والوزراء الأثر الأكبر في ازدهار العلم ، فقد كانت هذه القصور تزخر بالمجالس العلمية والادبية .
11. إنّ الهجرات التي قامت بها القبائل الهلالية الى بلاد المغرب كانت ذا فائدة جليلة ، وإن كانت قد اضـرت في اقتصـاديات البلاد وأبادت نفوساً كثيرة ، فقد سـاهمت بدور كبير في عملية التعريب لبلاد المغرب ، ولولا الهلاليون لما صـــار المغرب عربياً فكانت عملية التعريب الجنســـي للمنطقة من خلال الاختلاط مع الســـكان المحليين ،هذا وكانت لها بالغ الاثر في نقل بعض العادات الاجتماعية الى بلاد المغرب واكتســـاب بعض العادات الاجتماعية من دول المغرب ، فضـــلاً عن المساهمات التي قامت بها هذه القبائل في عمليات الجهاد في الاندلس ومساعدتهم لدول الموحدين .
12. وفي حقل العلاقات الاجتماعية فقد نتجت عن الهجرات التي حصـلت من خلال سيطرة الخلفاء الفاطميين على مصـر ودخولهم مع جيوشـهم الذين كان أغلبهم من القبائل المغربية فكان لها دور بارز في نقل بعض العادات المغربية الى بلاد مصـــر التي نتلمســـها الى هذا اليوم هذا فضـــلاعما نقله الخلفاء الفاطميون من

عادات اجتماعية تخص المناســبات الاجتماعية مثل عملية الختان الجماعي الذي اقيم في بلاد المغرب بأمر من الخليفة المعز لدين الله .

13. إنّ الخلفاء الفاطميين وأمراء دول المغرب كانت لهم اهتمامات كبيرة في المواكب حيث امتازت على الدولتين بالفخامة والبذخ والاســراف ســواء أكانت هذه المواكب تقام في الاعياد او في استعراض العسكر او في الاحتفالات الدينية والوطنية .
14. خرجت هذه الدراسة بأن هناك اعياداً أُحتفل بها في بلاد مصر بدعوة من الخلفاء الفاطميين ، مثل عيد الغدير والمولد النبوي والمواليد الاربعة ، إذ تســمى هذه الاعياد بالأعياد الشيعية ، إلاّ أنه لم تجد لها طريقاً في دول بلاد المغرب حتى في أيام حكم الخلفاء الفاطميين الاوائل لبلاد المغرب بســبب الاختلافات المذهبية ،إذ كان المذهب السائد في بلاد المغرب هو المذهب المالكي .



الملاحـــــق

ملحق (1)

جدول بالخلفاء الفاطميين

ت	اسم الخليفة	تاريخ الولادة	سنين الحياة	تاريخ تسلمه الحكم	تاريخ الوفاة	مدة الحكم			الملاحظات
						يوم	شهر	سنة	
1	المهدي ، عبيد الله ابو محمد	259هـ/872م	63	297هـ/909م	322هـ/933م	7	3	25	المغرب
2	القائم بأمر الله ، محمد ابو القاسم	280هـ/893م	56	322هـ/933م	334هـ/945م	1	7	12	المغرب
3	المنصور بنصر الله،اسماعيل ابو طاهر	302هـ/914م	39	334هـ/945م	341هـ/952م	6	-	7	المغرب
4	المعز لدين الله ، معد ابو تميم	319هـ/931م	46	341هـ/952م	365هـ/975م	10	5	23	المغرب والديار المصرية
5	العزيز بالله ، نزار ابو منصور	344هـ/955م	42	365هـ/975م	386هـ/996م	15	5	21	الديار المصرية
6	الحاكم بأمر الله ، المنصور ابو علي	375هـ/985م	36	386هـ/996م	411هـ/1020م	-	1	25	الديار المصرية
7	الظاهر لاعزاز دين الله،علي ابو الحسن	395هـ/1004م	32	411هـ/1020م	427هـ/1035م	6	8	15	الديار المصرية
8	المستنصر بالله ، ابو تميم معد	420هـ/1029م	67	427هـ/1035م	487هـ/1094م	-	4	60	الديار المصرية
9	المستعلي بالله احمد ابو القاسم	467هـ/1074م	28	487هـ/1094م	495هـ/1101م	28	1	8	الديار المصرية
10	الامر بأحكام الله المنصور ابو الميمون	490هـ/1096	34	495هـ/1101م	524هـ/1129م	-	9	29	الديار المصرية
11	الحافظ لدين الله،عبد المجيد ابو الميمون	467هـ/1074م	77	524هـ/1129	544هـ/1149م	19	4	19	الديار المصرية
12	الظافر بأعداء الله،اسماعيل ابو المنصور	527هـ/1132م	21	544هـ/1149م	549هـ/1154م	20	7	4	الديار المصرية
13	الفائز بنصر الله ، عيسى ابو القاسم	544هـ/1149م	11	549هـ/1154م	550هـ/1160م	17	5	6	الديار المصرية
14	العاضد لدين الله ، عبد الله ابو محمد	564هـ/1151م	21	550هـ/1160م	567هـ/1171م	18	5	11	الديار المصرية

نقلاًعن هيفاء عاصم ، مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية، 358هـ-567هـ، في النظم السياسية ، اطروحة دكتوراه، ملحق رقم 1 .

ملحق رقم (2)جدول بامراء بني زيري الصنهاجي في القيروان

ت	اسماء امراء بني زيري	بداية حكمه	نهاية حكمه
1	بلكين بن زيري (يوسف)	362هـ /972م	373ه -/973 م
2	المنصور بن بلكين بن زيري	373ه /973م	386هـ /996م
3	باديس بن منصور بن بلكين بن زيري	386هـ /996م	406هـ /1015م
4	المعز بن باديس بن منصور بن بلكين	406هـ/1015م	453هـ /1051م
5	تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن ملكين	453هـ/1051م	501هـ /1107م
6	يحيى بن تميم بن المعز بن بـاديس بن المنصور بن بلكين	501هـ/1107م	509هـ /1115م
7	علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين	509هـ/1115م	515هـ /1121م
8	الحســن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين	515هـ/1121م	543هـ /1148م

انتهى حكمهم في بلاد المغرب عندما اسـتولى اسـطول صـقلية النورمندي على المهدية سنة 480هـ/1078م[1]

---

[1] سعد زغلول ، المغرب الكبير ، ج3 ، ص88 .

ملحق رقم (3) جدول امراء بنو حماد[1]

ت	اسماء امراء بني حماد	بداية حكمه	نهاية حكمه
1	حماد بن بلكين بن زيري	398هـ /1007م	419هـ /1028م
2	القائد بن حماد	419هـ /1028م	446ه /ـ1054م
3	محسن بن القائد	446هـ /1054م	447هـ /1055م
4	بلكين بن محمد	447هـ /1055م	454هـ /1062م
5	الناصر بن علناس	454هـ /1062م	481هـ /1088م
6	المنصور بن الناصر	481هـ /1088م	498هـ /1100م
7	باديس بن المنصور	498هـ /1100م	500هـ /1106م
8	العزيز بن المنصور	500هـ/ 1106م	515هـ /1121م
9	يحيى بن العزيز	515هـ/ 1121م	588ه /1192م

[1] زمبارو ، معجم الانساب والامراء الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ص110 .

ملحق رقم (4) جدول بامراء المرابطين[1]

ت	اسماء الامراء	بداية حكمه	نهاية حكمه
1	عبد الله بن ياسين	-	415هـ / 927م
2	يحيى بن عمر	415هـ /927م	447هـ /1055م
3	ابو بكر بن عمر	447هـ /1055م	453هـ /1061م
4	يوسف بن تاشفين	453هـ /1061م	500هـ /1106م
5	علي بن يوسف بن تاشفين	500هـ /1106م	537هـ /1142م
6	تاشفين بن علي بن يوسف	537هـ /1142م	540هـ /1145م
7	ابراهيم بن تاشفين	540هـ /1145م	540هـ /1145م
8	اسحق بن علي	540هـ / 1145م	450هـ /1155 م

---

[1]عبد الواحد المراكش ، وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق : حسين مؤنس، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، ت1997 ، ص5-6 .

ملق رقم (5) جدول امراء دولة الموحدين[1]

ت	اسماء الامراء	بداية حكمه	نهاية حكمه
1	محمد بن تومرت (المهدي)	515هـ/1121م	524هـ/1130م
2	عبد المؤمن بن علي	524هـ/1130م	558هـ/1163م
3	ابو يعقوب يوسف	558هـ/1163م	580هـ/1184م
4	ابو يوسف يعقوب المنصور	580هـ/1184م	595هـ/1198م
5	ابو عبد الله محمد الناصر	595هـ/1198م	611هـ/1214م
6	يوسف المتنصر	611هـ/1214م	620هـ/1223م
7	عبد الواحد المخلوع	620هـ/1223م	621هـ/1224م
8	ابو محمد عبد الله العادل منصور	621هـ/1224م	626هـ/1228م
9	ابو العلا ادريس المأمون بن المنصور	626هـ/1228م	630هـ/1232م
10	ابو محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون	630هـ/1232م	460هـ/1242م
11	ابو الحسن علي السعيد المعتضد بالله بن المأمون	460هـ/1242م	646هـ/1248م
12	ابو حفص عمر المرتضى بن اسحاق بن المنصور	646هـ/1248م	665هـ/1266م
13	ابو العلا ادريس ابو دبوس	665هـ/1266م	668هـ1269م

(1) نهاية الموحدين بدخول المرينين الى مراكش وبذلك انتهت دولة الموحدين في محرم 668هـ ، للمزيد ينظر : المراكشي ، عبد الواحد ، وثائق المرابطين والموحدين ، ص67-68 ؛ زامباور ، معجم الانساب والاسر الحاكمة ، ص115 .

ملحق رقم (6)

رسالة علي بن يوسف الى الافضل بن بدر الجمالي[1]

وكتب ابو القاسم بن الجد الى الافضل صاحب مصر كتاب كتب الله لحضرة الامير السيد المعظم ابي القاسم الافضل زكي ذخائر الاعمال وغمر ارجاء ساحتها بوفود الامال ونصر على نفاستها غرر المعالي ومحاسن الاقوال والافعال من حضرة المغرب مقر سلطاننا ، ومحل شيطاننا ، ومركز بلادنا ، ومحتفل اجنادنا اثر قفولنا من الغزوة الصافية ، وقد حسنت لنا اثار ورفعت لقدومنا ابصار ، واجتمعت بعون الله بلاد واقطار ، وتأتت لنا في اعداء الله امال واوطار ، وما صدرنا حتى رويت سيوفنا من دمائهم ، واستباحت منبع ادراعهم ، واناخت جيوشنا بمدينة برجلونة، اعز بلادهم داراً واجلها مقداراً فاضرمناها ناراً ، وهبت على ريح اهلها اعصاراً ، واوسعتهم قتلاً واساراً ، ولما كان بيننا وبين حضرته الكريمة وصل الله جلالها وبسط ظلالها نيراً مشرقاً مغرباً مورقاً وجب ان نهدي اليها متى امكننا رسولاً ، وتأتي لنا في مطالعتها جمل من اخبارنا ولمع من اثارنا كما انا نتشرف لما يطلع علينا من مسار ابنائها ، وبشائر ظهورها ، واعتلائها ، ويتأدى كتابنا غداً الى حضرته العزيزة عمر الله بالخيرات جنابها ومد في ساحات المسرات اطنابها من يد فلان معظم شأنها ومؤهل احسانها ، واحد كبراء اسرتنا ، واعيانها وهو ممن برقت له في الخير بوارق، وسبقت منه سوابق في الغزو وتابع طويلاً بمرط غباره وخب ، واوضح في مضماره ثم رأى ان ينتقل من حسن الى حسن وان يجمع بين الغزو والحج في قرن، ويؤدي ما يلزمه اداؤه من فرض واجب متعين فمضى لوجهته قاصداً بيت الله الحرام لتأدية حجة الاسلام وزيارة حجة الاسلام وزيارة قبر نبينا محمد عليه السلام مواطن

[1] نقلا عن الهرفي ، سلامة محمد سلمان ، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية حضارية ،ص117 ، نص هذه الوثيقة في ريحان الالباب وريعان الشباب ،ورقة 36أ .



المصـــادر والمراجـــــع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : المخطوطات

الزرقاني ، رضوان ابن هاشم الحنفي بن علي ابي هاشم ، الروض الازهر في حدود مشاهد علوم الجامع الازهر ، مخطوط رقم النسخة 339358 ، مصدر المخطوط موقع مخطوطات الازهر الشريف ، ملتقى أهل الحديث .

ثالثاً – المصادر الاولية

1. **ابن الآبار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ/1259م) .**
- الحلة السيراء ، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ، ، 1963م .

2. **ابن ابيك الداوارداري ، ابو بكر بن عبد الله (ت736هـ/1335م) .**
- كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة المضية في اخبار الدولة الفاطمية) ، تحقيق: صلاح الدين منجد ، القاهرة ، 1991م .

3. **ابن أبيك الصفدي ، صلاح الدين خليل (ت764هـ/1362م) .**
- الوافي بالوفيات ، تحقيق: احمد الارناؤط ؛ تركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 2000م .

4. **ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ/1232م).**
- الكامل في التاريخ ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق ، ط5 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2010م .

5. **ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين احمد بن قاسم ابي العباس الخزرجي (ت668هـ/1269م) .**
- عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م .

6. **الاصفهاني ، عماد الدين محمد بن احمد بن حامد (ت1201هـ/1786م)**
- خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب ، تحقيق: محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي ، ط3 ، الدار التونسية ، 1986م .
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر ، نشره احمد امين ؛ شوقي ضيف ؛ احسان عباس ، مطبعة دار الكتب والوثائق بالقاهرة ، 1952م.

7. **الادريسي ، الشريف ابو عبد الله بن محمد (ت560هـ/1164م) .**
- نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر

8. **ادريس ، عماد الدين الداعي (ت872هـ/1467م).**
- تاريخ خلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار ، تحقيق: محمد اليعلاوي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت .

9. **الانطاكي ، يحيى بن سعيد (ت458هـ/1065م) .**

- صـلـة تاريخ سـعيد بن البطريق (صـلـة تاريخ اوتيخيا) ، مطبعة الاباء اليسـوعيين ، بيروت ، 1909م .

10. **ابن أياس ، محمد بن احمد الحنفي المصري (ت930هـ/1523م) .**
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 .

11. **ابن بسام ، ابو الحسن علي الشنتريني (ت542هـ/1147م) .**
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 ، 1979م .

12. **ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578ه/1183م) .**
- كتاب الصـــلة في تاريخ علماء الاندلس ، تحقيق: صـــلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1، 2003م .

13. **البكري ، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م) .**
- المسالك والممالك ، تحقيق: جمال طلبة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م .

14. **البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت279ه/892م) .**
- فتوح البلدان ، تحقيق: رضـــوان محمد رضـــوان ، دار الكتب ، بيروت ، د. ط، 1991م.

15. **البيذق ، ابو بكر الصنهاجي ، توفي في القرن (6ه/12م) .**
- اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدية ، نشـــر ليفي بروفســنال ، باريس ، 1928م .

16. **ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف بن الاتابكي (ت874هـ/1469م) .**
- النجوم الزاهرة في ملوك مصـر والقاهرة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م .

17. **التيجـاني ، ابو محمـد عبـد الله بن محمـد بن احمـد ، توفي بعـد ســـنـة (717هـ/1317م) .**
- رحلة التيجاني ، تعليق حسن حسني عبد الوهاب ، دار العربية ، ليبيا ، 1981م.

18. **الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن (ت1237هـ/ 1821م) .**
- تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، دار الجيل ، بيروت ، د. ت .

19. **ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد (ت833هـ/1429م) .**
- غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق براجتراستر ، ط1 ، الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت .

20. **الجزنائي ، ابو الحسن علي (توفي اواخر القرن8هـ/14م) .**
- جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصـــور ، ط2، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1991م .

21. **ابن جلجل ، ابي داود سليمان بن حسان الاندلسي ، الف كتابه سنة (377هـ)**

- طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق: فؤاد السيد ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1985م.

22. **الجوذري ، ابو علي منصور العزيزي الجوذر (ت361هـ/971م) .**
- سيرة الاستاذ جوذر وبه توقيعات الائمة الفاطميين ، تحقيق: محمد كامل ، طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1374هـ.

23. **الحبال ، ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد (ت482هـ/1089م) .**
- وفيات المصريين (456-475هـ) ، وهو جزء من وفيات قوم من المصريين وسواهم ، تحقيق : احمد ابو عبد الله محمود ، دار العاصمة ، الرياض ، 1480هـ.

24. **ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد الكناني (ت852هـ/1448م) .**
- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، د. ت .

25. **ابن حزم ، ابو محمد علي بن ابي احمد بن سعيد المغربي (ت456هـ/1063م).**
- جمهرة انساب العرب ، تحقيق: محمد عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .

26. **ابن حماد ، ابو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت626هـ/1228م) .**
- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق: حلول محمد البدوي ، الجزائر ، د. ت.

27. **الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت723هـ/1323م) او (727هـ/1326م) .**
- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق: احسان عباس ، بيروت ، 1980م.

28. **ابن حوقل ، ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي (توفي بعد 367هـ/977م).**
- صورة الارض ، منشورات دار صادر ، بيروت ، د. ت .

29. **خسرو ، ناصر (ت481هـ/1088م)**
- سفر نامة رحلة ناصر خسرو،نقله الى العربية يحيى الخشاب ، د. ط ، د. ت.

30. **الخشني ، ابو عبد الله محمد بن حارث بن اسد الخشني القيرواني الاندلسي (ت361هـ/971م) .**
- طبقات علماء افريقية ، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، د. ط ، د. ت .

31. **ابن الخطيب الغرناطي ، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت776هـ/1374م) .**
- اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام ، تحقيق: سيد كسروي، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2010م .

32. **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م) .**
- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، مراجعة سهيل زكار، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2010م .

33. **ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد (ت681هـ/1282م).**
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق: احسان عباس ، دار صادر ، بيروت، 1977م.

34. **الدباغ ، عبد الرحمن بن محمد الانصاري (ت696هـ/1296م) .**
- معالم الايمان في معرفة اهل القيروان ، تحقيق: عبد المجيد خيالي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2005م .

35. **ابن الدقماق ، ابراهيم بن محمد المصري (ت809هـ/1406م) .**
- الانتصار لواسطة عقد الامصار ، تحقيق: جمال الدين ، القاهرة ، د. ت .

36. **ابن ابي دينار ، ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم القيرواني (1110هـ/1698م) .**
- المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، تحقيق: محمد شمام ، مطبعة 20 مارس ، تونس ، 1967م .

37. **الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) .**
- سيرة اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارنؤوط ، اكرم البوشي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، د. ت .

38. **الرازي ، عبدالرحمن بن ابي حاتم (ت327ه/938م) .**
- الجرح والتعديل، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط2،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2010.

39. **الرشيد بن الزبير ، رشيد الدين ابو الحسين احمد بن علي بن الزبير الاسواني (ت562ه/1166م) .**
- الذخائر والتحف ، تحقيق: محمد حميد الله ، التراث العربي ، الكويت ، 1959م .

40. **ابن رشيق ،ابو علي حسن بن رشيق القيرواني الاسدي (ت456ه/1063م).**
- العمدة ، القاهرة ، 1963.
- شعراء القيروان من انموذج الزمان ، تحقيق: محمد المطوي، تونس، 1986م .

41. **الرقيق القيرواني ، ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم (ت417هـ/1026م) .**
- قلائد العقبان في محاسن الاعيان ، تحقيق: محمد زينهم ، دار الفرجاني ، القاهرة، 1994م .

42. **الزبيدي محب الدين ابو الفيض السيد محمد بن مرتضى الواسطي (ت1205هـ/1790م) .**
- تاج العروس في جواهر القاموس ، ط1 ، مطبعة الخيرية ، القاهرة ، د. ت .

43. **ابن ابي زرع الفاسي ، ابو الحسن علي بن عبد الله (ت726هـ/1325م).**
- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مطبعة فاس ، فاس ، 1303هـ.

44. **الزركشي ، ابي عبد الله ابراهيم (ت894هـ/1488م) .**
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق: ماضور ، ط2 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1996م .

45. ابن سعيد المغربي ، ابو الحسن نور الدين علي الغرناطي (ت685هـ/1286م)
.
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلي المغرب) ، تحقيق: حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة، 1970م .

46. **السجلات المستنصرية** ، سجلات وتوقيعات وكتب مولانا الامام المستنصر بالله امير المؤمنين الى دعاة اليمن قدس الله ارواح جميع المؤمنين ، تقديم عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربي ن بيروت ، 1954م .

47. ابن سيدة ، علي بن اسماعيل بن حماد (ت458هـ/1065م) .
- المخصص ، المكتبة التجارية ، بيروت ، د. ت .

48. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر (ت911هـ/1505م) .
- تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، بيروت ، 1974م .
- حسن الحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د. ط .

49. ابو شامة ، عبد الحق بن اسماعيل بن ابراهيم (ت665هـ/1266م) .
- الروضتين في اخبار الدولتين ، تحقيق: محمد حلمي احمد ، القاهرة ، 1962م.

50. ابن شداد ، بهاء الدين ابو المحاسن (ت632هـ/1234م) .
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة ، 1914م.

51. ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد الباجي (ت594هـ/1197م) .
- المنّ بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق: د. عبد الهادي النازي ، طبعة بيروت ، 1964م .

52. ابن الصيرفي ، ابي القاسم بن علي بن منجب بن سليمان المصري (ت542هـ/1147م) .
- الاشارة الى من نال الوزارة ، تحقيق: عبد الله مخلص ، مطبعة المعهد العالي الفرنسي ، القاهرة 1923 .

53. ابن ظافر ، جمال الدين ابو الحسن علي الازدي (ت623هـ/1226م) .
- اخبار الدولة المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين) ، تحقيق: الفردية فرية ، المعهد الفرنسي ، القاهرة ، 1972م .

54. ابن عبد الحكم ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله (ت257هـ/871م)
- فتوح مصر والمغرب ، تحقيق: عبد المنعم عامر،الهيئة العامة للقصور والثقافة ، القاهرة ، د.ت ، د.ط .

55. ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد المراكشي (كان حياً سنة 712هـ/1312م).
- البيان المغرب في اخبار المغرب ، تحقيق : ج. س. كولان ، ليفي بروفسنال ، ترجمة : عبد الله محمد علي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2009م .

56. ابو العرب ، محمد بن احمد بن تميم (ت333هـ/944م) .
- طبقات علماء افريقية ، منشورات كلية الادارة ، الجزائر ، سنة 1930م .
57. ابن العماد ، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت1089هـ/1678م) .
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق: عبد القادر الارنؤوط ، محمود الارنؤوط ، دار بن كثير ن بيروت ، ط1 ، 1981م .
58. عياض ، القاضي بن موسى بن عياض البستي (ت544هـ/1149م) .
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي ، المملكة المغربية ، الرباط .
59. الفراهيدي ، خليل بن احمد (ت170هـ/786م) .
- كتاب العين ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت.
60. ابن القطان ، علي بن محمد بن عبد الملك الكناني (ت627هـ/1229م).
- نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من اخبار الزمان ، تحقيق: محمد علي مكي، دار الإسلام ، بيروت ، 1990م.
61. القفطي ، جمال الدين ابي الحسن (ت654هـ/1256م) .
- انباه الرواة على انباه النحاة ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط1 ، 1986م .
62. القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت821هـ/1418م) .
- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، 1984م .
- مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق: عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، د. ت .
63. ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل الدمشقي (ت774هـ/1372م).
- البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية ، دار هجر ، مصر ، ط1 ، 1998م .
64. الكندي ، ابي عمرو محمد بن يوسف المصري (ت350هـ/961م) .
- كتاب الولاة والقضاة ، تحقيق: زمن كت ، بيروت ، 1980م .
65. المالكي ، ابو بكر عبد الله بن محمد (ت398هـ/1007م) .
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم ، تحقيق بشير الكيوس ومحمد العروسي ، دار المغرب الاسلامي، ط1 ، 1983م.
66. المالكي ، ابن فرحون (ت799هـ/1396م) .
- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب ، تحقيق: الاحمدي ابو النور ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 2005م .

67. ابن مجاهد ، ابو بكر احمد بن موسى بن عباس بن مجاهد التميمي البغداداي (ولد 245هـ/859م)
- كتاب السبعة في القراءات ، تحقيق: شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر .
68. المراكشي ، عبد الواحد بن علي (ت647هـ/1249م) .

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق: محمد سـعيد العريان ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ، 1963م .
- وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق: حسـين مؤنس ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر ، 1997م .

69. المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله (ت375هـ/985م) .

- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق: محمد مخزوم ، مطبعة بيروت ، 1987م .

70. المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ/1441م) .

- اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : محمد عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م .
- اغاثة الامة ، تحقيق: جمال الدين الشيال ، القاهرة ، 1957م .
- الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، القاهرة .
- المقفى الكبير، تحقيق:محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م.
- البيان والاعراب بأرض مصر من الاعراب ، تحقيق : عبد المجيد عابدين

71. المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد (ت1041هـ/1631م) .

- نفح الطيب من غصـن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسـان الدين بن الخطيب ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1949م .

72. ابن منظور ، ابو الفضـل جمـال الـدين محمـد بن مكرم الانصـاري (ت711هـ/1311م) .

- لسان العرب ، اعداد عبد الله علي الكبير ؛ واخرون ، القاهرة ، 1984م .

73. مؤلف مجهول ، كاتب مراكشي عاش في القرن (6هـ/12م) .

- كتاب الاسـتبصـار في عجائب الامصـار ، تحقيق: د. سـعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986م .

74. مؤلف مجهول ، من علماء القرن (8هـ/14م) .

- الحلل الموشـية في ذكر الاخبار المراكشـية ، تحقيق : سـهيل زكار ، الدار البيضـاء، 1978م .

75. ابن ميسر ، محمد بن علي بن يوسف (ت677هـ/1278م) .

- اخبار مصـر ، صـححه هنري مارسـيه ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسـي ، القاهرة، 1919م.

76. النعمـان ، ابو حنيفـة بن ابي عبـد الله بن محمـد بن حيون المغربي (ت363هـ/973م) .

- المجالس والمسايرات ، تحقيق: حبيب الفقي واخرون ، ط1 ، دار المنتظر ، بيروت، 1996م .
- افتتاح الدعوة ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 2005م .

77. النوبختي ، ابو محمد الحسن بن موسى (ت282هـ/895م) .

- فرق الشيعة ، تحقيق زيزر ، اسطنبول .

78. النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م) .
- نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتب والوثائق القومية ، ط3 ، القاهرة ، 2007م .

79. الوزان ، الحسن بن محمد (ت960هـ/1552م) .
- وصف افريقيا ، تحقيق: عبد الرحمن اسماعيل ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

80. ياقوت الحموي ، شـــهاب الدين ابو عبد الله ياقوت عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م) .
- معجم البلدان ، طبع ونشر دار صادر ، بيروت ، 1957م .

81. اليافعي ، ابي محمد عبد الله بن اسد (ت768هـ/1366م) .
- مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق: منصور ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م .

المراجع العربية الحديثة :

1. ابراهيم ، رجب عبد الجواد
- المعجم لاسماء الملابس ، دار الافاق العربية ، ط1 ، القاهرة ، 2002م .

2. احمد ، حسن خضيري
- علاقات الفاطميين في مصـر بدول المغرب (567-362هـــ/973-1171م) ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د. ت .

3. ادريس ، الهادي روجي
- الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر الى القرن الثاني عشـر الميلادي ، نقله الى العربية حمادي السـاحلي ، طبعة دار الغرب الاسـلامي ، بيروت ، 1912م .

4. امين ، احمد
- ضحى الاسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د. ت .

5. الانصاري ، احمد بن حسين النائب
- نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الاعيان ، تعليق: محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع .

6. ايوب ، ابراهيم رزق الله
- التاريخ الفاطمي الاجتماعي ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، د. ت .

7. بزون ، حسن
- القرامطة بين الدين والدولة ، 1997م .

8. البكاء ، امين السيد خلف
- المساجد في الاسلام حتى نهاية العصر الاموي ، ط1 ، شركة الحسام للطباعة، بغداد ، 2002م .

9. التليسي ، بشير رمضان
- الاتجاهات الثقافية في المغرب الاســـلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشـــر الميلادي ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ط1، 2003 .

10. ثامر ، عارف

- المعز لدين الله الفاطمي واضـــع اســـس الوحدة العربية الكبرى ، دار الافاق الجديد ، بيروت ، ط1 ، 1982م .
11. **جلال ، ابراهيم**
- المعز لدين الله الفاطمي وتشييده مدينة القاهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1963م .
12. **الجندي ، انور**
- الاسلام وحركة التاريخ ، مصر ، د.ت ، د.ط .
13. **جورج مارسيه**
- بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشـــرق الاســـلامي ، ترجمة : محمود عبد الصـــمد هيكل، الاسكندرية ، 1999م .
14. **جوليان**
- تاريخ افريقيا الشمالية ، ترجمة محمد فرالي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1987م .
15. **الجيلالي ، عبد الرحمن**
- تاريخ الجزائر العام ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، ط2 ، 1965م .
16. **حسن ، ابراهيم حسن**
- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط1 ، القاهرة ، 1967م.
- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصـــر وســـورية وبلاد العرب ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1964م .
17. **حسن ، زكي محمد**
- كنوز الفاطميين ، القاهرة ، 1937م .
18. **حسين محمد كامل**
- ادب مصر الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1963م .
19. **حمزة ، عبد اللطيف**
- الحياة الفكرية في مصر ، القاهرة ، د. ط ، د. ت .
20. **حوالة ، يوسف بن احمد**
- الحياة العلمية في افريقيا المغرب الادنى منذ الفتح وحتى القرن الخامس الهجري (90-450هـ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، جامعة ام القرى ، ط1 ، 2000م .
21. **الخربوطلي ، علي حسين**
- العزيزي بالله الفاطمي ، مطبعة دار الكتب العربية ، القاهرة ، 1968م .
22. **الخفاجي ، محمد عبد المنعم**
- الازهر في الف عام ، ط1 ، القاهرة ، 1958م .
23. **دندبش ، عصمت عبد اللطيف**
- الاندلس في نهاية المرابطين ومســـتهل الموحدين عصـــر الطوائف الثاني (510-546هـ) ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1988م .

24. دوزي ، رينهارت
- المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، تحقيق: اكرم فاضل ، بغداد ، مطبعة وزارة الاعلام العراقية ، 1971م .
25. الربطي ، ممدوح عبد الرحمن
- دور القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية واثرها من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية (21-358هـ)، مكتبة مدبولي ، القاهرة .
26. رشدي ، راسم
- طرابلس الغرب في الماضي والحاضر ، ط1 ، طرابلس ، ليبيا ، 1953م .
27. زامباور
- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، تحقيق: د. زكي حسن؛ واخرون ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1980م .
28. زكي ، عبد الرحمن
- الجيش المصري في العصر الاسلامي ، القاهرة ، 1970م .
29. زيد ، اسامة زكي
- الصليبيون واسماعيلية الشام ، الهيئة المصرية ، الاسكندرية ، 1980م .
30. زيدان ، جرجي
- تاريخ التمدن الاسلامي ، القاهرة ، 1960م .
31. السائح ، حسن
- الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديد ، الدار البيضاء ، 1975م .
32. سالم ، السيد عبد العزيز
- تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، الدار القومية ، الاسكندرية ، 1966م .
- دراسات تاريخ مصر الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ، مؤسسة شباب الاسكندرية ، الاسكندرية ، ط1 .
- تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، القاهرة ، دار المعارف، 1996م .
33.سامي ، علي
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .
34. سرور ، محمد جمال الدين
- الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر الى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت .
35. سلام ، محمد زغلول
- الادب في العصر الفاطمي الشعر والشعراء ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، الاسكندرية ، د.ت .

36.السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد الناصري(ت1279هـ/1862م) .
- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق: جعفر الناصري ، ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ، 1954م .
37. سلطان ، عبد المنعم عبد الحميد
- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية ، دار الثقافة العلمية، 1999م.
38.سيد ، ايمن فؤاد
- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1962م.
39.سليمان ، سليم
- القرامطة نشأتهم وعقائدهم ، ط1 ، بيروت ، 2003م .
40. الشيال ، جمال الدين
- مصر في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، مصر ، 1967م.
- اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، الاسكندرية، 2002 .
41. طقوش ، محمد سهيل
- تاريخ الفاطميين في شمال افريقية ومصر وبلاد الشام ، دار النفائس للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، 2008م .
42. العبادي ، احمد مختار
- في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د. ت .
43. عبد الحميد ، حسن
- صفحات من الادب المصري من العصر الفاطمي الى النهضة الحديثة ، القاهرة.
44. عبد الحميد ، سعد زغلول
- تاريخ المغرب العربي وبنو زيري الصنهاجيون الى قيام المرابطين ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، د. ط ، د. ت .
- اثر المغربي والاندلسي في مجتمع الاسكندرية
45. عبد الرزاق ، احمد
- تاريخ واثار مصر حتى نهاية العهد الفاطمي
46. عبد الرزاق ، مصطفى
- تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، بيروت ، د. ت .
47. عبد الوهاب ، حسن حسني
- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، ط2 ، مطبعة المنار ، تونس ، 1970م .
- ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، مطبعة المنار ، تونس ، 1965م.
48. العربي ، اسماعيل
- دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1980م.

49. **عطا الله ، خضر احمد**
- الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي ، دار الفكر العربي ، القاهرة
50. **عمر ، احمد مختار**
- النشاط الثقافي في ليبيا ، منشورات كلية التربية ، طرابلس ، ط1 ، د. ت.
51. **عنان ، محمد عبد الله**
- تاريخ جامع الازهر ، القاهرة ، 1958م .
- الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية ، ط2 ، القاهرة ، 1959م .
52. **عويس ، عبد الحليم**
- دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط2 ، الوفاء ، القاهرة ، 2002م
53. **الفردبل**
- الفرق الاسـلامية في الشـمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، منشورات دار ليبيا ، بنغازي ، 1969م .
54. **كحالة ، عمر رضا**
- معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة .
55. **كرو ، ابو القاسم محمد**
- عصر القيروان ، ط1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة ، تونس ، 1973م .
56. **ل. أ. سيمنوفار**
- تاريخ مصـر الفاطمي ابحاث ودراسـات ، ترجمة حسـن بيومي ، المجلس الاعلى للثقافة ، موسكو ، 1974م .
57. **ماجد ، عبد المنعم**
- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، الاسكندرية .
- الحاكم بأمر الله الخليفة المعتدى عليه ، القاهرة 1909م.
58. **محمود ، حسن احمد**
- قيام دولة المرابطين ، صـفحة مجيدة من تاريخ المغرب في العصـور الوسـطى ، القاهرة ، 1957م .
59. **مصطفى ، محمد كامل**
- الشريف الادريسي واثره في الجغرافيا،المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، 1964م .
60. **ابو مصطفى ، كمال السيد**
- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشـيريسـي ، مركز الاسـكندرية للكتاب ، الاسكندرية ، 1996م .
61. **المعموري ، طاهر**
- جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي ، تونس ، 1973م.
62. **المناوي ، محمد حمدي**

- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، مصر ، 1970م .

63. مؤنس ، حسين

- معالم تاريخ المغرب والاندلس ، مكتبة الاسرة ، 2004م .
- المساجد ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1989م .
- الحضارة دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني ، الكويت ، 1978م

63. الهرفي ، سلامة محمد سلمان

- دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، دراسة سياسية حضارية ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، 1985م .

الرسائل والاطاريح :

1. الدليمي ، منذر عطا الشيحان ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في مدينة القيروان ، حتى نهاية العصر الاموي (50-132هـــ) ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد ، (غير منشورة)، 2004م .
2. الطيار ، هيفاء عاصـــم محمد ، مدينة القاهرة خلال عصـــر الخلافة الفاطمية (358-567هـــ/968-1171م) دراسة في النظم السياسية والمعالم الحضارية، اطروحة دكتوراه ، المعهد العالي للدراســـات الســـياســـية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، (غير منشورة) ، 2005 .
3. كباشـــي ، غنية ياســـر ، المكونات الثقافية للخلافة الفاطمية خلال الفترة (297-567هـــ/909-1171م) ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد ، (غير منشورة)، 2007 .
4. الكعبي ، هاشم ناصر ، المنصور الموحدي ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1994م .